السبت 20 نيسان 2024
العدد 5181 السنة الثامنة عشرة
Samedi 20 Avril 2024 no 5181 18ème année

28 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

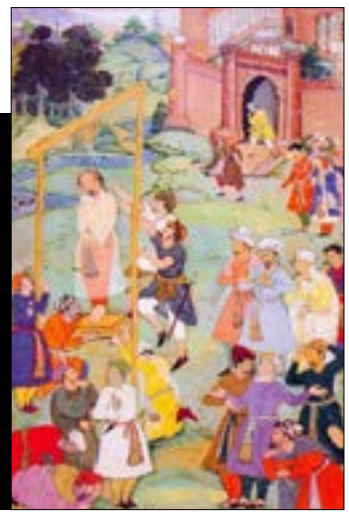

اسعد الجبوري يحاور الشعراء الموتى

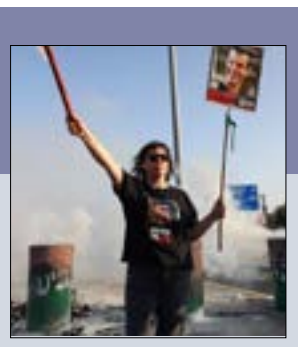

نص الاقتراح المصري – الأميركي

حماس: لا اتفاق قبل إعلان صريح بوقف الحرب
العدو يطلب إبعاد أسرى المقاومة خارج فلسطين

[10]

«اللّاردّ» الإسرائيلي
معادلة إيران قائمة

(أ ف ب)

البلاد

ملحق

الأسرى حرّية شعب

[16 ـ 19]

تحقيق

القانون لا يحمي المستهلكين
أي لحوم يأكل اللبنانيون؟

6

في الواجهة

الخماسية - حزب الله: لا رئيس قبل تسوية غزّة

يُفترض عدم التقليل من اهمية اجتماعات سفراء الدول الخمس بالافرقاء الصناوئين لحزب الله. بيدان المغزى الفعلي لجولاتهم في ما يقدمه لهم او يحجبه. يملك الثنائي الشيعي القفْل والمفتاح معاً: قفْل البرلمان علّقه حزب الله على بابه، والمفتاح عند الرئيس نبيه برّي. غالب الظن عند الثنائي ان لا تفتح الابواب الا لاستقبال سليمان فرنجية رئيساً

نقولا ناصيف

اجتمع سفراء الدول الخمس بمعظم الافرقاء المعنيين بانتخاب الرئيس، ترشيحاً او اقتراعاً، وسمعوا منهم مجدداً ما كانوا سمعوه تكراراً، فرادى ومجتمعين. كما بعد كل اجتماع، سابقاً وفي اليومين المنصرمين، يمدّون استنتاجاتهم بجرعات من التفاؤل، لاحظوا بعض الايجابيات، وفق السفير المصري علاء موسى، من طراز وجود «مشتركات» بين الافرقاء. في الواقع اضحى انتخاب الرئيس ابعد مما كان.

لا يمانع حزب الله في العودة الى المبادرة الفرنسية الاولى: رئيس الجمهورية لنا ورئيس الحكومة لكم

في الاهتمامات المعلنة والتصريحات اليومية لثلاثة اطراف هم الاكثر التصاقاً بالاستحقاق والاكثر تأثيراً في حصوله او في تعطيله، كالثنائي الشيعي والتيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية، انهم يغرّدون في أسراب متباعدة: الاول

يتفق حزب الله وفرنجية على ان عامل الوقت يصب في مصلحة خيارهما (الاخبار)

ينتظر ما بعد حرب غزة، والاخيران يتسابقان على مواجهة النزوح السوري وتداعياته السلبية. هم الافرقاء الثلاثة الممسكون بفتيل نصاب جلسة الانتخاب عددياً وميثاقياً مذ الشغور، وهم وحدهم المعنيون بإحداث خرق في مواقفهم للذهاب الى مجلس النواب والتصويت.

اما ما لم يسع سفراء الدول الخمس، قبلاً والآن، الوصول اليه في مهمة مستعصية، فيكمن في بضعة معطيات، منها:

1 - استمرار انقسام الكتل في البرلمان من حول ترشيح رئيس تيار المردة، حزب الله يقول انه فريق وازنٌ له الحق في ان يكون له مرشح. حجته ان على الفريق الآخر الأخذ في الاعتبار رأيه، مقدار اخذه هو في الاعتبار رأي الفريق ذاك. ذلك ما يؤول الى اعتراف الحزب بعدم تمكنه من ايصال مرشحه الى الرئاسة. لكن ايضاً عدم تمكن الفريق الآخر من اخراج فرنجية من السباق الرئاسي او حمل الحزب على التخلي عنه.

بين هذين النقيضين لا يُسمع من اي من السفراء الخمسة اسم محدّد يقترحونه بديلاً من فرنجية، كما من اي ندّ لفرنجية بغية استبعاده. عبارتهم الغامضة: التفكير في مرشح ثالث ليس الا.

2 - تكمن العقبة الكأداء المستمرة منذ آذار 2023، مذ اعلن رئيس المجلس نبيه برّي ترشيح فرنجية ولاقاه بعد ايام الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، في اصرارهما على ترشيح رئيس تيار المردة وطلب اجراء حوار من حول ترشيحه، توصلاً الى تقديم الضمانات الكفيلة باقناع المتحفظين عنه بالقبول به. في حسبان حزب الله يدور الحوار المتوخى من حول هذه النقطة بالذات، لا سواها. هو عبارتهم الغامضة: التفكير في امام رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل قبيل الشغور عام 2022، بتأكيده له ان الفرصة متاحة لوصول فرنجية الى الرئاسة، الموعود بها قبلاً، على انه يضمن شخصياً لباسيل كل ما يطلبه منه. رد فعل باسيل يومذاك معارضته انتخاب فرنجية رغم تأكيد نصرالله ان خلافهما «ليس في السياسة بل في الصراع على السلطة».

للسبب هذا يرفض مناوئو فرنجية في الاحزاب المسيحية الحوار. كلا الفريقين يضع في طريق انتخاب الرئيس شرطه التعجيزي: الاولون الذين لا يتخلون عن فرنجية، والاخيرون المصرّون على اخراجه سلفاً من الترشح.

3 - يُعيد حزب الله، مرة بعد اخرى، التذكير بالمبادرة الفرنسية الاولى السنة المنصرمة - وكان وافق عليها - بربطها انتخاب رئيس يطمئن اليه بتسمية رئيس للحكومة يطمئن اليه خصومه. طرح آنذاك فرنجية والسفير السابق نواف سلام في تقاسم حصة متكافئة بين طرفي الانقسام. في الحجة المساقة للعودة الى المعادلة الفرنسية المطفأة، انها حلّ ممكن لتثبيت موازين قوى داخلية تأخذ في الاعتبار مصالح الافرقاء جميعاً على ان الانقسام الحالي ليس سوى نسخة مجددة عن تحالفَي 8 و14 آذار.

ليست تلك الحجة الوحيدة المساقة. منذ ما بعد اتفاق الطائف درجت المعادلة هذه: رئيس الجمهورية في حصة السوريين، ورئيس الحكومة في حصة الغرب والعرب. ذلك ما رافق ثنائية الرئيسين الياس هراوي ورفيق الحريري، وثنائية الرئيسين اميل لحود والحريري. بخروج سوريا من لبنان وانتقال الدور والنفوذ الى حزب الله، ثُبّتت المعادلة نفسها في عهد الرئيس ميشال سليمان وصولاً الى عهد الرئيس ميشال عون: رئيس للجمهورية يوافق عليه حزب الله دونما ان يقف في طريق تسمية رؤساء الحكومات المتعاقبين ذوي المصالح المالية والتجارية العميقة والعلاقات الشخصية عند العرب والغرب. توالياً الرؤساء فؤاد السنيورة وسعد الحريري ونجيب ميقاتي وتمام سلام وصولاً الى حسان دياب الذي اوصله الحزب الى السرايا من غير ان يُحسب عليه.

في حسبان حزب الله، لئن يشعر بأنه اقوى افرقاء الداخل، بيد ان له شركاء دائمين عرباً واميركيين في تكوين السلطة اللبنانية: إما رئيس الجمهورية لنا ورئيس الحكومة لكم، او العكس.

4 - ليس تحرّك الخماسية سوى ادارة الوقت الضائع الى حين اوان تسوية حرب غزة بعدما ادخلت الاستحقاق الرئاسي في مدارها. نُقل الى حزب الله ما اسرّ به السفير السعودي وليد البخاري امام أكثر من طرف محلي، ان ليس لسفراء الدول الخمس سوى التحرك جولة بعد اخرى قبل التوصل الى وضع تقرير اخير بالحصيلة، يُرفع الى وزراء خارجية دولهم فيجتمعون لبتّ انتخاب الرئيس عند ابرام حلول حرب غزة التي تشمل، في ما تشمل، استقرار الجنوب لكن ايضاً الاستقرار الداخلي اللبناني. عندذاك سيكون الحزب، وحده دون سائر الافرقاء اللبنانيين، جالساً الى طاولة الكبار مباشرة او من خلال ايران، لانجاز تسوية ما بعد حرب غزة.

الموقف نفسه يتحدّث عنه فرنجية امام زواره. يقاسم حزب الله في وجهة نظره بأن عامل الوقت يصبّ في مصلحته ما دامت حرب غزة ستُفضي في نهاية المطاف الى اتفاق يكون الحزب في صلبه. عامل الوقت بازاء استمرار الشغور الرئاسي طال اكثر او قصُر ليس في لبّ انشغاله وهو يخوض الشق اللبناني في حرب غزة.

الجيش اللبناني عن «سيارات مشبوهة» تبيّن للجيش انها تعود لعناصر في المقاومة.

«شبكة أمان» لمديرة «أونروا»

قالت مدير وكالة «أونروا» في لبنان الألمانية دوروثي كلاوس إنها تلقّت ضمانات من جهات رسمية لبنانية بعدم التعرض لمراكز عمل الوكالة وضمان أمن العاملين فيها ولا سيما الأجانب منهم، بعدما اتخذت «أونروا» إجراءات عقابية ضد فلسطينيين عاملين فيها بتهمة التعاطف مع المقاومة الفلسطينية. وأجرت كلاوس، بمساعدة سفارة بلادها وسفارات غربية، اتصالات مع مسؤولين في الأجهزة الأمنية لمواجهة ما تعتبره «حملة منظمة» ضدها بسبب «قرارات إدارية اتخذت لحماية الوكالة». وعُلم أن كلاوس تتلقى دعماً من فريق عامل في الجامعة الأميركية في بيروت ومسؤولين في السلطة الفلسطينية يعتبرون أن «القوى الإسلامية تريد السيطرة على الوظائف في الوكالة على حساب المنتمين الى فصائل منظمة التحرير».

إغراء اتّ قطرية: استثمار بين خلدة والجية

على هامش الاتصالات السياسية حول الملف الرئاسي التي تجريها قطر مع اطراف لبنانية، ذكر المبعوث القطري إلى لبنان «أبو فهد»، مرات عدة، أمام شخصيات لبنانية أن بلاده مستعدة للاستثمار في قطاعات مختلفة في لبنان لمساعدته على «النهوض الاقتصادي». وبعدما سمع رجال أعمال من الموفد القطري أسئلة حول التطوير العقاري، تبيّن أن هناك اهتماماً خاصاً بالمنطقة الساحلية الممتدة من جنوبي بيروت الى منطقة الجية، وأن الهمس يدور حول «مشروع سياحي كبير» يحرص القطريون على إنجازه «بالتعاون مع جميع القوى السياسية والأهلية» الموجودة في هذه المناطق.

«نداء الوطن» مستمرة إلكترونياً

حصل الفريق الإداري المشرف على صحيفة «نداء الوطن» على مساعدة مالية لتغطية جزء من رواتب قسم كبير من العاملين في المؤسسة للشهرين المقبلين، على أن يُصار خلال هذه الفترة الى البحث في تأسيس شركة جديدة تضمّ مستثمرين، بعد قرار عائلة الراحل ميشال مكتف ترك المشروع، ورفض القوات اللبنانية توفير دعم مالي له. وكانت إدارة الصحيفة قد أبلغت الموظفين في مذكرة في 28 آذار الماضي قرار وقف النسخة الورقية، وأن «المفاوضات جارية مع عدد من الأفراد لإيجاد سبل لتأمين استمرارية المشروع، وطلبت الإدارة من العاملين مواصلة العمل في النسخة الإلكترونية حتى نهاية نيسان الجاري، من دون الالتزام بتسديد رواتب هذا الشهر، على أن يبلّغ العاملون الأسبوع المقبل بنتائج الاتصالات.

علم وخبر

الاستخبارات البريطانية في بيروت

زار لبنان أخيراً وفد استخباري بريطاني ضمّ ضباطاً رفيعي المستوى يتولّون مسؤوليات تتعلق بمنطقة الشرق الأوسط. وقد أحيطت الزيارة بسريّة تامة، تخلّلتها لقاءات مع نظراء في الأجهزة الأمنية اللبنانية والجيش، كذلك عقدت اجتماعات مع عدد من الجهات حول الوضع في المنطقة في ضوء الحرب في غزة، والسؤال بالتفصيل حول تقديرات الموقف الميداني والسياسي للجبهة المفتوحة من لبنان.

توضيحات الـ«يونيفيل» للجيش والمقاومة

أجرت قيادة القوات الدولية العاملة في الجنوب اتصالات مع حزب الله وقيادة الجيش اللبناني لتأكيد أن كل الوحدات ضمن قوات الـ«يونيفيل» تعمل وفق المهام والبرامج المقررة. وعلم أن الجانب الأممي اهتمّ بنفي ما أوردته «الأخبار» عن شكوك تحيط بعمليات رصد تقوم بها القوات الدولية في منطقة جنوب نهر الليطاني، ويستفيد منها العدوّ الإسرائيلي، وخصوصاً بعدما نصبت القوة الكورية العاملة عند مدخل منطقة عمل القوات الدولية أجهزة وبرامج موصولة بكاميرات لمراقبة الداخلين إلى المنطقة والخارجين منها، واستحدثت عوائق على الطرقات لضمان أخذ صور واضحة. وسبق أن أبلغت هذه الوحدة

تقرير

ضغط ألماني متزامن مع العدوان: لا تمويل لمشاريع مياه في الجنوب

لم تكتفِ الجهات المانحة بالإحجام عن منح أيّ مساعدات لإغاثة الجنوبيين النازحين بفعل العدوان الإسرائيلي المستمر على قراهم. بل بادرت الى التملّص من تنفيذ مشاريع مائية في الجنوب، متّفق عليها سابقاً

ندى أيوب

يدرس صندوق التنمية الألماني نقل تمويل مشاريع مائية بقيمة 15 مليون يورو من منطقة الجنوب إلى منطقة الشمال، متذرّعاً بـ«عدم قدرته على إجراء تقييم مفصّل لاتخاذ قرار بشأن أولويات المشروع والمواقع المطلوب استهدافها بسبب الوضع الأمني». يأتي تطيير المشروع، في وقتٍ المنطقة فيه بحاجةٍ ماسّة إلى صيانة منشآت ومحطات وخزانات المياه، إثر الاستهداف الإسرائيلي الممنهج لها منذ ستة أشهر. وكانت عمليات الصيانة أحد أهداف المشروع الذي كان جزء من تمويله سيُصرف على تنفيذ خُطط مُرتبطة بتحسين مصادر المياه. أهمية تمويل هذا النوع من المشاريع، حيث الحاجة إلى عمليات إصلاح محطات المياه ستكبر نتيجة الاعتداءات الإسرائيلية، تدفع إلى التشكيك في خلفيات التراجع الألماني، ربطاً بمواقف ألمانيا المنحازة للعدوّ الإسرائيلي في حرب الإبادة التي يشنّها على قطاع غزة واعتداءاته على الجنوب، ما يُفهم منه محاولة لفرض ضغط إضافي على البيئة الجنوبية. وإلا ما تفسير التناقض بين ما تدّعيه الجهات المانحة من تنمية المجتمعات وتحسين ظروف أفرادها، وبين الإحجام عن المساعدة في لحظةٍ تزداد فيها الحاجة إلى هذه المساعدة، ولا سيّما أنّ غرق المنظمات والهيئات المموّلة من الأموال العمومية للدول في التسييس لم يعد سراً. فمن القرار العلني برفض إغاثة النازحين الجنوبيين إلى التراجع عن دعم مشاريع حيوية في المنطقة، سباق واحد يؤكّد أن الجهات المانحة اذرع «غير بريئة» تتحرّك وفق أجندات تخدم سياسات دولها. وتكمن المفارقة الكبرى في استمرار طرح تمويل مشاريع ليست في رأس الأولويات، بمقدار ما تحمل عناوين براقة في ظروف جنوبية لا مكان للترف فيها.

ووفق مصادر مطّلعة، فإن الاستفسارات المتكرّرة حول تأخير وحدة إدارة المشروع وتصميمه وإعداد دفاتر الشروط تمهيداً للتلزيم والتنفيذ، «لم تلقَ أجوبة شافية وواضحة»، إذ إنّ «الصندوق الألماني للتنمية»، لم يحترم المراجعين المعنيّين، ولم يبلغهم بنيته العزوف عن التمويل وتجييره إلى مؤسسات مياه أخرى، متذرّعاً بـ«مزيد من الدرس»، قبل أن يتبيّن لاحقاً لمؤسسة مياه لبنان الجنوبي أنّ خلف المماطلة والتسويف نيّات نسف المشروع.

التغيير في وجهة استخدام الاعتمادات المرصودة للمشاريع يفترض مشاورة وزارة الطاقة والمياه، المسؤولة الأولى عن إجراء المفاوضات مع المانحين وإبرام العقود وإصدار المراسيم المطلوبة لها، بصفتها وزارة الوصاية على مؤسسات المياه. وأكّد وزير الطاقة والمياه وليد فياض لـ«الأخبار»، «أهمية توزيع الاستثمارات بشكل عادل على كل المناطق والمؤسسات»، مشيراً إلى أنه «فيما كانت الوكالة الفرنسية للتنمية ستدعم مناطق الشمال، اهتمّ الصندوق الألماني بدعم الجنوب وكان التقسيم مقبولاً». إما في الوضع المستجَد بعد القرار الألماني، فقد أكد فياض تمسّك الوزارة بـ«إبقاء التمويل في الجنوب، وهو ما سنبلغه لصندوق التنمية الألماني في إطار التفاوض معه». وشدد على أنّ «الوزارة لم توقّع اتفاقاً نهائياً مع الصندوق»، مشيراً إلى أنه طلب من «الصندوق» معاودة التفاوض مع مؤسسة مياه لبنان الجنوبي قبل

> 15 مليون يورو لتحسين استفادة الجنوبيين من المياه تراجع الأوروبيون عن دفعها

تحويل التمويل إلى مناطق أخرى.

أما في حالة إصرار «الصندوق» على العمل في الشمال، فيطرح فياض طريقتين للتعويض: الأولى إعادة التفاوض مع «الوكالة الفرنسية للتنمية» التي تحضّر مشروعاً سينفَّذ هذا العام في نطاق عمل مؤسسة مياه بيروت وجبل لبنان ومؤسسة مياه لبنان الشمالي، والاقتراح عليها توسيع نطاقه ليشمل منطقة عمل مؤسسة مياه لبنان الجنوبي. والخيار الآخر، منح «مياه لبنان الجنوبي» جزءاً أكبر من ميزانية «صندوق التنمية الألماني» التي يتم تنفيذها من خلال منظمة «اليونيسف» ضمن خطة العمل 2024-2025، وهي مشروع منفصل عن المشروع الملغى.

(علي حشيشو)

تقرير

الشهادة الرسمية: امتحانات استثنائية موحّدة لكل لبنان؟

فاتن الحاج

حال القلق والترقب تسود أوساط المعلمين والطلاب جرّاء غياب الشفافية لدى وزارة التربية في مقاربة ملف الامتحانات الرسمية لشهادتَي البريفيه والثانوية العامة. متى المواعيد؟ وما هي الآليات؟ وما هو شكل التدبير الخاص لمدارس الجنوب؟ وكيف يُحدد النطاق الجغرافي للمدارس المشمولة بهذا التدبير ووفق أي معايير؟ وما هي فلسفة أن تحسم وزارة التربية عدم اعتماد المواد الاختيارية في الظرف الاستثنائي؟ وهل ما يسري على المدارس الخاصة ينطبق على المدارس الرسمية التي انتظم عامها الدراسي بالتزامن مع بداية العدوان على غزة والجنوب؟ وهل معيار الاستثناء هو فتح المدارس وأيام الدوام أم مضمون المعارف والمهارات التعليمية المكتسبة سواء من خلال التعليم الحضوري أو «أونلاين»؟ كلها أسئلة لا تزال حتى الساعة بلا أجوبة دقيقة.

وفي وقت أنجز فيه المركز التربوي للبحوث والإنماء المنهاج المطلوب للاستحقاق الرسمي بناءً على استبيان استطلع فيه آراء المدارس بالنسبة إلى المواد والمحاور التعليمية التي دُرّست أو لم تُدرّس في كل لبنان، أرجأت الوزارة البتّ في مواعيد الاختبار الوطني والثانوية العامة وامتحانات الجنوب، ما فتح الأبواب على سيناريوهات وتسريبات غير رسمية. وبات الجميع اليوم ينتظر عودة وزير التربية عباس الحلبي نهاية هذا الأسبوع، من واشنطن حيث يحشد التمويل الدولي لمشاريع تربوية في الوزارة.

وبرز أمس طرح لعضو لجنة التربية النيابية (عضو كتلة التنمية والتحرير) النائب أشرف بيضون بإجراء امتحانات موحّدة لكل لبنان لتوحيد مستوى الشهادة الرسمية، ورفض فيه سلخ الجنوب تربوياً عن باقي المحافظات. أما مراعاة الظرف الاستثنائي الذي تمر فيه مدارس الجنوب، وبنسب متفاوتة مدارس في محافظات أخرى، فيكون، بحسب بيضون، بـ«إسقاط الروزنامة الجنوبية» على كل لبنان، أي تنظيم الامتحانات انطلاقاً من الواقع في الجنوب. وأوضح أن الخطوة الأولى تكون بعقد اجتماعات موسّعة مع المديرين في محافظة الجنوب، باعتبار أن استبيان المركز التربوي يقتصر على تقديم معطيات بشأن المدارس المفتوحة والمدارس المغلقة، ولم يتطرق

> كتلة بري تطرح إسقاط الروزنامة التربوية الجنوبية على كل المحافظات

إلى طبيعة التعليم في المدارس لجهة المعارف والمهارات المكتسبة والحالة النفسية للتلامذة والمعلمين سواء في المدارس الحدودية أو في أماكن النزوح. وسأل بيضون عن إمكان تحديد النطاق الجغرافي للمدارس المتضررة، مشيراً إلى أن «الوضع الأمني المرتبك على امتداد الأراضي اللبنانية يفرض امتحانات استثنائية لسنة واحدة لكل لبنان». وفي ما يتعلق بالمواد الاختيارية، طالب بالانتقال التدريجي لإلزام الطلاب بكل المواد، أي أن يكون نصف المواد إلزامياً في هذا العام ونصفها الآخر اختيارياً، ما يخفّف الأعباء التعليمية والنفسية على الطلاب.

وعمّا إذا كان هذا الطرح متبنّى سياسياً، أوضح بيضون أن حركة أمل لم تبلور الخيار النهائي، لكنها ستطرح على وزير التربية، الأسبوع المقبل، السقف الأساسي الذي لا تتنازل عنه، وهو «الامتحانات الموحّدة ورفض سلخ الجنوب تربوياً عن لبنان».

تقرير

أوروبا تحارب الإنتاج اللبناني

(هروان بو حيدر)

ما هي السلع الفاخرة؟

لم تعمد وزارة الصناعة، بعد، إلى تصنيف السلع الفاخرة، ولم تحدّد آلية للتعامل معها. التوصيف يحتمل الكثير من التفسيرات، إذ توجد اعتبارات كثيرة لتصنيف هذه السلعة فاخرة أو غير فاخرة، لكن هناك سلع ينتج منها ما هو فاخر وما هو غير فاخر، وهذه تمثّل تحدياً كبيراً للتعامل معها، ولا سيما أن الأنظمة الجمركية حول العالم تدرج السلع وفقاً لبنود جمركية، أي تراها السلعة نفسها. فلنأخذ مثلاً، الساعات، فمنها ما هو رخيص جداً وثمن الواحدة منها لا يتجاوز 10دولارات، ومنها ما هو باهظ جداً مثل رولیكس وفيليب ماتيك التي تُجاوز أسعارها 10 آلاف دولار وصولاً إلى أضعاف ذلك. كذلك الأمر بالنسبة إلى الأقلام مثلاً، والجبنة، وعدد من السلع. لذا، ثمة من اقترح التعامل مع هذه السلع ربطاً بسعر استيرادها، الذي إذا تجاوز مستوى معيّناً تفرض عليه الرسوم مباشرة، وهذه الطريقة يمكن تطبيقها في النظام الجمركي. المشكلة أن وزير الصناعة جورج بوشكيان وعد بمعالجة الموضوع وحتى الساعة بقي بلا علاج.

رلى إبراهيم

ورد في موازنة 2022 المادة 74 التي ترمي إلى حماية الصناعات اللبنانية عبر فرض رسم جمركي لمدة خمس سنوات نسبته 10% على السلع والبضائع التي تستورد رغم وجود مثيل محلي لها، وعلى السلع والبضائع المصنّفة «فاخرة». وأتى هذا الإجراء في إطار حماية القطاعات الإنتاجية المحلية وتعزيز قدراتها التنافسية مع السلع المستوردة المعفاة من الرسوم بموجب اتفاقيات تجارية. إذ تحوّلت هذه الاتفاقيات إلى أبرز أدوات موت الصناعة وزيادة عجز الميزان التجاري. لكن حتى الآن، أي بعد مرور سنتين على إقرار القانون، لم يطبّق حرف واحد منه.

سبب صعوبة التطبيق يعود إلى أمرين: أولها أن القرار لا يتضمن معايير واضحة للتطبيق وتصنيف السلع الفاخرة، وثانيها أن الاتحاد الأوروبي مارس ضغوطاً واسعة لمنع تطبيقه. الأكيد أن المعنيين في الحكومة خضعوا لهذه الضغوط بدلاً من العمل على توضيح آليات التطبيق. وبحسب المعلومات، تحركت سفيرة الاتحاد الأوروبي فور إقرار المادة 74 وشروع وزارة الصناعة في إعداد لائحة بالسلع المفترض حمايتها. وزارت رئيس الحكومة نجيب ميقاتي لتبلغه امتعاض بلادها من فرض هذه الرسوم، مشيرة إلى أن الاتفاقية التجارية التي وقعها الطرفان في عام 2006، ستتعرّض لضرر بسبب تطبيق هذا القانون. كان لها ما أرادت؛ سريعاً أبلغ ميقاتي من يعنيهم الأمر بضرورة تجاوز هذه المادة واعدا السفيرة بأن الرسوم الإضافية على الاستيراد لن تطبق طالما هو موجود في السراي. وكان لافتاً أن وزير الصناعة جورج بوشكيان لم يعد مستعجلاً في عرض لائحة السلع المشمولة بالحماية الجمركية والتي أعدّها منذ آب 2023، على مجلس الوزراء.

«الأخبار» حاولت الاتصال بوزير الصناعة للاستفسار منه عن التأخر في إرسال اللائحة إلى المجلس لكنه لم يُجب. وتتضمن هذه اللائحة أكثر من 600 سلعة غذائية وصناعية. في الجانب الغذائي أدرجت منتجات الأجبان، الألبان، العسل، الزعتر، زيت الزيتون البكر والزيتون، الشوكولا، رقائق الحبوب المحمصة، الخبز المقرمش، البسكويت المحلى، البطاطا، البطاطا الحلوة، اللوبية، الفاصولياء الحب، الحمضيات، صلصة البندورة، المثلجات، المياه المعدنية والغازية، البيرة والنبيذ، العرق، خل التفاح والعنب، المشروبات الكحولية. وفي الجانب الصناعي أدرج الإسمنت الأبيض وهيدو كلوريت الصوديوم والغرانيت والأحجار الكلسية، وكل ما يصنف ضمن الصناعات الكيماوية كالسيليكون والطلاء والعطور ومستحضرات العناية بالجسم ومنتجات الاستحمام وصولاً إلى مساحيق الجلي والتنظيف. أيضاً تشمل اللائحة صناعة المطاط والبلاستيك الذي يدخل ضمنه كل ما يتعلق بالأنابيب والمواسير والمغاطس والأحواض والشوك والسكاكين، وصناعة الجلود والملابس والمنتجات النسيجية وصناعة المفروشات والخشب والورق والمعادن الأولية. كذلك ثمة فقرة مخصصة للمنتجات المعدنية والكهربائية الفنية (أبواب، توافذ، عتبات، معدات للسقالات، خزانات، أسيجة، مسامير) وللماكينات تعمل على الغاز أو بالغاز والوقود معاً، إضافة إلى الغسالات والبرادات وإنتاج الآلات والمعدات كهربائية وكل ما يتعلق بالصناعة العائدة للمواصلات كالسيارات وسيارات مكافحة الحرائق والصهاريج والقطورات وغيرها، وصولاً إلى صناعة أدوات وتجهيزات مختلفة من الآثاث وصناعة أجهزة الإنارة الكهربائية.

وحتى الآن لا يوادر لفرض تطبيق هذه الرسوم، ولا سيما على السلع المستوردة من الاتحاد الأوروبي. وباستثناء سفيرة الاتحاد، فإن أي من الدول الأخرى لم تسجل اعتراضاً على هذا الإجراء. وهذا الاعتراض يأتي رغم أن الاتفاقية مع الاتحاد الأوروبي تتيح للبنان فرض رسوم حمائية إذا كان لديه عجز في الحساب الجاري وضمناً الميزان التجاري. لكن يبدو أن الحكومة اللبنانية معتادة على هذا النوع من الخضوع الذي سجّل سابقاً في مواجهة استيراد بضائع سعودية وأوروبية وإماراتية ودنماركية ومصرية وسواها.

في هذا السياق، يبدو واضحاً من الميزان التجاري للبنان مع الاتحاد الأوروبي العجز الهائل الذي يتكبدّه. بين عامَي 2019 -2022 بلغ العجز التجاري للبنان مع أوروبا نحو 27,7 مليار دولار، وهذا الأمر محصور بسنوات الأزمة مع تراجع الاستيراد بشكل عام، لكن أكبر بأضعاف إذ قيس منذ توقيع الاتفاقية حتى اليوم. فمنذ توقيع الاتفاقية مع الاتحاد الأوروبي، ترجح كفّة الميزان لمصلحة الاتحاد الأوروبي على حساب الإنتاج اللبناني. حتى إن لبنان لم يستفد لبنان من بنود الاتفاقية التي تنص على برنامج مساعدات فنيّة لمجموعة من الشركات اللبنانية، بهدف تحسين فعاليتها والارتقاء بمستوى الإنتاج إلى المعايير الأوروبية، لزيادة قدرتها التنافسية وتمكينها من توسيع أسواق التصدير. وحرص الاتحاد الأوروبي على جعل المهمة اللبنانية صعبة، لا بل شبه مستحيلة، إذ رفض استيراد الحليب والأجبان والألبان من لبنان بحجة المعايير والمواصفات، وماطل سنوات عدّة قبل الموافقة على إدخال زيت الزيتون اللبناني إلى أسواقه فارضاً شروطاً عديدة على مصدّريه.

> **المادة 34 من الاتفاقية التجارية مع الاتحاد الأوروبي تُتيح للبنان فرض رسوم حمائية**

85%

هي حصّة الاتحاد الأوروبي من استيراد لبنان للألبان والقشدة في عام 2023 حتى شهر آب، بقيمة 4,14 ملايين دولار وبحجم 1136 طناً. وتُشكّل هولندا أكبر مصدر أوروبي للألبان والقشدة بنحو 456 طناً، تليها فرنسا بنحو 280 طناً.

98%

هي حصّة الاتحاد الأوروبي من استيراد لبنان للنبيذ في عام 2023 حتى شهر آب، بقيمة 4,7 ملايين دولار وبحجم 519 طناً، وتُشكّل إيطاليا أكبر مصدر أوروبي للنبيذ بنحو 204 أطنان، تليها فرنسا بنحو 145 طناً

الميزان التجاري بين لبنان ودول الاتحاد الأوروبي (مليار دولار)

الاستيراد والتصدير من الاتحاد الأوروبي 2013- 2023	استيراد	تصدير	العجز التجاري
2014	8.44	0.33	-8.11
2015	7.24	0.30	-6.94
2016	7.25	0.30	-6.95
2017	7.91	0.27	-7.64
2018	7.85	0.35	-7.50
2019	7.27	0.36	-6.91
2020	11.00	0.37	-10.63
2021	4.68	0.44	-4.24
2022	6.07	0.41	-5.66
(حتى شهر آب) 2023	3.37	0.24	-3.13

* تستثني الإحصاءات أرقام بريطانيا

تقرير

تشريع القنّب الهندي لا ينهي الزراعة غير الشرعية!

ماهر سلامة

في عام 2020 أقرّ مجلس النواب قانون يُشرّع زراعة القنّب الهندي لأغراض طبية في لبنان. حينها رُوّج بأن هذا التشريع سيؤمّن إيرادات بالعملات الأجنبية إلى الاقتصاد من دون أن يستند ذلك إلى دراسة جدوى بموجبها يتم تخطيط آليات التنفيذ الملائمة لنجاح هذا التشريع في مواجهة القطاع غير الشرعي. فالوقائع التاريخية لهذه الزراعة في لبنان مقارنة مع التحوّلات الموعودة سنداً إلى دراسات سريعة مثل تلك التي نفّذتها ماكينزي في عام 2018، تُظهر قصوراً حاداً في الرؤية.

في عام 2018، أصدرت شركة «ماكنزي» للاستشارات، تقريراً بعنوان «رؤية لبنان الاقتصادية» تضمّن ملخّصاً لدراسة كاملة عن زراعة القنّب الهندي لأغراض طبية، وكيف يمكن أن يُدرّ إنتاجه نحو 4 مليارات دولار سنوياً. ومنذ إصدار التقرير إلى اليوم، لا يزال وزير الاقتصاد السابق رائد خوري، يستند إلى ما ورد في التقرير للحديث عن القطاعات الموعودة في لبنان. لكنّ المشكلة تكمن في أن التقرير ليس واضحاً لجهة العوائق التي ستواجه هذه الزراعة في حال تنظيمها وفرص تلافيها. فالأرقام التي ذُكرت في التقرير لا تستند إلى أي وقائع، لا من ناحية القدرة الإنتاجية، أي الأراضي الزراعية التي يمكن أن تُنتج هذا النوع من الزراعة، ولا في ما يخصّ قابلية المزارعين للتحوّل إلى هذه الزراعة في حال تم تنظيمها. لذا، لا تتّضح دقّة الإيرادات المقدّرة بنحو 4 مليارات دولار، علماً أن وزير الزراعة الحالي، عباس الحاج حسن يذكر أن الحجم المحتمل للقطاع سيكون 1,5 مليار دولار. هذا الفرق يشي بأن التقديرات تستند إلى تكهنات.

وفي هذا السياق، أصدر عدد من الباحثين (جمال إبراهيم، سالم درويش وحسين زعيتر، ورقة بحثية بعنوان «عن الإمكانات الاقتصادية لزراعة القنب الهندي في لبنان» تفنّد مزاعم تقرير ماكينزي فما ورد في التقرير عن أن قوننة زراعة القنّب ستزيد المساحة المزروعة من صفر هكتار عام 2017 إلى 1000 هكتار عام 2025، وهو أمر مستغرب، إذ إن ذلك لا يستند إلى أي بيانات، فضلاً عن أن القنّب يُزرع في لبنان منذ ما لا يقل عن 100 عام.

ثمة إشكالية أخرى تحدثت عنها الورقة، إذ تقول ماكينزي إنه بحلول عام 2025 سيكون قطاع زراعة القنّب بغالبيته خاضعاً للرقابة، في إشارة إلى نهاية الزراعة غير الشرعية، كما أن تصدير الكميات للأغراض الطبية، سيصبح قانونياً. لكنّ الورقة تشير إلى وجود عقبة أساسية تكمن في إقناع المزارعين غير الشرعيين بالحصول على تراخيص والتحوّل إلى مزارعين شرعيين، ولا سيما في ظل تجربة سابقة، إذ إن الجهود السابقة التي هدفت إلى نشر الزراعات البديلة عن القنّب الهندي لم تنجح، كما أن قمع هذه الزراعات أمنياً لم ينجح أيضاً. أما بالنسبة إلى التصدير، وخصوصاً إلى أوروبا، فهو ليس أمراً بسيطاً لأن المعايير هناك معقّدة وتفرض أن تؤمّن الشركات المستوردة من أوروبا الحبوب «المعتمدة» للمزارعين. بمعنى آخر، هذا الأمر يعني اعتماد المزارعين المفرط على المستوردين. وأي مشكلة قد تنشأ بين المزارع والمستورد، تعني انقطاع المزارع عن مصدر الحبوب «المُعتمدة»، ما يعني أن لجوء هذا المزارع إلى الزراعة غير الشرعية هو مسألة وقت فقط. كما أن حاجة المزارع إلى الحبوب من المستورد، تعني أن دور لبنان سيقتصر على العمالة القليلة الكلفة والأرض الرخيصة مقارنة بأوروبا.

> **التصدير إلى أوروبا يفرض استيراد الحبوب «المعتمدة» منها واعتماد المزارعين المفرط على المستوردين**

أيضاً يشير تقرير ماكينزي إلى نموّ قطاعات فرعية أو متصلة بزراعة القنّب، مثل الشركات التي تعمل في الرعاية الصحية، مع التركيز على الأدوية والمنتجات الطبية القائمة على القنب. وتقدّر ماكينزي أن صادرات هذه القطاعات سترتفع من نحو 800 مليون دولار إلى نحو 1,79 مليار دولار. لكنّ الورقة تشدّد على أن إيراد أرقام كهذه غير مستندة إلى أي بيانات، سببه انعدام المعرفة بإمكانات قطاع زراعة القنّب الهندي في لبنان، إذ تعتمد صادرات المنتجات الطبية القائمة على زراعة القنّب «على القدرة الإنتاجية، والاتفاقيات التجارية، وبراءات الاختراع»، وهذه الثلاثة هي غير واضحة، ما يعيق تقدير حجم النمو في أي قطاع يعتمد على هذه الزراعة.

بالإضافة إلى ذلك، هناك عامل مهم أغفلته ماكينزي، يتعلق بالقدرة التنافسية للزراعة اللبنانية في الأسواق الخارجية. فالأقدمية تلعب دوراً مهماً في الدخول إلى الأسواق، وقد سبق لعدد من الدول أن بدأت تزرع القنّب الهندي للاستخدام الطبّي، ومنها كندا التي تُصدّر إلى ألمانيا وكرواتيا ونيوزيلندا والبرازيل وتشيلي، وهولندا التي تُصدّر إلى أستراليا ومختلف دول الاتحاد الأوروبي بما فيها إيطاليا وألمانيا وفنلندا، بالإضافة إلى الأوروغواي التي بدأت بالتصدير إلى كندا والمكسيك منذ عام 2017.

لذا، يبدو الحديث عن تشريع زراعة القنّب الهندي وإسهاماته في نموّ الاقتصاد، غير موثوق بعد. فالتشريع وحده لا يكفي، بل يحتاج الأمر إلى خطّة متكاملة ودراسات أعمق للقدرات الإنتاجية والأسواق الخارجية المُحتملة بمعاييرها المعتمدة.

(أرشيف)

تقرير

«المركزي» يبحث عن «فترة سماح»

يحاول حاكم مصرف لبنان بالإنابة وسيم منصوري كسب مساعدة المسؤولين في وزارة الخزانة الأميركية من أجل منح لبنان فترة سماح إضافية في ما خصّ تنفيذ ما هو مطلوب منه من منظمة «فاتف». كما تقول مصادر مطّلعة. وهذا الأمر دفع منصوري إلى التحرّك إعلامياً في اتجاه تظهير محاولاته للتخلّص من اقتصاد الكاش. فالمطلوب من لبنان كبح اقتصاد الكاش، ومنع عمليات الصرافة غير المسجّلة، ومراقبة عميقة لعمليات الجوهرجية وتجّار الذهب والأحجار الثمينة، بالإضافة إلى إعادة هيكلة المصارف. ويأتي اقتصاد الكاش على رأس هذه الأولويات، بالتزامن مع إعادة هيكلة المصارف، إلا أن معالجة هذا الملف تصطدم بممانعة محلية كبيرة تجعل اقتصاد الكاش مقاوماً لكل محاولات إنهائه.

وفي هذا السياق، أصدر مصرف لبنان، أول من أمس، بياناً يحاول فيه الإشارة إلى الخطوات التي اتخذها من أجل مكافحة اقتصاد الكاش، ربما من أجل الحصول على المساعدة الأميركية لتأجيل التقييم النهائي الذي سيصدر عن «فاتف» في نهاية الشهر الجاري. يقول مصرف لبنان إنه «يعمل منذ فترة، من أجل إعادة تشجيع استعمال وسائل الدفع الإلكترونية، وتخفيف استعمال الدفع النقدي (الكاش) في السوق اللبنانية». ولهذا السبب، بادر «المركزي» إلى «إعادة تشجيع استعمال بطاقات الدفع بالتنسيق مع المعنيين، ولا سيما شركتي ماستر كرد (MasterCard) وفيزا (VISA) والمصارف والمؤسسات المالية المعنية بإدارة البطاقات وإصدارها. ومن بين هذه الإجراءات العمل على خفض كلفة استعمال بطاقات الدفع محلياً، ولا سيما البطاقات الصادرة خارج لبنان والمستعملة في السوق اللبنانية». كذلك، أشار البيان إلى التعاون والتنسيق مع وزارة المالية «على مشروع اعتماد بطاقات الدفع كوسيلة لتسديد الضرائب والرسوم لدى جميع صناديق وزارة المالية الأساسية المنتشرة على جميع الأراضي اللبنانية وذلك بعد تركيب نقاط بيع (POS Machines) لدى هذه المراكز»، آملاً أن «يبدأ ظهور نتائج هذه المبادرات قريباً».

هذا البيان الذي اتفق عليه في المجلس المركزي لمصرف لبنان، لا يعكس الواقع الفعلي، بل يقول إن مصرف لبنان يقوم بما هو مطلوب منه أميركياً، وأن لا سيطرة له على النتائج التي تتطلب قراراً من السلطة السياسية بمعالجة أوضاع المصارف وتوزيع الخسائر. وهو لذلك، لا يكتفي بالإشارة إلى تشجيع استعمال الدفع بواسطة البطاقات، بل يذكّر بأنه أصدر التعميم 165 «المتعلق بمقاصّة وتسوية الشيكات والتحاويل النقدية بالدولار الفريش والليرة اللبنانية عبر مصرف لبنان. وقد بدأ استعمال التحاويل والشيكات «الفريش» بالارتفاع وأصبحت الشيكات الفريش وسيلة دفع أساسية وآمنة وبديلة من الدفع النقدي (الكاش)».

كل الترويج لاستعمال البطاقات في إطار استعادة الثقة المفقودة بين المصارف والزبائن لا يؤدّي إلى نتيجة. فبحسب مصادر مطّلعة، ما زالت العمليات التي تتم بواسطة البطاقات أو تلك التي تتطلّب مقاصّة بالفريش، متدنّية جداً بعمليات متواضعة ومحدودة.

(الأخبار)

تحقيق

آلاف الأطنان من اللحوم الهندية المجمّدة تدخل لبنان سنوياً و«تختفي» في سوق اللحم. لا أحد يعرف عنها شيئاً، إذ لا تباع كمنتج مجمّد له تاريخ صلاحية، بل تُخلط مع اللحم الطازج وتباع كلحوم بلدية «طازجة». الأزمة الاقتصادية وانعدام الرقابة والفساد عزّزت هذه السوق، فارتفعت نسبة اللحوم الهندية المجمّدة المستوردة من 1558 طناً عام 2019 إلى 10100 طن عام 2022 و7559 طناً في الأشهر الثمانية الأولى من العام الماضي

القانون لا يحمي المستهلكين
أي لحوم يأكل اللبنانيون؟

رجانا حمية

لم يعد تعليق الذبائح على مداخل الملاحم مشهداً مألوفاً. في معظم أماكن بيع اللحوم، أصبحت الذبائح المعلّقة - إن وجدت - أشبه بالزينة، يعلّقها اللحّامون فيما يلبّون طلبات الزبائن من قطع اللحم المكدسة في البرادات. ويقوم البعض بتحضير بعض الأنواع مسبقاً، كاللحم المفروم والشاورما والهمبرغر والمقانق، ليس لتسهيل عمله، وإنما لأنه، ببساطة، يغشّ. إذ يخلط اللحوم المجمّدة المستوردة باللحم الطازج ويبيعها على أساس أنها «بلدي». ولأن قلة من يلتفتون إلى هذا الأمر ولا يميّزون بين الطازج والمجمّد، يمرّ الأمر بسلاسة. «يْضرب» اللحم الطازج بالمجمّد ويباع إلى المستهلك بسعر الطازج، رغم أن أسعار المجمّد أقل بكثير. ويصل الأمر إلى حد قيام بعض اللحّامين بتقديم «عروضات»، فيصل سعر الكيلو إلى ما بين 400 ألف ليرة و500 ألف. هذه «التخفيضات» تدفع إلى السؤال: أي اللحوم نأكل؟ ولماذا لا يتم إعلام المستهلك بما هو معروض أمامه كما يفرض القانون؟

لا أحد يعرف الجواب، ومع الأزمة يكاد يصبح الجواب مستحيلاً، بعدما عزّزت نمطاً مُجيناً من الاستهلاك لدى اللبنانيين، فبات التوجه نحو السلع الأرخص هو الغالب، مع التخلي التدريجي عن عادات غذائية ارتبطت بأصناف لم تعد أسعارها في متناول كثيرين. وهذا ما شجّع التجار على البحث عن بدائل تتناسب مع تراجع القدرة الشرائية للمستهلكين من جهة، وتدرّ عليهم مزيداً من الأرباح من جهة أخرى. وبسبب هذا النمط المتجدّد، لم يعد معظم المستهلكين معنيّين بالسؤال عن النوعية بقدر اهتمامهم بالسعر، وهو ما فتح الباب أمام دخول أصنافٍ وأسماء منتجات كثيرة إلى السوق.

وقد انسحب هذا الأمر بقوّة على اللحوم كسلعة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، إذ بات السعر أيضاً يحكم الاستهلاك، وأصبح المستهلك يبحث عن الأرخص أو «العروضات»، من دون السؤال عن مصدر اللحوم أو نوعيتها. وهذا سمح للتجار ومحال البيع والتعاونيات بعرض أصنافٍ من اللحوم بأسعار متنوّعة، من دون الإشارة في معظم الحالات إلى مصدرها، ومنها اللحوم الهندية المجمّدة التي تدخل السوق بكميات كبيرة لرخص أسعارها من دون أن يتم تحديد نقاط بيعها أو الإشارة إليها. إذ لا تباع كمنتج مستورد، وإنما تُخلط مع اللحوم الطازجة وتباع على أنها «لحوم بلدية». ولا قدرة للمستهلك على كشف هذا الغش، ولا سيما أن اللحوم المجمّدة لا تأتي كذبيحة مكتملة أو أقسام مكتملة من الذبيحة، وإنما على شكل قطع. وهذا ما لا يدركه المستهلك الذي «يدخل إلى الملحمة فيساوم اللحام إلى تلبية طلبه مما هو موجود في البراد، وبذلك لا يعرف المستهلك ما الذي يتناوله»، يقول رئيس جمعية حماية المستهلك زهير برو.

آلاف الأطنان من اللحوم الهندية تُستورد سنوياً و«تختفي» في السوق. لا عنوان لأماكن بيعها، إذ إنّ معظم من يبيعون اللحوم لا يلتزمون بالقانون لناحية الإشارة إلى مصدرها ووضع تواريخ الصلاحية عليها، ما يثير شكوكاً لناحية صلاحيتها للأكل، وفقاً لبرو، «إذ يمكن أن تكون منتهية الصلاحية ولا نعرف بذلك لأن لا معلومات عنها ولا رقابة كافية عليها».

المعروف، شعبياً، أن «اللحام يغش زوجته»، وأن خلط اللحوم ليس أمراً جديداً، ولكنه كان يجري «ع الناعم» قبل أن «يفلت الملقّ» بعد الأزمة ونشهد زيادة ضخمة في استيراد هذه الأنواع من اللحوم. وزاد الأمر سوءاً في الآونة الأخيرة مع استيراد أنواع من اللحوم الهندية بعد الزيادة الكبيرة في استيراده وعدم الإفصاح عنه في الكثير من المحال والملاحم. ودفع ذلك نقابة القصابين ومستوردي وتجار المواشي الحية إلى «تنبيه المواطنين» ودعوة وزارة الاقتصاد «للقيام بإجراءات استثنائية وزيادة دورياتها الخجولة نسبة لحجم الغش الموجود في السوق، خصوصاً أن اللحوم الهندية باتت تستحوذ على ما بين 25% و35% من حجم سوق اللحوم في لبنان حالياً، من دون أن نعرف مراكز بيعها»، بحسب عيد.

منذ 2004

يعود استيراد اللحوم الهندية إلى عام 2004، وترافق مع جدل طويل حول نوعيتها ومدى مطابقتها للمعايير. ووُضعت إثر ذلك لائحة شروط لإدخال الشحنات إلى لبنان، استناداً إلى زيارات ميدانية قام بها أطباء بيطريون مكلّفون من وزارة الزراعة إلى مسالخ في الهند لتحديد المطابق منها وتسجيلها ضمن لائحة المسالخ المسموح بالاستيراد منها.

> **اللحوم الهندية تستحوذ على ما بين 25% و35% من حجم السوق من دون أن تُعرف مراكز بيعها**

إلّا أنّ هذا التدبير لم يلقَ الحذر لدى البعض، إذ من يضمن ما يجري بعد زيارات الأطباء، وهل ينحصر الاستيراد فعلاً بالمسالخ «المطابقة للمواصفات»؟

مع بداية الأزمة الاقتصادية قبل أربع سنوات، عاد الحديث عن اللحوم الهندية بعد الزيادة الكبيرة في استيراده وعدم الإفصاح عنه في الكثير من المحال والملاحم. ودفع ذلك نقابة القصابين ومستوردي وتجار المواشي الحية إلى «تنبيه المواطنين» ودعوة وزارة الاقتصاد

(أرشيف)

قانون حماية المستهلك يدور بين اللجان

لا يزال قانون حماية المستهلك ينتظر التعديلات التي تُدرس في اللجان النيابية وإصدار المراسيم التطبيقية أيضاً. وفي هذا السياق، يشير المدير العام لوزارة الاقتصاد محمد أبو حيدر إلى تكثيف الاجتماعات لتسريع إنجازه، لافتاً إلى أن الوزارة، كمسؤولة عن حماية المستهلك، طالبت بتطبيق 3 معايير لتجعل منه قانوناً حامياً، منها «أن تصبح لدينا ضابطة عدلية تمنحنا صلاحية اتخاذ الإجراء مباشرة وأن ترفع قيمة الغرامات بحيث تصبح رادعة، وأن نُعطى صلاحية الإقفال بالشمع الأحمر». أما الأمر الآخر الأهم، فهو نظام التتبّع الذي يتيح القانون تفعيله، عبر تتبّع اللحوم من المصدر إلى المستهلك «بحيث نعرف من أين تأتي وإلى من تصل وكيف تصل؟»، وفق رئيس جمعية حماية المستهلك زهير برو.

بانتظار أن تُترجم هذه الطلبات، لا قانون يحمي المستهلكين اليوم مع تشتّت الصلاحيات بين أكثر من جهة، والتضارب والتقاطع بينها بما يعيق عملها. وقد أتت الأزمة الاقتصادية لتزيد الطين بلة مع تراجع حملات التفتيش بسبب عجز الإدارات مالياً عن القيام بها واقتصار الأمر على ما هو واجب. ولذلك يتم التعاطي اليوم بـ«الإرشاد»، عبر الطلب مثلاً «من المستهلك أن يطلب من اللحام أن يقطع له من الذبيحة المعلّقة». أي أن يصبح كلّ مواطن خفيراً على نفسه. لكن، ذلك ليس حلّاً، يقول برو، مشيراً إلى أنّ الحل الأمثل هو «بإعادة بناء دولة القانون لا دولة التجار التي تفرض على الملاحم مثلاً بيع نوعٍ محدّد من اللحوم إما طازجاً أو مجمّداً، مع الإشارة في الحالة الأخيرة إلى المصدر وتاريخ الصلاحية».

والاقتصاد والتجارة والصحة. أما على أرض الواقع، فقد لعب تشعّب الصلاحيات دون القيام بالأدوار كما يفترض. إذ تتقاطع صلاحية مراقبة اللحوم والتأكد من جودتها بين جهتين أساسيّتين هما وزارتا الزراعة والاقتصاد. فيما تتدخل وزارة الصحة فقط «في حال حصول إصابات بسبب تناول منتج غذائي ومنه اللحوم»، بحسب رئيسة مصلحة الطب الوقائي في الوزارة الدكتورة عاتكة بري.

تبدأ المهمة، إذاً، من الزراعة التي من مسؤوليتها الكشف عن المستوعبات التي تصل إلى مرفأ بيروت وإجراء الفحوص اللازمة للحوم، مبرّدة للشروط، ادخلتاها إلى السوق، وإن كانت العكس، أتلفتاها»، يقول رئيس مصلحة مراقبة التصدير والاستيراد في الوزارة الدكتور يحيى خطار. ولا تتوقف الشروط، بحسب خطار، عند مطابقتها لمعايير السلامة العامة، وإنما يتوجب على تاجر اللحوم أن يلتزم جملة إجراءات عند كل شحنة، ومنها جزء أساسي يتعلق بـ«الأوراق التي تثبت بأن المسلخ الذي يستورد منه اللحوم حاصل على شهادة جودة ومسجّل في لائحة وزارة الزراعة التي نجري عليها تعديلات دورية بناء على زيارات ميدانية يقوم بها فريق الأطباء المكلّف من الوزارة للكشف على المسالخ». استناداً إلى ذلك، يجزم خطار بـ«أننا متأكّدون من صلاحية اللحوم التي تدخل، ومنها الهندية، ومن مطابقتها لشروط السلامة».

لكن هذا التأكيد، بحسب خطار، محصور داخل المرفأ «حتى بابه» حيث تنتهي صلاحية وزارة الزراعة لتبدأ صلاحية مديرية حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد. وعلى «الطريق» الفاصل بين المرفأ وأماكن توزيع اللحوم، تكمن الأزمة. فبحسب برو «المشكلة ليست في مطابقة اللحوم الهندية للمواصفات في المرفأ، وإنما في سلسلة الاستهلاك، أي بعد خروجها من المرفأ، عبر طريقة التخزين والتبريد والالتزام بتواريخ الصلاحية، لأنه في كثير من الأحيان قد تنتهي صلاحيتها وتباع على أساس أنها صالحة، وقد حصل هذا مراراً».

هذا التكتم يجعل من مهمة مديرية حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد بعد خروجها من المرفأ أمراً شاقاً، فالحمل ثقيل على مديرية تعمل بـ 70 موظفاً تقريباً مكلّفين بمتابعة مخالفات البلاد كلها، من مخالفات المولدات إلى المطاعم والمطاحن والمحال التجارية والملاحم. مع ذلك، «المطلوب منا نفعله»، يقول المدير العام لوزارة الاقتصاد الدكتور محمد أبو حيدر، لافتاً إلى أن الوزارة تقوم دورياً بجولات للكشف عن المخالفات. وفي هذا السياق، يشير أبو حيدر إلى أن الجولات التي قام بها على الملاحم والمحال التجارية التي تحوي أقساماً لبيع اللحوم، كان لافتاً فيها أمران أساسيان «أولهما عدم إعلام المستهلكين بأن هذه اللحوم مجمّدة وليست طازجة أو أنها لحوم هندية بحيث نعطي الخيار للمستهلك في انتقاء ما يريده وهذا ما ينطبق عليه مصطلح الغش التجاري، وثانيهما وهو الأخطر، هو خلط اللحوم الطازجة باللحوم المجمّدة، وهو ما لا تستطيع حملات المداهمات ولا الفحوص الكشف عنه، إذ يمكن بالفحص أن نثبت أن اللحم المفروم مطابق أو غير مطابق، ولكننا لا نملك وسائل في المختبر تثبت أن هذا اللحم مخلوط»، جل ما يمكن أن «نقوم به في هذه الحالة هو طلب الفواتير لنطابق بين الكمية المستوردة والكمية التي تُباع، وفي حال المخالفة، نعمد إلى إقفال الملحمة وتحويلها للقضاء»، ولكن هل هذه الوسيلة كافية؟ يجيب أبو حيدر «لا»، وحتى التحويل إلى القضاء دونه عائقان أساسيان يتعلقان بطول مدة «إقامة» الملف قبل صدور القرار «ونحن لا يمكننا السؤال عن الملفات باعتبار أن ذلك يعدّ تدخّلاً في القضاء»، والأمر الآخر يتعلق بعدم وجود عقاب رادع، إذ إنّ الغرامة لا تزال بدائية وقيمتها منخفضة جداً.

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4574

أفقيا

1- بلدة لبنانية في قضاء الشوف – 2- مدينة كنعانية في سوريا – إشتاق – 3- قطعة من معدن أو خشب تدق في الحائط – إحدى القارات – 4- للندبة – ملهى اللغة – متشابهان – 5- مدينة عراقية – ينفر من الظلم – 6- مدينة في ولاية نبراسكا الأميركية – 7- ضعف ورق – من العملات – عالم الوجود – 8- سوط – سكب الماء – 9- في الطليعة – مدينة سياحية تركية – 10- عاصمة دولة هوندوراس

عمودياً

1- أديب لبناني من كبار رجال الصحافة تولى جريدة الأهرام – 2- ولاية أميركية – مدوّر الشكل – 3- طيب العيش واتساعه – حب – أصبح بافعاً – 4- نعم بالروسية – خاصتك – هرّ بالأجنبية – 5- صانع الورق – الجصّ الذي يبنى به – 6- جزيرة في المحيط الهندي – نعم بالأجنبية – 7- يدعهم وشأنهم – ما بين العين والأذن – 8- مغني بلجيكي راحل – 9- بزرة – ضمير منفصل – تهيّأ للحملة في الحرب – 10- قناة مائية حفرها الفرنسي فرديناند دي ليسبس

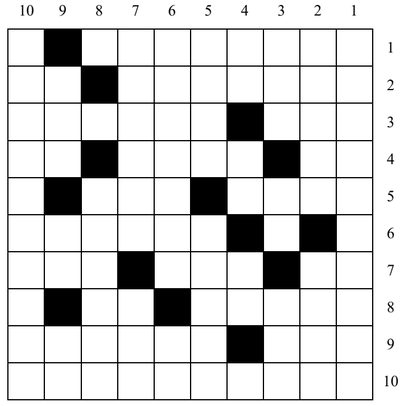

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- بشار بن برد – 2- ساكرامنتو – 3- اس – أحبّ – ريّا – 4- نكار – أجّ – تل – 5- حالك – برأ – 6- راست – شبر – 7- مردقوش – 8- لا سال – أو – 9- لم – هيّا – خلط – 10- الإنتهازية

عمودياً

1- ساندريللا – 2- باسك – امل – 3- شك – إحساس – 4- ارارات – أهنِ – 5- راح – مليّت – 6- بمبا كشر – آه – 7- ن ن – بدر – 8- بتر – برق – خزِ – 9- رويتر – والي – 10- الأنشوطة

sudoku 4574

	4	5	9					
6		7	4	8			2	
	8	2	1					
2								6
8	5			4			9	1
4								2
	2				7	5		
	3	1		9	8	2		4
	6				4	9		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4573

9	3	6	5	1	7	2	4	8
7	1	4	2	8	6	9	3	5
2	5	8	3	4	9	7	6	1
5	6	7	1	2	4	3	8	9
3	8	9	6	7	5	4	1	2
4	2	1	8	9	3	5	7	6
8	7	5	4	6	2	1	9	3
6	4	2	9	3	1	8	5	7
1	9	3	7	5	8	6	2	4

مشاهير 4574

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ناشطة حقوقية مصرية قبطية. مثلت مصر في لجنة قانون التجارة الدولية في الأمم المتحدة

9+8+6+7+5 = يجتمع بالأحبة ■ 4+3+2+1 = ملك انكليزي ■ 11+10 = عملة آسيوية

حل الشبكة الماضية: **ويليام هيرشل**

طوفان الأقصى

إيران لم ترَ ردّاً: «اليد العليا» لنا

تباينت الروايات حول سبب الانفجارات في محافظة أصفهان وسط إيران، فجر يوم أمس. ففيما تحدّثت وسائل إعلام إسرائيلية وغربية عن «هجوم صاروخي إسرائيلي» استهدف إحدى «المنشآت العسكرية» الإيرانية، نفت وسائل إعلام ومسؤولون في إيران أن يكون هناك هجوم صاروخي، لافتةً إلى أن دويّ الانفجارات جاء نتيجة تفعيل منظومة الدفاع الجوي الإيرانية. وإذ لم يصدر أيّ تعليق عن الجيش الإسرائيلي، حتى مساء يوم أمس، إلا أنّ صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية نقلت عن مسؤول إسرائيلي، قوله إن «جيشنا شنّ غارة جوّية داخل إيران، ردأ على هجومها بالصواريخ والمسيّرات

طهران - **محمد خواجوئي**

نطنز النووية وليس المنشأة نفسها»، وإن «إسرائيل هاجمت هدفاً واحداً في القاعدة العسكرية، ولكن بعدّة ضربات»، مستخدمةً في هجومها على «أنظمة الدفاع الجوّي» في القاعدة في أصفهان «صواريخ ومسيّرات»، ممّا أظهر، بحسب المصدر، أن «الدفاعات الجوية الروسية الصنع غير فعّالة».

في المقابل، أفادت وكالة «فارس» للأنباء، المقرّبة من «الحرس الثوري»، بأن «دويّ ثلاثة انفجارات سُمع بالقرب من قاعدة عسكرية في مدينة أصفهان في وسط البلاد»، فيما قال التلفزيون الرسمي الإيراني إنه «بعد منتصف الليل بقليل، شوهدت ثلاث طائرات مسيّرة في سماء أصفهان، وجرى تفعيل نظام الدفاع الجوي وتدمير هذه المسيّرات في السماء». بدوره، أوضح القائد العام للجيش الإيراني، اللواء عبد الرحيم موسوي، في حديث صحافي أمس الجمعة، أن «صوت الانفجار في سماء أصفهان كان مرتبطاً بإطلاق أنظمة الدفاع الجوي النار على جسم مشبوه، والذي لم يسبّب أيّ حادث أو ضرر». وسارعت «الوكالة الدولية للطاقة الذرية»، في هذا الوقت، إلى إصدار بيان تؤكد فيه أن أيّ أضرار لم تلحق بالمواقع النووية الإيرانية، مشدّدة على أن «المنشآت النووية يجب ألا تكون هدفاً على الإطلاق في النزاعات العسكرية».

وبعد هجوم إيران على إسرائيل يوم السبت الماضي، بـ 300 صاروخ وطائرة مسيّرة ردّاً على استهداف الأخيرة القسم القنصلي في السفارة الإيرانية في دمشق، هدّدت السلطات الإسرائيلية بالردّ على هذا الهجوم، ما زاد التكهنات في الأيام الماضية حول طبيعة الردّ على الردّ وتوقيته؛ علماً أن العديد من المسؤولين الغربيين نصحوا إسرائيل بالامتناع عن تنفيذ هجوم مضادّ أو حتى ردّ محدود، لئلّا يؤدّي ذلك إلى زيادة التوتّرات، وتدرّج الأمور نحو ردود متبادلة. وبحسب «القناة 12» العبرية، فإن وزارة الخارجية طلبت من سفاراتها حول العالم الامتناع عن الإدلاء بتصريحات عن التقارير الخاصة بالهجوم في إيران، إلا أن تالي غوتليب، عضو «الكنيست» عن حزب «الليكود» الذي يقوده رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، لمّحت إلى أن إسرائيل هاجمت إيران، فيما لم تتبنَّ تل أبيب العملية رسمياً. ولم تكن غوتليب الوحيدة التي علّقت على المسألة، إذ وجّه مسؤولون في الحكومة والمعارضة الإسرائيلية انتقادات لوزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، بعدما لمّح هو الآخر إلى مسؤولية تل أبيب عن الهجوم الذي استهدف إيران فجر الجمعة. وكتب بن غفير، زعيم حزب «القوة اليهودية» اليميني المتطرّف، في منشور عبر منصة «إكس» كلمة واحدة: «ضعيف»، ما يشير إلى اعتراف ضمني بمسؤولية إسرائيل. وتعليقاً على ما تقدّم، نقلت هيئة البث الإسرائيلية عن وزراء، لم تسمّهم، قولهم: «مثل هذه التصريحات من شأنها أن تعرّض أمن الدولة للخطر».

وعلى رغم أن طبيعة الانفجارات في أصفهان لا تزال غير واضحة، فإنه حتى لو صحّ الهجوم الصاروخي الإسرائيلي، فلا يعدو كونه «رمزيّاً»، علماً أنه لا يزال من غير الواضح ما إذا كان الردّ على الردّ قد انتهى، أو أن هجمات إضافية ستقع.

وفي هذا الإطار، قال مصدر أمني مطّلع في إيران، طلب عدم ذكر اسمه، في حديث إلى «الأخبار»، إن «تصرّفات إسرائيل في أصفهان كانت محدودة، وأظهرت أنها تجنّبت تصعيد التوتّر في هذا الوقت بسبب القلق من عواقب الردّ الإيراني القوي». وأضاف أن «الهجوم الإسرائيلي على قاعدة عسكرية في أصفهان أبعاده كانت أقلّ من الهجوم الإيراني الأخير الذي نُفّذ بـ 300 طائرة مسيّرة وصاروخ. ولذلك، فإن لإيران اليد العليا في ميزان القوى الجديد ضدّ إسرائيل، وبالتالي فإن طهران لا تسعى إلى زيادة التوتّر في هذا الوقت وبعد هذه التطوّرات». وتوقّع المصدر أن تهدأ الجولة الجديدة من التوترات المباشرة بين إيران وإسرائيل، لكن التنافس والمواجهة بين الجانبَين سيستمران في شكل معارك خفيّة، بحسب تعبيره.

وبعد تقارير عن هجوم إسرائيلي على مدينة أصفهان، أعلن وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، أن بلاده أبلغت إسرائيل أن إيران «لا تريد تصعيداً». وقال لافروف، في مقابلة مع محطات إذاعية روسية: «حصلت اتصالات هاتفية بين قيادتَي روسيا وإيران وممثّلينا والإسرائيليين. أوضحنا... أبلغنا الإسرائيليين في هذه المحادثات أن إيران لا تريد تصعيداً». كما دعت بعض الدول العربية، بما فيها الإمارات وسلطنة عمان ومصر والأردن، في بيانات رسمية منفصلة أمس الجمعة، إلى ضبط النفس وتجنّب التصعيد في المنطقة، وإنهاء الانتقام المتبادل بين إسرائيل وإيران.

دعت بعض الدول العربية الى ضبط النفس وتجنب التصعيد (أ ف ب)

> لا يزال من غير الواضح ما إذا كان الردّ على الردّ قد انتهى، أو أن هجمات إضافية ستقع

علي إسرائيل»، مضيفاً أن «الهدف من الضربة إرسال إشارة إلى طهران بأن لدينا القدرة على الضرب داخل إيران». وادّعت صحيفة «جيروزاليم بوست»، من جهتها، بأن «الهجوم الإسرائيلي على أصفهان نفّذته طائرات بصواريخ بعيدة المدى، ولم يكن بمسيّرات أو صواريخ أرض - جو». ووفق ثلاثة مصادر مطّلعة تحدثت إلى وكالة «رويترز»، فإن «الولايات المتحدة لم تشارك في الهجوم، لكن إسرائيل أبلغتها قبل تنفيذه». ومن جهتها، نقلت شبكة «فوكس» الإخبارية عن مصدر أميركي قوله، إن «هدف الضربة الإسرائيلية كان قاعدة عسكرية في أصفهان تقع بالقرب من منشأة

إسرائيل تشيح بوجهها: الردّ «المسخرة» لا يردع

بيروت حمود

في وقتٍ امتنعت فيه إسرائيل رسمياً عن إعلان مسؤوليتها عن «الضربة التي شنّتها على إيران» فجر أمس، ارتأى وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، وعضوة «الليكود» طالي غوتليب، الجهر بهذه المسؤولية. وإذ اكتفى الأول بالتغريد بهزء، بكلمة واحدة، على منصة «إكس»، عدّ فيها الهجوم «ضعيفاً»، وهو ما اعتبره زملاؤه «تصرفاً صبيانياً وغير لبق صلة بأي نقاش ومضرّاً لإسرائيل»، فإن غوتليب اختارت الطريقة الاحتفالية، إذ كتبت: «صباح الخير لشعب إسرائيل العزيز. هذا صباح يُرفع فيه الرأس بفخر. إسرائيل دولة قويّة ومستقلّة. نعيد إلى أنفسنا قوّة الردع». ونيابة عن منشوراً بـ«آية» من «مزمور داوود» تُقرأ في الصلوات درءاً للخطر وساعات الضيق، قائلةً: «وَعَلى أَدُومَ أَلْقي حِذائي... مَنْ يَهْدِيني إِلى أَدُومَ... بِعَوْنِ اللهِ نُحارِبُ بِبَأْسٍ، وَهُوَ الَّذي يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا».

وبموازاة ذلك، أفادت وسائل إعلام عبرية بأن «الدفاعات الجوية الإسرائيلية في حالة استنفار قصوى»، فيما أوعزت وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى سفرائها حول العالم بعدم التطرق إلى الهجوم «المنسوب إلى إسرائيل». وطبقاً لما قاله مسؤول رسمي، فإن «الهجوم على إيران هدفه التوضيح للأخيرة أن لدى إسرائيل القدرة على المهاجمة في أراضيها»، وذلك في إطار الردّ على الهجوم الإيراني الذي تعرّضت له إسرائيل مطلع الأسبوع. على أن هذه العملية، والتي جرى تصديرها إعلامياً على أنها الردّ المأمول منه عدم جرّ المنطقة إلى حرب إقليمية، غير مستّقة إطلاقاً مع حجم الضربة الإيرانية، فيما لا يبدو مضموناً تخويلها إسرائيل الاستمرار في استراتيجية «مبام» (المعركة بين الحروب). وحتى على مستوى الصور ومقاطع الفيديو التي تسهم في تشكيل الوعي، لم تتمكّن إسرائيل، أمس، من الخروج ولو بصورة واحدة تحفظ ماء وجهها في حرب «سماوات الشرق الأوسط المفتوحة أمامها»، بحسب تعبير وزير الأمن، يوآف غالانت.

وفي هذا الإطار، رأى المحلل والمعلّق العسكري لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، رون بن يشاي، أن الهجوم الذي نُفّذ ضد منشأة عسكرية تابعة لسلاح جو الحرس الثوري الإيراني، «يسمح لإيران باحتواء ما جرى من دون الانجرار إلى جولة أخرى مدمّرة». وفي المقابل، توقّف المحلل العسكري لصحيفة «هآرتس»، عاموس هرئيل، عند التصريحات الأميركية التي عدّها «إيضاحاً قاطعاً بأن من نفّذ الهجوم هو إسرائيل»، معتبراً «أننا قريبون على ما يبدو أكثر مما سبق من خطر نشوب حرب إقليمية واسعة؛ فهذا الهجوم هو الأول من نوعه، وهو استهداف واضح مدوٍّ»، مضيفاً أنه «حدث يبدو أنه ليس بالإمكان إخفاؤه

> أوعزت وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى سفرائها حول العالم بعدم التطرق إلى الهجوم «المنسوب إلى إسرائيل»

ولا التنكر له، فهو ليس مشابهاً للهجوم في كرمشاه قبل سنتين والمنسوب إلى إسرائيل، والذي خلاله دُمّر مصنع لإنتاج طائرات مُسيّرة»، مذعياً أن ما تناقلته وسائل الإعلام الإيرانية، ومن ضمنها الرسمية، حول إحباط الهجوم الإسرائيلي «قد يكون محاولة لتهدئة النفوس وإعفاء النظام في طهران من الرّد».

لكن موقع «والا» أوضح أن الهجوم الإسرائيلي أتى في ضوء الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة ودول غربية على إسرائيل لضبط النفس، وعدم استدراج إيران إلى مواجهة مباشرة ومتواصلة. وكان أكثر من مسؤول أميركي رسمي قالوا، في الأيام الماضية، إن القرار الإسرائيلي بالردّ على هجوم إيران هو «قرار سيادي إسرائيلي»، في إشارة إلى إعفاء واشنطن نفسها من المسؤولية عن تبعات ما ستقوم به تل أبيب. وإذ زعم أن الهجوم استهدف الموقع الذي انطلقت منه الطائرات المُسيّرة التي هاجمت إسرائيل، فقد عدّه «عملية مركّزة تتيح للإيرانيين حيز إنكار، وتسمح بألا يُستدرج في أعقابها رد على رد». أما السبب في ذلك، فهو «إرضاء الولايات المتحدة، ومواصلة التركيز على قطاع غزة كساحة حرب أساسية، لأن فتح جبهة حربية جديدة ليس مصلحة إسرائيلية الآن». وكرّر الموقع الحديث عن أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لم تقدّر النوايا الإيرانية (بعد الاغتيال الذي نفّذته إسرائيل في دمشق)، و«شراسة طهران المتغيّرة في ضوء تقاربها المتزايد من موسكو». كما أن مصدر القلق في إسرائيل نابع من «تغيير في قواعد اللعبة»، متمثّل في قرار الإيرانيين إخراج الحرب بين الطرفين إلى الضوء وتحويلها إلى مواجهة مباشرة. وبهذا، بات على المنظومة الأمنية في إسرائيل أن تأخذ في الحسبان ردّ فعل إيرانياً مباشراً إنْ قامت بعملية عسكرية ضد المصالح الإيرانية في الشرق الأوسط».

من جهتها، نقلت «القناة 12» الإسرائيلية عن مصدر مقرّب من رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، قوله إنه «لا أحد يريد الآن حرباً مع إيران وأثبتنا لهم أننا قادرون على اختراقهم»، وإن «أمامنا الآن مهام أكثر أولويّة وأهمية وهي جبهتا غزة ولبنان». وتطرقت القناة إلى تهديدات مسؤولين إيرانيين بأن أي هجوم إسرائيلي سيقابل فوراً بهجوم إيراني واسع ومؤلم، معتبرة أنه بخلاف الماضي، عندما تمكّنت إيران من احتواء أو إخفاء هجمات منسوبة إلى إسرائيل «فإن هذا أصبح مستحيلاً». ورأت أنه عقب عودة الحياة إلى مجراها في إيران إثر الهجوم بساعات، فإن «السؤال الذي لا أحد يملك الإجابة عليه هو ما إذا كانت محاولة إيران وضع قواعد مختلفة ومعادلة جديدة في المعركة مقابل إسرائيل قد نجحت فعلاً».

وبحسبها، فإن «الرسالة الإيرانية إلى إسرائيل هذا الأسبوع كانت واضحة، ومفادها أن المعركة بين الحروب قد انتهت. وإيران رسمت خطاً أحمر حول الهجمات الإسرائيلية في سوريا على عناصرها وضد تموضعها في هناك». وأشارت القناة إلى أن «اللغز الكبير هو حول طبيعة رد إسرائيل في المرّة المقبلة عندما تتوفر معلومات بشأن تحرك ضابط تابع لقوة قدس في سوريا، أو عندما تتوفر معلومات بشأن نقل أسلحة إيرانية إلى حزب الله من طريق سوريا. فهل بعد جولة الضربات المباشرة غير المسبوقة هذا الأسبوع، سيكون قرار إسرائيل بشن هجوم وتصعيد مباشر آخر مقابل إيران؟ متاحاً.

الغرب ينطق عن إسرائيل
فلْنقلب الصفحة

خضر خروبي

استحوذت الأنباء الواردة عن هجوم إسرائيلي على عدد من المنشآت الواقعة في مدينة أصفهان الإيرانية، على اهتمام وسائل الإعلام الغربية، التي وضعتها في خانة ما يمكن وصفه بـ«الرسائل السياسية»، أكثر من كونه «ضربة عسكرية»، فيما مالت ردود الفعل الصادرة من الداخل الإيراني إلى التهوين من الواقعة. ومن جهتهم، استخفّ عدد كبير من الناشطين الإيرانيين على مواقع التواصل الاجتماعي بـ«هجوم أصفهان»، وعدّوه «تافهاً» من خلال مقارنته مع الهجوم الواسع الذي شنّته إيران على الأراضي الفلسطينية المحتلة، فيما راج مقطع فيديو لطفلة إيرانية، وهي تقوم بمحاكاة للهجوم الجوي على أنّه نُفّذ بطائرات من ورق.

«ردّ محدود»

وفي معرض تقييمها للواقعة، لفتت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى أن نزعة التكتّم التي خيّمت على إسرائيل وإيران، حيال الهجوم الجوّي الذي تعرّضت له أصفهان، تشي بأن «كلتيهما تريدان تجنّب التصعيد». ونقلت الصحيفة الأميركية عن مسؤولين إسرائيليين، تأكيدهم أن تل أبيب تقف وراء الهجوم الذي وقع فجر الجمعة، وأنه يندرج في إطار «ردّ (عسكري) محدود يهدف إلى تجنّب تصعيد التوترات» مع إيران. ورصدت تحليلات بعض مقدّمي البرامج الإخبارية العبريّة، والذين قال عدد منهم إن الهجوم «لا يبدو أنه قد ألحق أضراراً كبيرة بالمواقع العسكرية». وفي السياق نفسه، وضعت محلّلة الشؤون الدبلوماسية في «القناة 12» العبريّة، دانا فايس، ما تعرّضت له إيران في خانة ما درجت عليه إسرائيل من «القدرة على القيام بمناورات عسكرية على درجة عالية من الأناقة، بحيث لا تُحدث صخباً، أو تتسبّب بأضرار عسكرية كبيرة»، مبيّنة أن هذا النوع من الهجمات «يمكّنها من إيصال الرسالة التي تريدها». لكن شبكة «سي إن إن» الأميركية أشارت إلى أنّ صور الأقمار الاصطناعية لا تُظهر أيّ أضرار كبيرة في قاعدة أصفهان الجوّية، في حين نقلت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية عن مصدر أوروبي رفيع، تأكيده أن ما بادرت إليه إسرائيل «يشكّل تدبيراً (عسكرياً) بسيطاً» من جانبها. وكشفت الصحيفة البريطانية أن الجانب الإسرائيلي أعطى ضمانات للجانب الأميركي بعدم استهداف طهران، والمناطق المجاورة.

ضربة لـ«الاستهلاك المحلّي»

بدورها، نقلت صحيفة «واشنطن بوست»، عن مصدر مطّلع على المناقشات الرسمية الإسرائيلية، قوله إنّ قرار استهداف أصفهان «تمّت هندسته بعناية»، وإنّ «مجلس الحرب الإسرائيلي عمل على صياغة خطّة تحرّك من شأنها ردع إيران من دون التسبّب بوقوع خسائر كبيرة أو أضرار واسعة النطاق، على نحو يجبر طهران على الرد عبر تنفيذ جولة أخرى من الهجمات». ورجّحت الصحيفة أن تكون «الضربة الإسرائيلية قد تم تصميمها لتأخذ طابعاً استعراضياً، مع الحرص على أن يترتب عليها وقوع ضحايا وأضرار مادية ضمن الحدود الدنيا»، معتبرة أنه «في ظل التزام إسرائيل بالصمت بعد الهجوم، واستهانة إيران بأهميته، يبدو أن الجانبَين يأملان في أن تكون الردود العسكرية المتبادلة بينهما حتى الآن كافية لإرضاء الجمهور المحلّي للطرفين، من دون الحاجة إلى التسبّب بالمزيد من التصعيد». وفي إطار الحديث عن التداعيات المحتملة، قدّر الخبير الأمني في الجامعة الوطنية الأسترالية، تشارلز ميلر، أن «الأمور قد تهدأ» بين إسرائيل وإيران، معتبراً أنّ «كلتيهما تريدان في الواقع أن تظهرا بمظهر الطرف القادر على القيام بإجراءات (عسكرية ضدّ الطرف الآخر)، وذلك من دون المخاطرة بالقيام بأيّ عمل استفزازي للغاية».

ما حقيقة الدور الأميركي؟

تقاطعت تقارير إعلامية غربية عند حقيقة الضغوط التي مارستها العواصم الغربية على إسرائيل، لتجنّب تصعيد التوترات مع إيران، وتنسيقها مع حكومة بنيامين نتنياهو في مرحلة ما قبل الضربة على أصفهان، وهذا ما أكده وزير الخارجية الإيطالي، أنطونيو تاغاني، حين قال إنّ «الحجم المحدود الواضح للهجوم كان نتيجة جهود مجموعة السبع»، كاشفاً أنّ إسرائيل أبلغت واشنطن مسبقاً في شأن الضربة. من جهتها، نقلت شبكة «إن بي سي» عن مصدر أميركي، تأكيده أن الولايات المتحدة لم تشارك في الضربة الإسرائيلية على إيران، فيما أفادت تسريبات بأن المسؤولين الأميركيين، وخلال محادثاتهم مع نظرائهم الإسرائيليين، قد توصّلوا إلى قناعة بأن تل أبيب لن تستهدف أيّ منشآت نووية إيرانية. وكان وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أكّد لدى لقائه مجموعةً من قادة المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة الثلاثاء الماضي، أنّ المزيد من التصعيد مع إيران ليس في مصلحة الولايات المتحدة أو إسرائيل.

> صور الأقمار الاصطناعية لا تُظهر أيّ أضرار كبيرة في قاعدة أصفهان الجوّية

المقاومة العراقية متأهّبة: العدو يشتري وهماً

بغداد - **الأخبار**

اعتبرت «المقاومة الإسلامية في العراق» أن تضخيم إسرائيل واقعة استهداف إيران، لا يعدو كونه مسعى من قبل العدو لشراء «نصر موهوم»، مرجّحة أن تكون إسرائيل قد حرّكت بعض أدواتها داخل الجمهورية الإسلامية لضرب بعض المواقع، وبالتالي فشلت.

ويقول عضو المكتب السياسي لـ«حركة النجباء» العراقية، فراس الياسر، في تصريح إلى «الأخبار»: «إننا حتى الآن نحتاج إلى تدقيق أكبر لمعرفة هل بالفعل تمّ استهداف إيران، وما طبيعة هذا الاستهداف؟ ولكن بشكل عام، إسرائيل تحاول أن تشتري نصراً موهوماً. لذلك، وبحسب بعض السيناريوات، قامت بتحريك بعض أدواتها داخل الجمهورية الإسلامية لاستهداف بعض المواقع، وبالتالي فشلت». ويرى أن «اكتفاء العدو بتبني الهجوم من خلال الصحف الإسرائيلية، يدل على ضعف واضح». ملاحظاً أنه «لم يتجرّأ حتى هذه اللحظة على القيام بعملية مماثلة لتلك التي قامت بها الجمهورية الإسلامية. وهذا إخفاق استراتيجي».

ويؤكد الياسر أن «المقاومة الإسلامية في العراق» ستتحرّك إذا ساعدت الولايات المتحدة، إسرائيل، في الاعتداء على إيران انطلاقاً من قواعدها في العراق وسوريا، معتبراً أن «واشنطن ربما تحاول أن تمرّر رداً إسرائيلياً على ألا يصل إلى حرب مفتوحة. وتحذيرات الرئيس جو بايدن لبنيامين نتنياهو واضحة، حيث يحتاج الكيان الغاصب إلى رد موضعي بسيط. وبالتأكيد، إذا تبيّن لدى المقاومة الإسلامية بأنه جرى استخدام القواعد الأميركية سواء في العراق أو سوريا سيكون هناك ردّ مزلزل». كما يؤكد أن «المقاومة العراقية مستمرة في ضربها الأهداف الإسرائيلية في الأراضي المحتلة»، مضيفاً: «أننا سبق أن استهدفنا في الأشهر الماضية إسرائيل، وقمنا بما يقارب الـ14 ضربة ضد أهداف حيوية فيها خلال شهر واحد».

من جهته، يؤكد القيادي في «الحشد الشعبي»، أبو علي العتابي، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «الرد الإيراني على الكيان جعلنا جميعاً في حالة فخر وانتصار، لأن أي دولة أخرى لم تتجرّأ على رمي طلقة واحدة ضد الاحتلال»، مضيفاً أن «المقاومة جاهزة لمواجهة أي عدوان، ولا تسمح باستخدام أراضيها أو القصف على أراضيها سواء من قبل الكيان الصهيوني أو الأميركيين».

عدوان إسرائيلي جديد جنوب سوريا

في سياق التصعيد الإسرائيلي المستمر في المنطقة منذ معركة «طوفان الأقصى»، والتي فشل الاحتلال في تجاوزها ولا يزال غارقاً فيها، وبالتزامن مع ما أشيع عن «رد إسرائيلي» على الاستهداف الإيراني لمواقع عسكرية في العمق الإسرائيلي، رداً على جريمة استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، نفّذت قوات الاحتلال عدواناً طاول مواقع تابعة للدفاع الجوي السوري جنوب البلاد.

وذكرت وزارة الدفاع السورية، في بيان مقتضب، أنه «حوالى الساعة 2:55 فجراً (الجمعة) شنّ العدو الإسرائيلي عدواناً بالصواريخ من اتجاه شمال فلسطين المحتلة، مستهدفاً مواقع دفاعنا الجوي في المنطقة الجنوبية، وأدى العدوان إلى وقوع خسائر مادية»، في وقت أفاد فيه ناشطون بأن الاعتداء طاول مواقع تابعة للدفاعات الجوية السورية، وبشكل خاص منظومة الإنذار المبكر. من جهتهم، تحدث ناشطون معارضون، يقومون برصد الأهداف الإسرائيلية في سوريا، عن أن الاعتداءات استهدفت بشكل رئيسيّ «كتيبة الرادار الواقعة قرب مدينة إزرع»، في درعا.

وتمثّل الهجمات المتكررة والمنهجة على منظومات الدفاع الجوي والإنذار المبكر، جزءاً من استراتيجية إسرائيلية تهدف إلى تحييد القدرات الجوية السورية بشكل يسمح بتنفيذ اعتداءات بأريحية أكبر. غير أن الدفاعات الجوية، وعلى الرغم من كل الاعتداءات التي طاولتها على مدار سنوات الحرب في سوريا، سواء من قبل الفصائل المسلحة التي استهدفتها بشكل مقصود مراراً، أو من قبل إسرائيل، تابعت عملها، وفق القدرات المتاحة. وهي تمكنت من إسقاط مئات الصواريخ التي أطلقتها إسرائيل، علماً أن القوات الإسرائيلية تقوم، منذ نحو ست سنوات، بتنفيذ هجماتها من خارج المجال الجوي السوري، بعدما نجحت الدفاعات الجوية السورية في إسقاط طائرة «F16» اخترقت ذلك المجال في شهر شباط عام 2018.

وتمتلك سوريا منظومات إنذار وتتبّع ثنائيّة وثلاثيّة الأبعاد يتجاوز مداها الـ 350 كيلومتراً، بحسب ما أكد ناشطون بواكبون عمليات الجيش السوري، غير أن هذه المنظومات تتعرّض باستمرار لاستهداف في محاولة لتحييدها. والجدير ذكره، هنا، أن الحرب التي تشهدها سوريا، وما نجم عنها من خروج مناطق عن سيطرة الحكومة، تسبّبت بظهور خلل في تغطية الدفاعات الجوية التي تعرّضت لأضرار متفاوتة خلال الحرب.

(الأخبار)

طوفان الأقصى

وقائع الجولة الأخيرة من مفاوضات الهدنة في غزة

حماس رفضت ورقة أميركية مصرية تلبّي مطالب إسرائيل

التهديد القطري بالانسحاب من دور الوساطة بين حركة حماس وإسرائيل بشأن ملف الحرب على غزة، ترك أثره على الاتصالات التي تجمّدت خلال الأسبوع الأخير، وخصوصاً بعدما شدّدت حماس على رفضها لأي اتفاق لا يتضمّن إعلاناً واضحاً بوقف الحرب وعودة النازحين وإغاثتهم قبل أيّ تبادل للأسرى والمعتقلين. ويجري الحديث عن مساعٍ أميركية لإعادة تنشيط الاتصالات في وقت قريب.

وكان الجانب المصري قد طلب في الثامن من نيسان الحالي اجتماعاً عاجلاً مع قيادة حركة «حماس»، لإبلاغها بوجود «ورقة تتضمن أفكاراً متقدّمة، من شأنها كسر الجمود المحيط بالعملية التفاوضية». وقد استفسرت «حماس» حقيقة الأمر من الجانب القطري، وفهمت أن لدى المصريين ورقة أعدّت بالتشاور مع الأميركيين. وبناءً عليه، سافر نائب رئيس الحركة في غزة، خليل الحية، إلى القاهرة، للاجتماع بوزير المخابرات العامة المصرية، عباس كامل، ونائبه للشؤون الفلسطينية أحمد عبد الخالق.

لكن تبيّن أن الورقة الجديدة لا تحمل جديداً يجيب عن الأسئلة الأساسية المتعلّقة بوقف إطلاق النار وانسحاب قوات الاحتلال من قطاع غزة، علماً أن «حماس» كانت قد عدّلت في أعداد الأسرى المطلوب الإفراج عنهم مقابل أسرى العدو، وذلك بناءً على وعود بأن هذه الخطوة ستسهّل تحقيق المطالب الخاصة بوقف الحرب والسماح بعودة النازحين إلى شمال القطاع، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتحقّق.

> القاهرة غاضبة من موقف حماس والمقاومة رفضت أيّ بحث لا يبدأ بوقف نهائي للحرب وإغاثة الغزيين

وبعد عودة الحية إلى الدوحة، جرى إبلاغ الوسيطين القطري والمصري بأن الجواب يكون بعد التشاور مع قيادة الحركة في غزة والدوحة. وبالفعل، حُسم النقاش داخل الحركة سريعاً، لجهة أنه «لا يمكن التجاوب مع الأفكار الجديدة». أخذت الحركة وقتها للردّ، وفي هذه الأثناء، حصلت اتصالات جديدة مع المصريين والقطريين، وقالت خلالها القاهرة إنه «بمجرّد موافقة حماس، سوف يتمّ إلزام إسرائيل بالبنود كاملة». وهو ما أثار حفيظة «حماس» التي رفضت الأمر. فعاد المصريون وقالوا إن «الورقة أعدّت من قبلهم بالتشاور مع الأميركيين». ثم أضافوا أن «إسرائيل موافقة عليها». ولكن على «حماس إعلان الموافقة أولاً، حتى يُصار إلى اعتبارها ورقة نافذة».

وبعد نقاش داخلي في الحركة، ومشاورات مع «الجهاد الإسلامي» وفصائل أخرى، تقرّر رفض الورقة الجديدة. وبعد مداخلات قام بها الجانب القطري، تقرّر أن يكون الرد عبر رسالة. ولم يتأخّر الوقت حتى أعادت «حماس» إرسال الورقة نفسها التي قدّمتها في 14 آذار الماضي، مع تعديل التاريخ أعلاه فقط.

آثار ردّ «حماس»، غضب القاهرة والأميركيين، حتى القطريون قالوا إنهم كانوا يفضّلون أن «تُبدي الحركة بعض المرونة». لكن «حماس»، عادت وأبلغت الوسطاء أن لا مجال للقبول بأيّ حلّ لا يستند إلى ثلاثة مبادئ: أولاً: الإشارة المباشرة الى موعد لوقف نهائي للحرب وتاريخ انسحاب كامل القوات الإسرائيلية من القطاع.

ثانياً: السماح بعودة جميع السكان إلى مناطق سكناهم، من دون أيّ نوع من القيود والإفراج عن المساعدات.

ثالثاً: إتمام صفقة تبادل لا تخضع لشروط العدوّ التي عُرضت في وقت سابق، وإن حسم الأعداد والمصير مرتبط بالخطوات الأولى.

ويوم أمس، أكّدت حركة «حماس»، في بيان رسمي، أنّ التصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، والتي اتّهم فيها الحركة بإعاقة التوصّل إلى وقف إطلاق النار، هي «تأكيد لانحياز الإدارة الأميركية السافر للفاشية الصهيونية». وفي تل أبيب، كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، أن هنالك محاولات من المستويَين السياسي والأمني للدفع باتجاه خلق «أفكار جديدة» لتحريك المفاوضات. وبحسب الصحيفة، فإن الوزيرين في «مجلس الحرب» بيني غانتس وغادي آيزنكوت، طالبا بعقد المجلس لبحث سبل كسر الجمود. لكن أيّ اجتماع لم يحدث بهذا الخصوص، منذ 12 يوماً، و«التفاوض وصل إلى طريق مسدود، والحرب تراوح مكانها»، بحسب ما رأت «القناة 12» العبرية. (الأخبار)

تظاهر أفراد من عائلات الأسرى الإسرائيليين يوم أمس في تل أبيب للمطالبة بتحقيق صفقة تبادل (أ ف ب)

نصّ الورقة المصرية – الأميركية: لا وقف للحرب وإبعاد أسرى المقاومة

سلّمت مصر لحماس في 8 نيسان الجاري، ورقة «مبادئ أساسية لاتفاق الإطار»، والتي تبيّن أنها حصيلة مشاورات بين المسؤولين المصريين مع مدير المخابرات المركزية الأميركية وليام بيرنز. ولم تكن هناك موافقة إسرائيلية عليها أصلاً. كُتبت الورقة باللغة الإنكليزية وتمّت ترجمتها بصورة غير رسمية من قبل الوسطاء.

تنشر «الأخبار» في ما يلي نص الورقة المصرية التي رفضتها المقاومة.

«ترجمة غير رسمية»
مبادئ أساسية/ 8 نيسان 2024

اتفاق بين الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني في غزة على تبادل الرهائن والسجناء والعودة للهدوء المُستدام

الاتفاق الإطاري مكوّن من 3 مراحل وكل مرحلة 42 يوماً، وهي على النحو التالي:

في المرحلة الأولى:

وقف جميع العمليات العسكرية من الجانب الفلسطيني ضد جميع الأهداف الإسرائيلية – سواء المدنية أو العسكرية.

وقف جميع العمليات العسكرية الهجومية من الجانب الإسرائيلي، بما في ذلك القصف الجوي والمدفعي. وجميع المناورات الهجومية والاقتحامات الجديدة في قطاع غزة.

وقف جميع التحركات الجوية (العسكرية والاستطلاع) في قطاع غزة لمدة 6 ساعات يومياً لغاية اليوم الـ 14 من الاتفاق. كما هو موضح أدناه. وبعد ذلك يكون الوقف لمدة 8 ساعات يومياً.

في اليوم الذي سيتم الاتفاق عليه بأن يُمثل يوم بدء تنفيذ المرحلة الاولى (تاريخ التنفيذ). ستقوم القوات الاسرائيلية بإعادة التموضع بمسافة 0,5 كيلومتر شرق وغرب شارع صلاح الدين، ولن تبقي على أيّ نقاط تفتيش على الطريق المُخصّص للعودة.

وضع الترتيبات المناسبة للمساعدة في تسهيل العودة الآمنة والمضمونة والمنظّمة للمدنيين غير المسلحين إلى الشمال (الموضوع قيد النظر والمُناقشة).

إطلاق سراح الرهائن الإسرائيليين مقابل المسجونين الفلسطينيين:

في اليوم الأول، سيبدأ الجانب الفلسطيني بإطلاق سراح الرهائن الإسرائيليين، بداية بالنساء، وسيكون مجموع عدد الرهائن الذين سيُطلق سراحهم في المرحلة الأولى هو 40 من فئات النساء المُتبقيات (بمن في ذلك المُجندات)، والأطفال تحت سن 19 سنة، والرجال فوق 50 سنة، وجميع الرجال المُصابين والمرضى، استناداً إلى قائمة سيتم فتح شارع الرشيد (الطريق الساحلي) لتسهيل هذه العودة، وستقوم القوات الإسرائيلية بإعادة تموضع بمسافة 0,5 كيلومتر شرق شارع صلاح الدين، ولن تبقي على أيّ نقاط تفتيش على الطريق المُخصّص للعودة.

سيقوم الجانب الإسرائيلي بتقديمها.

وفي حال عدم قدرة الجانب الفلسطيني على توفير عدد 40 من الرهائن الأحياء من هذه الفئات، سيقوم بإطلاق عدد من الرهائن الرجال للوصول إلى مجموع عدد 40. (رهائن المرحلة الأولى).

بالمقابل، ستقوم إسرائيل بإطلاق سراح مجموع 900 سجين فلسطيني، وأن يكون من بينهم 100 سجين محكومين بالحُكم المؤبد (يتم اختيارهم من خلال الاتفاق). وسيشمل الـ 900 سجين الـ 47 سجيناً الذين أعيد اعتقالهم منذ اتفاق شاليط.

عند اليوم الـ 14، يجب أن يقوم الجانب الفلسطيني بإطلاق سراح ما لا يقل عن 20 من رهائن المرحلة الأولى، مقابل العدد المُتفق عليه من المسجونين الفلسطينيين، وذلك لغرض قيام الجانب الإسرائيلي بفتح شارع الرشيد وتمكين استخدامه المُقيّد من قبل النازحين الغزيين العائدين إلى الشمال.

عند اليوم الـ 28 يجب أن يقوم الجانب الفلسطيني بإطلاق سراح ما لا يقل عن 35 من رهائن المرحلة الأولى، مقابل العدد المُتفق عليه من المسجونين الفلسطينيين، وذلك لغرض قيام الجانب الإسرائيلي بفتح شارع صلاح الدين وتمكين استخدامه غير المُقيّد من قبل النازحين الغزيين العائدين إلى الشمال.

في الأسبوع الـ 5، سيقوم الجانب الفلسطيني بإطلاق سراح جميع الرهائن المُتبقين للمرحلة الأولى، مقابل العدد المُتفق عليه من المسجونين الفلسطينيين.

النسبة الدقيقة من المسجونين الفلسطينيين الذين سيتم إطلاق سراحهم مقابل رهائن إسرائيليين من كل فئة سيتم تحديدها بعد القيام بالتوافق بين القوائم الفلسطينية والإسرائيلية بشأن العدد المُتبقي من الرهائن الأحياء، في كل فئة وستكون النسبة مقابل إطلاق سراح المُجندات هي نفسها النسبة التي سيتم استخدامها لأي رهائن من الرجال الذين قد يحتاج إلى اطلاق سراحهم للوصول إلى مجموع 40.

يحق للجانب الإسرائيلي إبعاد أي من المسجونين الفلسطينيين المحكومين بالحكم المؤبد المطلق سراحهم.

لا تُمثل مفاتيح إطلاق سراح الرهائن مقابل المسجونين أساساً للتفاوض على إطلاق سراحهم في المرحلة الثانية.

ستقوم الأمم المتحدة وبكالاتها المُكلّفة والمُنظمات الأخرى بأعمالها في تقديم الخدمات الإنسانية في كل مناطق قطاع غزة واستمرار ذلك في جميع مراحل الاتفاق.

سيقوم الجانب الإسرائيلي بالسماح وتسهيل – بأقصى استطاعته – الدخول المنسّق لكميات مُكثفة وكافية من المُساعدات الإنسانية ومواد الإغاثة، بما في ذلك المساكن المُؤقتة (الكرفانات) والخيم بسعة نقل 600 شاحنة يومياً إلى كل مناطق قطاع غزة بما فيها الشمال ودون تقييد في الأعداد المُخصص دخولها المنسق إلى الشمال، بما في ذلك الوقود – بكميات يتم الاتفاق عليها – بما في ذلك ما يلزم لتشغيل محطة الكهرباء والتجارة والمعدات الدنية اللازمة لإزالة الركام والبدء بإعادة تأهيل وتشغيل المستشفيات والمراكز الصحية والمخابز في كل مناطق غزة، واستمرار ذلك في جميع مراحل الاتفاق.

البدء بإعادة تأهيل البنية التحتية التي تضررت بسبب الحرب داخل قطاع غزة في القطاعات الدنية التالية: الكهرباء، والماء والصرف الصحي والاتصالات والطرق، في جميع مناطق قطاع غزة، وتسهيل الدخول المُنسّق لما يتم الاتفاق عليه من المعدات اللازمة لرفع الأنقاض وإيجاد رفات الموتى، واستمرار ذلك في جميع مراحل الاتفاق.

السماح بدخول مُستلزمات ومُتطلبات إقامة مُخيمات الإيواء اللازمة لاستيعاب النازحين الذين فقدوا بيوتهم خلال الحرب كما هو مذكور في أعلاه.

بدءاً من اليوم الـ 14 من المرحلة الأولى، سيتم السماح لعدد يتم الاتفاق عليه من الجرحى العسكريين بالسفر عبر معبر رفح لغرض تلقّي العلاج.

بما لا يتجاوز اليوم الـ 14 من المرحلة الأولى، سيتم البدء بمُباحثات غير مُباشرة بين الطرفين بشأن الاتفاق على الترتيبات اللازمة لعودة الهدوء المُستدام.

في المرحلة الثانية:

الانتهاء، من الاتفاق على الترتيبات اللازمة لعودة الهدوء المُستدام وعلى إطلاق سراح جميع المُحتجزين الإسرائيليين المُتبقين، المدنيين والعسكريين، وإطلاق سراحهم مُقابل إطلاق سراح مسجونين فلسطينيين، سيتم الاتفاق على أعدادهم وأسمائهم.

الحركة الكاملة لحركة السكان في جميع مناطق قطاع غزة والعودة غير المُقيّدة للنازحين إلى أماكن سكنهم بما في ذلك شمال قطاع غزة.

الوصول إلى... والتعرف إلى رفات الموتى الموجودة في الأطراف تحت سيطرتهم.

في المرحلة الثالثة:

تبادل جثامين ورفات الموتى لدى الجانبين بعد الوصول والتعرف إليهم، بما يشمل رفات الموتى الموجودة لدى الجانبين قبل 7 أكتوبر 2023.

الضامنون لهذا الاتفاق:
قطر، مصر والولايات المتحدة

«نور شمس» تحت العدوان مجدّداً: المقاومة لا تنطفئ

رام الله - **أحمد العبد**

لم ينم أهالي مخيم نور شمس، ليل الخميس - الجمعة، بعد أن حوّلت قوات الاحتلال مخيمهم إلى ساحة حرب، عقب اقتحامها الواسع له منذ مساء الخميس بعشرات الآليات والجرافات العسكرية، ما أدى إلى اندلاع اشتباكات مسلحة في عدة محاور، استمرت حتى ساعات متأخرة من ليل أمس. واقتحمت قوات معزّزة من جيش العدو، ترافقها جرافتان، «نور شمس» وفرضت حصاراً مشدداً عليه، ونشرت الباتها على محاوره كافة، وأغلقت الشارع الرئيسي المحاذي لمداخله، وسط تحليق لطائرات الاستطلاع في سماء المنطقة على ارتفاع منخفض. كذلك، فرضت قوات الاحتلال حظر التجوال على المخيم، ومنعت المواطنين من العودة إلى منازلهم، كما منعت المركبات من الدخول أو الخروج، في حين دمرت جرافاتها جزءاً كبيراً من شوارع أبرزها دوار اليونس في الحي الشمالي، وشارع السكة، وميدان الشهيد سيف أبو لبدة، وشارع نابلس المحاذي للمدخل الغربي، إضافة إلى تدمير عدد من ممتلكات المواطنين.

وبالتوازي مع ذلك، شهد المخيم اشتباكات مسلحة عنيفة بين المقاومين وقوات الاحتلال، سُمعت خلالها أصوات انفجارات قوية وغير مسبوقة، وشُوهدت النيران وهي تتعالى في أكثر من موقع وحي، لتتجلى المعركة عن نجاح المقاومين في تفجير عدد من الآليات العسكرية عبر العبوات الناسفة، وهو ما رصدته كاميرات المواطنين بشكل دقيق. ومنذ لحظة الاقتحام، ومع مرور الساعات، واصلت مجموعات المقاومة نشر تحديثات لمجريات الاشتباكات، إذ أكدت «سرايا القدس - كتيبة طولكرم»، في أكثر من بلاغ عسكري، أن مقاتليها يخوضون مواجهات ضارية مع جيش العدو، الذي يحاول محاصرة «نور شمس»، في عدة محاور. وأفادت الكتيبة بأن مقاتليها تمكنوا من تفجير حقل ألغام بعدد من الآليات، وتحقيق إصابات مباشرة في صفوف قوات الاحتلال، في وقت دفعت فيه الأخيرة بتعزيزات عسكرية مستمرة برفقة «نجمة داوود» (الإسعاف الإسرائيلي). كذلك، قالت «كتائب القسام» في طولكرم إن «مقاوميها الأبطال يواصلون التصدي بالعبوات الناسفة والاشتباك البطولي لجيش الاحتلال خلال اقتحامه مخيم نور شمس»، بينما أعلنت «كتائب الشهيد أبو علي مصطفى» أن مقاتليها تمكنوا من استهداف جنود العدو بعدد من العبوات الناسفة والمتفجرة، وأوقعوا عدداً من القتلى والإصابات في صفوفهم.

وفي حصيلة أولية، أكدت وسائل إعلام عبرية إصابة ضابط وثلاثة جنود من جيش العدو خلال الاشتباكات مع المقاومين، الذين أفيد عن استشهاد عدد منهم، فيما نعت بعض فصائل المقاومة قائد «كتيبة طولكرم» في «سرايا القدس»، محمد جابر (أبو شجاع). وتركزت الاشتباكات في حارة المنشية، حيث داهمت قوات الاحتلال عدة منازل، وأحدثت دماراً كبيراً وتسبّبت في حريق ضخم، في حين أكدت «كتيبة جنين» أن «حارة المنشية سيف المخيم»، وأن «لنا فيها باساً شديداً». وفي حارة جبل الصالحين، نشر جيش العدو قناصته على البنايات، وآلياته على الأرض، وحرف منزلاً مهجوراً، فيما استهدف جنوده أعمدة الكهرباء وأسلاكها على شارع نابلس الرئيسي، ما تسبب في انقطاع واسع عن أجزاء منه. كذلك، اقتحمت آليات الاحتلال ضاحية ذنابة، وتحديداً الجهة المحاذية لجبل النصر، وفرضت حصاراً مشدداً عليها، فيما شنت حملة اعتقالات تركّزت في ضاحية اكتابا، وطالت كلاً من: محمد حسام العجوز، وقيس سائد العجوز، ومحمد مخيم جنين، أعباء ديمومة الاشتباك، رغم ما شهده خلال الشهور الماضية من تدمير واسع وعمليات اغتيال وقتل واجتياحات، فشلت جميعها في كسر شوكة المقاومين، الذين استطاعوا ليس الحفاظ على تلك الحالة فقط، بل تكبيد الاحتلال خسائر في مرات سابقة أيضاً. ويصعّد جيش العدو من عمليات الاقتحام والاعتقال في الضفة، بما فيها القدس، منذ السابع من أكتوبر، ما أسفر عن استشهاد 468 فلسطينياً، وإصابة نحو 4 آلاف و800، واعتقال 8 آلاف و310. وفي المقابل، يصر الفلسطينيون على مقاومة الاحتلال رغم قلة الإمكانات والملاحقة المستمرة، وهو ما تجدّد فصوله فجر الجمعة، حيث شهدت الضفة عمليات اقتحام إسرائيلية لعدد من القرى والمدن، تخلّلتها مواجهات واشتباكات، أبرزها في مدينة الخليل، حيث استُهدف البرج العسكري المقام على مدخل مخيم العروب شمال المدينة بالزجاجات الحارقة والمفرقعات النارية، بينما أعلنت «كتائب شهداء الأقصى» في الخليل استهداف قوة مشاة إسرائيلية قرب مغتصبة «كرمي تسور» برصاص الأسلحة الخفيفة، وانسحاب المقاتلين بسلام.

وعلى ضوء التصعيد المستمر في الضفة، تتجه الأنظار، الأسبوع المقبل، إلى المسجد الأقصى، في ظل دعوات الجمعيات الاستيطانية إلى اقتحام المسجد بشكل واسع، وإقامة طقوس ذبح القرابين داخله. وفي هذا الإطار، حضّت حركة «حماس»، الفلسطينيين في كل مكان، على إفشال مخططات العدو ومستوطنيه لتدنيس باحات الأقصى، وشدّ الرحال إلى المسجد والاعتكاف فيه.

> يعدّ مخيم نور شمس أحد أبرز معاقل المقاومة في الضفة الغربية، ويتحمل، مع مخيم جنين، أعباء ديمومة الاشتباك

عزت جابر، كما اعتدت بالضرب على المواطن يزن حسام العجوز بعد اقتحام منزله، ليجري نقله إلى المستشفى. أيضاً، رصدت الكاميرات إطلاق جنود العدو الكلاب البوليسية على المواطنين خلال اقتحام منازلهم، مثلما حصل مع الشاب أسيد طه من ضاحية شويكة، والذي أطلق الجنود كلباً بوليسياً تجاهه وهو نائم في فراشه قبل اعتقاله. ويعدّ مخيم نور شمس أحد أبرز معاقل المقاومة في الضفة الغربية، ويتحمل، مع

تهويل إسرائيلي على رفح: النازحون يرفضون تهجيراً ثانياً

يتزايد، يوماً بعد يوم، الحديث عن أن اقتحام قوات الاحتلال لمدينة رفح، جنوبي قطاع غزة، بات وشيكاً، في ما يبدو أنه الأوّل أشبه بـ«حرب تهويل» تستهدف إسرائيل من خلالها تعزيز أوراقها في المعركة التفاوضية. وهو تهويل لا يبدو أن الولايات المتحدة تجد مانعاً منه في ظل إعلان «البيت الأبيض»، أول من أمس، أن الجانبين الأميركي والإسرائيلي ناقشا «الهدف المشترك المتمثّل في هزيمة حماس في رفح»، وإن أبدى الأول «مخاوفه بشأن مسارات العمل المختلفة في رفح».

وفي هذا الجانب، قال وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أمس، إن بلاده «لا يمكنها دعم عملية عسكرية إسرائيلية واسعة في رفح»، ما يعني إمكانية تزكيتها إجراءات ضمن «الحدود» التي تضعها واشنطن. ويأتي ذلك فيما ذكرت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية، أمس، نقلاً عن مسؤولين أن إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، تدرس صفقات أسلحة جديدة لإسرائيل «تتجاوز قيمتها مليار دولار وتشمل ذخائر ودبابات ومركبات عسكرية وقذائف هاون». ويُضاف هذا الدعم إلى «مشروع قانون دعم إسرائيل»، والذي وافق عليه مجلس النواب الأميركي، أمس، في تصويت إجرائي، بعد عرقلته من المعارضة «الجمهورية» على مدى أشهر، على أن يصوّت عليه اليوم، علماً أنه جزء من قوانين منفصلة تتضمّن تقديم مساعدات عسكرية لأوكرانيا وإسرائيل. وتبلغ القيمة الإجمالية للدعم المُنتظر للكيان، نحو 26,38 مليار دولار، من بينها تمويل يغطي «تكلفة العمليات العسكرية الأميركية رداً على الهجمات في الآونة الأخيرة». وإذا وافق مجلس النواب على الإجراء، وهو ما بات متوقّعاً، فستتعين موافقة «مجلس الشيوخ» عليه قبل إرساله إلى البيت الأبيض»، أول من أمس، أن الجانبين الأميركي والإسرائيلي ناقشا «الهدف المشترك المتمثّل في هزيمة حماس في رفح»، وإن أبدى الأول «مخاوفه بشأن مسارات العمل المختلفة في رفح».

وفي هذا الجانب، قال وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أمس، إن بلاده «لا يمكنها دعم عملية عسكرية إسرائيلية واسعة في رفح»، ما يعني إمكانية تزكيتها إجراءات ضمن «الحدود» التي تضعها واشنطن. ويأتي ذلك فيما ذكرت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية، أمس، نقلاً عن مسؤولين أن إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، تدرس صفقات أسلحة جديدة لإسرائيل «تتجاوز قيمتها مليار دولار وتشمل ذخائر ودبابات ومركبات عسكرية وقذائف هاون». ويُضاف هذا الدعم إلى «مشروع قانون دعم إسرائيل»، والذي وافق عليه مجلس النواب الأميركي، أمس، في تصويت إجرائي، بعد عرقلته من المعارضة «الجمهورية» على مدى أشهر، على أن يصوّت عليه اليوم، علماً أنه جزء من قوانين منفصلة تتضمّن «تنفيذ الاقتحام قبل نهاية الشهر المقبل»، وذلك على إثر «تقارير تسلّمتها أجهزة سيادية مصرية»، والمحادثات الأخيرة للمسؤولين العسكريين المصريين مع نظرائهم الإسرائيليين، والتي أكد فيها الجانب الإسرائيلي «الاستجابة للمخاوف الأميركية بشأن المعابر الإنسانية التي سيكون على الفلسطينيين استخدامها للنزوح عن رفح». وفي المقابل، حذّر أهالي رفح والنازحون إليها، في بيان، من أن «المحافظة ستشهد مذبحة إبادة غير مسبوقة لمئات الآلاف من سكانها، إن اقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي على الدخول إليها». وأضاف هؤلاء أن «القاطنين في رفح وحدوا موقفهم بعدم مغادرتها حتى ولو حاول العدو إخلاءها قبل اجتياحها، وهم يفضّلون الموت في بيوتهم وخيامهم على النزوح إلى أي منطقة أخرى». مناشدين «العالم الوقوف أمام مسؤولياته لحماية المدنيين في أكثر مدن العالم ازدحاماً واكتظاظاً».

> تقدّر مصر إمكانية تنفيذ اقتحام رفح قبل نهاية الشهر المقبل

وبحسب المعلومات الآتية من القاهرة، فإن «مصر بدأت تخطط لما هو أسوأ في الأسابيع المقبلة بشأن إدخال المساعدات من معبر رفح»، على الرغم من «الزيادة اللافتة في كميتها خلال الأيام الماضية». وتقدّر مصر إمكانية عن رفح». وترتكز الاستراتيجية الإسرائيلية لاقتحام رفح، بحسب تقارير مصرية سرية، على «إحداث انفراجة كبرى في الشمال مع تكثيف إدخال المساعدات، إلى جانب البدء في تكثيف الاستهدافات لمناطق في رفح»، وهو «الأمر الذي بدأ بالفعل في الأسابيع الماضية ويتوقع استمراره في محاولة للضغط على النازحين لقبول التحرك إلى الشمال وفق ضوابط سيجري تحديدها لاحقاً».

ورغم «الرفض المصري»، لاقتحام رفح على اعتبار أنها «المنطقة الآمنة التي حُددت من جانب إسرائيل سلفاً، إلا أن الأزمة التي تواجه مصر في الوقت الحالي لمنع هذه الخطوة»، وفق مصادر مصرية مطّلعة تحدثت إلى «الأخبار»، تتمثّل في «تعثر المفاوضات»، فيما تعتقد القاهرة أن «إسرائيل تسعى لإعادة فرض حصار من نوع آخر على القطاع، مرتبط برغبتها في تحديد المساعدات والبات دخولها، إلى جانب إدخال المساعدات عن طريق البحر، مع إغلاق معبر رفح بشكل كامل». وفي حين باتت المنطقة العازلة التي انتهت مصر منها «شبه جاهزة لاستقبال فلسطينيين، في حال وجود نزوح تجاه الأراضي المصرية واقتحام للشريط الحدودي»، وفقاً للمصادر، فإن «جزءاً كبيراً من الأزمة المرتقبة مرتبط بالتداعيات الإنسانية المتوقّعة وعدم القدرة على إنفاذ مساعدات طبية وإغاثية، فضلاً عن النقص الحاد المتوقع في الغذاء، وعدم قدرة الأفرنوا على توفير الأساسيات التي تعمل على توفيرها اليوم». وفي هذا الوقت، تسعى مصر، من خلال اتصالات يجريها مسؤولوها مع نظرائهم الأميركيين، إلى «محاولة تأخير الموافقة الأميركية الضمنية على خطة اقتحام رفح»، بحسب المصادر.

(الأخبار)

طوفان الأقصى

«فيتنام جديدة» في جامعات أميركا
«كولومبيا» تنتصر لفلسطين

سعيد محمد

استدعت رئيسة «جامعة كولومبيا» في نيويورك، نعمت شفيق، قوات الشرطة لتفريق تظاهرة طلابيّة مؤيدة للفلسطينيين، كانت تطالب بوقف استثمارات الجامعة في الكيان الصهيوني. وأفادت مصادر رسميّة باعتقال 108 من الطلاب على الأقل، ونقلهم في باصات حكومية لمواجهتها تهماً تتعلق بـ«الاعتداء على ممتلكات الغير»، بعدما أقاموا مخيماً احتجاجيا وهتفوا «كولومبيا، كولومبيا، سترين، فلسطين ستكون حرة!»، وذلك على الضدّ من تعليمات تبنّتها إدارة الجامعة أخيراً لقمع النشاط الطلابي. وأثار مشهد اقتحام قوات الشرطة المدجّجة بمعدات مكافحة الشغب للحرم الجامعي، غضب الطلاب، الذين تدفق المزيد منهم لمؤازرة المتظاهرين وإعادة بناء مخيم «التضامن مع غزة» بعد تفكيكه من قبل مستخدمي الجامعة. وبحسب شهود عيان، لم يقاوم الطلاب الاعتقال، ولكنهم هتفوا بالخزي والعار للشرطة التي تقصّر في حماية السكان من الجرائم والعصابات وتستقوي على المسالمين. وردد عدد منهم «فلسطين حرة!» أثناء اصطحابهم مكبّلين إلى الحافلات، بينما هم متلفّحون بكوفيات منصبيهما. وقالت شفيق التي كانت في «الكابيتول هول» - مقر الكونغرس - يوم الأربعاء الماضي، إنّها تشعر بالإحباط لأنّ ترسانة السياسات والإجراءات في «كولومبيا» غير كافية للتعامل مع اللحظة، وإنّها اضطرت لتحديث عدد منها بما في ذلك حصر فرص الاحتجاج بأوقات معينة وأماكن محدودة، وتفصيل إجراءات الإيقاف عن الدراسة والفصل التأديبي على مقاس الاحتجاجات المؤيدة للفلسطينيين. وكانت شفيق قد أوقفت عشرات الطلاب المؤيدين للفلسطينيين عن الدراسة، بمن فيهم يهود، لمشاركتهم في تنظيم أنشطة ادّعت الجامعة أنّها تمجد العنف وتدعم منظمات مصنّفة إرهابية في الولايات المتحدة، فيما أُبلغ عدد من الطلاب بطردهم من السكن الجامعي عقاباً لهم على حضور تلك الأنشطة.

وحتى اللحظة، لم يكن هناك ما يشير إلى أن شفيق، التي تولت منصبها قبل أقل من عام، قد فقدت ثقة مجلس إدارة الجامعة، ولكنّ موقفها المتداخل أمام لجنة الكونغرس يوم الأربعاء، وتكتيكاتها العدوانية يوم الخميس، واستدعاءها الشرطة لاعتقال الطلاب، كلها قد تجعل إقالتها مطلباً مركزياً للطلاب. وبالفعل، شوهدت شاحنة بالقرب من أحد المداخل الرئيسة حيث كان يُعتقل الطلاب، وعليها لوحة كبيرة مفادها: «مينوش شفيق، حان وقت الاستقالة، ونحن هنا لمساعدتك على ذلك» («مينوش» اسم للسخرية مشتقّ من نعمت).

وتتناقض سياسة شفيق مع تاريخ عريق من الاحتجاجات الطلابية التي شهدتها «جامعة كولومبيا»، لعل أشهرها ثورة الطلاب في 1968 بإذن من إدارة الجامعة، والتي أعقبتها حملة وحشية شنّها ضباط الشرطة ضدهم. وقد شوهت تلك الحادثة تحديداً سمعة «كولومبيا» ودفعت الإدارات المتلاحقة إلى تبنّي إصلاحات لمصلحة حرية النشاط الطلابي، أصبحت، حتى تولي شفيق ، سمة لثقافة الجامعة تقوم بتسويقه للطلاب المحتملين. وندد «اتحاد الحريات المدنية» في نيويورك بشفيق وإدارة الجامعة لتعاملها القاسي مع الاحتجاجات. وقالت المديرة التنفيذية للمنظمة، دونا ليبرمان، في بيان، إنّ «تحرك كولومبيا لاستدعاء الشرطة بهذه الطريقة مسألة تقشعر لها الأبدان، ويمثل خروجاً صريحاً عن التقاليد المعتمدة، ويثير تساؤلات حول معاملة الجامعة المتباينة للطلاب بحسب آرائهم».

> ما حدث في «كولومبيا» تكرر بطرق متفاوتة في عدد من الجامعات الأميركية الكبرى

وما حدث في «كولومبيا» تكرر بطرق متفاوتة في عدد من الجامعات الأميركية الكبرى بعدما انخرطت أعداد متزايدة من الطلاب في احتجاجات مؤيدة للفلسطينيين ومناهضة للإبادة التي تنفذها قوات الاحتلال، بتواطؤ أميركي، الباب أمام تدحرج الأمور نحو موجة ثوريّة طلابية واسعة تستدعي أجواء الصدامات الحادة حول حرب فيتنام.

رد عدد من الطلاب «فلسطين حرة» أثناء اصطحابهم مكبلين إلى الحافلات (أ ف ب)

على تطبيق إجراءات تعسفية صارمة ضد المحتجين، تماثل تلك التي تجري في دول تحكمها سلالات من مثل السعودية والإمارات وقطر. وإلى «كولومبيا»، اتخذ «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا» وجامعات «نيويورك» و«براون» و«ميتشيغان»، أخيراً، قرارات بطرد عشرات الطلاب، فيما استدعيت الشرطة للقيام باعتقالات، ولكن الاحتجاجات لا تتوقف، ما قد يفتح الباب أمام تدحرج الأمور نحو موجة ثوريّة طلابية واسعة تستدعي أجواء الصدامات الحادة حول حرب فيتنام.

زيارة السوداني إلى واشنطن: الاقتصاد أولوية... و«الانسحاب» مؤجّل

بغداد - فقار فاضل

غابت مسألة انسحاب القوات الأميركية من العراق، والتي يطالب بها كثير من القوى السياسية العراقية، التي حدّ كبير، عن زيارة رئيس الوزراء، محمد شياع السوداني، المستمرّة حتى يوم غد إلى الولايات المتحدة، وحضر بدلاً منها «تفاؤل» المرافقين له، بفتح آفاق جديدة للشراكة مع الولايات المتحدة، تتجاوز العلاقات الأمنية إلى علاقات ترتكز على الاقتصاد والاستثمار. وجاءت الزيارة التي تدوم أسبوعاً كاملاً والتقى خلالها السوداني الرئيس جو بايدن، وعدداً من المسؤولين الأميركيين، في ظل توتّرات إقليمية، وخاصة بين إسرائيل وأميركا من جهة، وإيران من جهة ثانية. غير أنّ السوداني سعى إلى إبعاد الزيارة عن ذلك التوتّر ليركّز على إقامة علاقة متينة مع جميع الأطراف بما فيها إيران وأميركا، فضلاً عن رغبته في لعب دور محوري في تقريب وجهات النظر بين الأخيرتين.

وإذ لم يَرِد في كلام السوداني ما يشير إلى حضور قضية انسحاب القوات الأميركية من العراق كبند أساسي على جدول المحادثات، فإن من المتوقع أن يكون لفصائل المقاومة موقف من ذلك، بخاصة أن الهدنة التي التزمت بها مع القوات الأميركية، مشروطة بتحقيق تقدّم في ملف الانسحاب الذي يجري التفاوض بشأنه. ومع هذا، يرى عضو لجنة العلاقات الخارجية النيابية، عامر الفايز، الذي كان ضمن الوفد الزائر لواشنطن، أن «هذه الزيارة كانت تعزيزاً للحديث عن خروج القوات الأميركية من البلاد، وتأكيداً من العراق للولايات المتحدة بأن قواته الأمنية قادرة على إمساك زمام الأمور وبجاهزية عالية». ولكنه يقول، في تصريح إلى «الأخبار»، إنّ «الزيارة تهدف في المقام الأول إلى توثيق العلاقات الثنائية في المجالات الاقتصادية والثقافية والأمنية والسياسية وغيرها»، لافتاً إلى أن «محاورها تركّزت على الجانب الاقتصادي وتطوير البنى التحتية عبر التعاون المشترك، وكذلك الاستثمار (...) وستكون عامل استقرار عبر توضيح رئيس الوزراء جميع الأمور الملتبسة، ومنها سعر الدولار وقضية المصارف المعاقَبة وبقية الملفّات الحساسة، أمام الحكومة الأميركية».

ومن جهته، يرى عضو مجلس النواب، رعد الدهلكي، وهو كان أيضاً ضمن الوفد، أنّ «رئيس الوزراء يتحدّث مع الجانب الأميركي برؤية جديدة، وخاصة في قضية انتقال العلاقة بين العراق والولايات المتحدة من أن تكون مقتصرة فقط على الوضع الأمني واللوجستي، إلى محور جديد وهو الاقتصاد والاستثمار والنمو. ولذا، نحن سنعمل كأعضاء مجلس نواب على تشريع قوانين مهمة لتخفيف البيروقراطية والعقبات أمام الاقتصاد وإعمار مناطق العراق». ويضيف الدهلكي، في حديث إلى «الأخبار»، أن «هناك إصراراً حكومياً على الخروج من التعامل النمطي الذي اعتاد عليه العراق منذ عام 2003 وهو تعامل أمني - عسكري، إلى تعامل سياسي اقتصادي استثماري، وهذه نقلة نوعية».

> بعض الاتفاقات هدفه تقليك الاستيراد الذي يؤدي إلى خروج العملة الصعبة، وما يرافق ذلك من مشكلات تخصّ تهريبها

وفي المقابل، يأمل النائب عن «الإطار التنسيقي»، معين الكاظمي، في أنّ «تكون نتائج الزيارة كما اتّفق عليها قبلها»، لافتاً، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أنّ «الإطار يعوّل كثيراً على الزيارة، وفي الوقت نفسه نريد معرفة ما تضمّنته الحوار حول الانسحاب الأميركي من البلاد». إلا أن الكاظمي يرى أنّ «الأميركيين يريدون البقاء ويعتبرون أن هدف اللجان العسكرية المشكّلة بين الجانبين، هو تنظيم العلاقة وليس الانسحاب، وهذه فيها إشكالية كبيرة بين الولايات المتحدة والعراق».

ويشير إلى أنّ «هناك أطرافاً عراقية داعمة لخطوات السوداني في حواره مع بايدن وتعامله الدبلوماسي مع القضايا الثنائية، وأخرى تطالب بتفعيل الاتفاقيات التي تعجّل خروج الأميركيين من البلاد، وفقاً لجدول زمني معلوم ومتفق عليه بشكل رسمي بين الطرفين».

أما وزير النفط العراقي، حيّان عبد الغني، فيقول، لـ«الأخبار»، إن «مفاوضاتنا مع الحكومة الأميركية تناولت خطوات العراق في ما يخص استخدام الغاز وإيقاف عملية حرقه وتأثيراته على البيئة والمناخ»، لافتاً إلى أنّ «العراق يُعتبر من الدول التي أسهمت مساهمة كبيرة في خفض الانبعاثات الحرارية، إذ وضعنا نحن كوزارة خطة لإيقاف حرق الغاز كمرحلة أولى، وفي الوقت نفسه كميات التي تُحرق حالياً، وصولاً إلى الاكتفاء الذاتي». ويضيف أن «ثمة 20 شركة أميركية لديها الرغبة في المشاركة في جولة التراخيص الخامسة التكميلية، وكذلك جولة التراخيص السادسة والتي تتضمن 14 رقعة استكشافية غازية تقع في معظمها على الحدود الغربية للبلاد، والتي تبدأ من محافظة نينوى نزولاً إلى الأنبار». ويرى أن «الزيارة كانت ناجحة بكل المقاييس على مستوى الطاقة وإنتاج الغاز».

وبدوره، يرى المستشار الفنّي لرئيس الوزراء، محمد صاحب الدراجي، أنّ «الاجتماعات التي حدثت على هامش الزيارة كانت مهمة جداً، ووقّعنا تقريباً 15 اتفاقاً في مختلف المجالات ومنها الاستثمار والتعليم. وكذلك اجتمع رجال أعمال من الطرفين في غرفة التجارة الأميركية، وناقشوا كيفية الاستفادة من مؤسسات التمويل الأميركية، كمؤسسة التمويل الفيدرالية، لدعم القطاع الخاص العراقي وبناء مصانع كبيرة في خفض الانبعاثات»، ويوضح، في حديث إلى «الأخبار»، أنّ «الهدف من الاتفاقات هو تقليل الاستيراد الذي يؤدي إلى خروج العملة الصعبة من البلاد، وما يرافق ذلك من مشكلات تخض حركة الدولار وتهريبه، ولذلك لاقت دعوتنا ترحيباً من المؤسسات الأميركية. وفي المقابل، سنعطي ضمانات سيادية مقابل واردات القطاع الخاص إلى المصانع العراقية».

تقرير

روسيا خارج قره باغ: نحو قطيعة كاملة مع أرمينيا

محمد نور الدين

تتحرّك الأحداث في منطقة القوقاز الجنوبي بسرعة؛ ففي أعقاب «الحرب الثانية» (19 أيلول 2023)، والتي انتهت إلى تهجير كامل سكان قره باغ الأرمن، وعددهم 120 ألفاً، إلى أرمينيا، أعلنت كل من باكو وموسكو عن بدء انسحاب قوات المراقبة الروسية من الإقليم وممرّ لاتشين بشكل نهائي. وكان نصّ اتفاق إنهاء «الحرب الأولى» بين آذربيجان وأرمينيا، في خريف عام 2020، والتي انتهت إلى هزيمة مريرة للأخيرة، على تموضع قوات حفظ سلام روسية في قره باغ والممرّ الواصل بين أرمينيا والإقليم المتنازع عليه، وأن تكون مدّة التمركز حتى العاشر من تشرين الثاني 2025، علماً أن عدد أفراد القوّة الروسية يبلغ 1960. وأحدث قرار الانسحاب الذي أعلنه نائب الرئيس الأذربيجاني، حكمت حاجييف، خيبة أمل لدى رئيس وزراء أرمينيا، نيكول باشينيان، الذي أعرب، عام 2022، عن رغبته في استمرار وجود قوات المراقبة الروسية في قره باغ، واستعداده للتوقيع على وثيقة تمديد خدمتها لمدّة 10 أو 15 أو 20 سنة.

وفي هذا الإطار، يرى الباحث الأذربيجاني، فوسال حسن زاده، أن الاتفاق على انسحاب القوات الروسية يُمثّل نجاحاً كبيراً لدبلوماسية بلاده، عازياً ذلك إلى مجموعة أسباب:

1- علاقات التحالف الوثيقة بين روسيا وآذربيجان منذ 30 عاماً.

2- اتباع باكو منذ سنوات سياسة متوازنة بين الغرب والشرق.

3- تصاعد قوّة آذربيجان تجاه روسيا نتيجة ابتعاد أرمينيا وجورجيا المتزايد عن موسكو وتقاربهما مع الغرب، وانشغال الروس بالحرب في أوكرانيا، وهو ما أتاح لباكو تحويل وضعها الصعب إلى مكسب إستراتيجي. ووفقاً للباحث، فهذه ليست المرّة الأولى التي تنجح فيها آذربيجان مع روسيا؛ فـ«في عام 2012، ونتيجة جهود باكو، اضطرت موسكو إلى الانسحاب من قاعدة رادار غابالا التي كانت استأجرتها من آذربيجان عام 2002. ثم جاءت عملية 19 أيلول 2023 الآذربيجانية في قره باغ، والتي مكّنت باكو من السيطرة الكاملة عليها، حيث لم تَعُد لقوات المراقبة الروسية أيّ وظيفة عملية».

وربّما تأتي الاستجابة السريعة من قِبَل روسيا لمطلب آذربيجان الانسحاب، بمنزلة مبادرة إيجابية تهدف إلى توثيق العلاقات بين البلدين. ولذا، تقول صحيفة «جمهورييت» التركية إن بريفان لم تقابل خطّة الانسحاب الروسية بارتياح، في وقت «تواصل فيه فرنسا التحريض في جنوب القوقاز عبر أرمينيا». وكانت باريس قد استدعت، أخيراً، سفيرها في باكو «للتشاور»، بعد التصريحات الآذربيجانية المنتقدة بشدّة لفرنسا، والتي بدأت منذ نهاية العام الماضي مع تزويد أرمينيا بالأسلحة، ومنها 50 مركبة مدرعة. كما أن وزير الدفاع الفرنسي، سيباستيان ليكورنو، زار، في شباط الماضي، يريفان، حيث أعلن أن بلاده مستعدّة لتزويد أرمينيا بأنظمة دفاع جوي قصيرة ومتوسطة المدى. ومن جهتها، أعلنت باكو، العام الماضي، أن اثنين من موظّفي السفارة الفرنسية لديها «غير مرغوب فيهما»، كما اعتقلت مواطناً فرنسياً بتهمة التجسّس لمصلحة بلاده.

في هذا الوقت، تمضي أرمينيا قُدماً في توثيق علاقاتها مع الغرب، إذ اجتمع، باشينيان، في الخامس من الشهر الجاري، إلى كلّ من رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لايين، ومسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد جوزف بوريل، ووزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، في بروكسل. وأعربت روسيا عن استيائها من الاجتماع الرباعي، متهمةً الغرب بأنه يسعى إلى فصل أرمينيا عن «اتحاد أوراسيا الاقتصادي» و«منظمة معاهدة الأمن والتعاون الجماعي». ووفقاً لبيان للخارجية الروسية، فإن «موسكو لن تسمح للوعود الغربية الكاذبة بأن تجد ترجمة لها». أمّا الرئيس الأذربيجاني، إلهام علييف، فاتّهم الغرب بأنه يسعى إلى تحويل أرمينيا إلى مخفر متقدّم له في القوقاز. وهذا، بحسب علييف، «سيفتح الباب أمام نتائج وخيمة العواقب».

وفي أعقاب الاجتماع المذكور، قال بلينكن إنه يدعم الشعب الأرميني وأرمينيا من أجل «قوقاز ديموقراطي ومرفّه»، وأن «يعيش الشعب الأرميني بسلام مع جيرانه وأن يأخذ مكانته كأمّة مستقلّة»، معلناً تخصيص 65 مليوناً كمساعدة لأرمينيا، وأنه «يريد أرمينيا مندمجة في محيطها في مجال المواصلات والطاقة والاتصالات»، فيما كشفت فون در لايين أن الاتحاد الأوروبي سيخصّص مبلغ 270 مليون يورو على مدى السنوات الأربع المقبلة، على أن يدعم أرمن قره باغ الذين هاجروا إلى أرمينيا بمبلغ 30 مليون يورو لتسهيل اندماجهم في المجتمع. بدوره، أيّد باشينيان «إعلان ألماتا» لعام 1991، الذي يشير إلى الاعتراف المتبادل بين أرمينيا وأذربيجان في شأن سيادة أراضيهما ووحدتها. وقد رحبت تركيا باللقاء الثلاثي، داعيةً إلى اغتنام الفرصة لتحقيق «سلام عادل وبنّاء» بين أرمينيا وأذربيجان.

وتبقى مسألة الاتفاق على حلّ نهائي وعادل للخلاف الأرميني - الأذربيجاني مثار أخذ ورد بين البلدين؛ إذ تطلب باكو ترسيم الحدود بين البلدين، والاعتراف بسيادتها على كامل أراضيها المعترف بها بعد تفكّك الاتحاد السوفياتي، ومن أجل هذه الغاية، عقد الطرفان عدداً من الاجتماعات في عواصم مختلفة. ورغم المرونة التي أبداها رئيس وزراء أرمينيا في شأن الاعتراف بأذربيجانية كل هذه الأراضي بما فيها منطقة قره باغ، فإن العقبات لم يتم تذليلها بعد. وقبل عشرة أيام، رأى وزير خارجية أرمينيا، أرارات ميرزويان، في تصريح إلى تلفزيون الدولة، أنه «رغم توصّل الطرفين إلى عدد من الاتفاقيات، ولكنّ عقبتين لا تزالان تعترضان طريق الوصول إلى تسوية: الأولى، هي الاعتراف المتبادل بوحدة أراضي كل بلد وترسيم الحدود وفقاً لاتفاقية ألماتا لعام 1991؛ والثانية، هي الاتفاق على آلية دخول حدودية إلى كل بلد من دون وجود قوى دولة ثالثة، وهو ما ليس واضحاً بعد».

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب مهدي حجازي وكيل عادل كتورة لمورثته ماشاءالله سليم الحاج سندين بدل ضائع للعقارين 968 و616 قانا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب المحامي حسين شلهوب وكيل علاء الدين علي سليمان بصفته مشتري سندين بدل ضائع للمالكين عاطف وعادل خليل عز الدين في العقار 510/ A8 دردغيا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب محمد يحي جوني أصالة عن نفسه ولموكلته سارة أحمد طرابلسي شهادتي قيد بدل ضائع للعقارين 151 – 1506 رومين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جزين
طلبت أمل جمعه وكيلة محمد حرب سندات بدل ضائع بالعقار 1321 ريحان لموكليه الياس وبسام محمد حسن حميه وبوكالته عن وسيم حسن حميه لمورثه حسن حميه.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب علي محمد دقوق بوكالته عن نهدية نواف الفضل المشترية من هبه نواف الفضل شهادتي قيد بدل ضائع للعقارين 4814 – 2304 نبطية التحتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلبت حلا ركان بلوق لموكلها وائل حسين عاصي سند تمليك بدل ضائع للقسم 4 من العقار 199 مزرعة كفرجوز.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب محمد حسن رزق بوكالته عن الياس اسماعيل حسين بوكالته عن جميل حسين سلام المشتري من ورثة زينب طالب فخر الدين شهادة قيد بدل ضائع للعقار 375 كفرمان.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب حسين حسن طباجه لمورثه حسن أحمد طباجه لمورثه أحمد رضا طباجه شهادة قيد بدل ضائع للعقار 317 كفرتبنيت.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلبت سهير عبد الرحمن عطية بوكالتها عن عبد الله يحي ناصر الدين وبوكالته عن زاهر عمر المصري سند بدل ضائع للعقار عقار 59 مقسم 127 النوري.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب المحامي جوني سهيل موسى بوكالته عن لودي يوسف صوايا المستدمة من وكالة وكيلها المدني رونى جدعون بصفتها إحدى ورثة المرحومة هيلانة شاهين شاهين سند بدل ضائع للعقار رقم 3779 دوما العقارية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
نادين الحصري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلب محمد أيمن هيثم صالح بوكالته عن أمان محمد عبد الفتاح الزعبي سند بدل ضائع للعقار 3907 مقسم 23 بساتين طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب انطون حبيب ليشا بوكالته عن تراز حبيب ليشا، سندات بدل ضائع للعقارات A/7/3797، و15/2429 مجدليا، و879 مزرعة التفاح.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في الكورة
نادين الحصري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب شربل رفيق مراد بالوكالة عن بسام انطونيوس طربيه بصفته احد ورثة فدوى نعمة الله ناصيف البدوي سند بدل ضائع للعقار 1504 منطقة تنورين الفوقا العقارية.
للمعترض 15 (خمسة عشر يوماً)
للمراجعة
أمينة السجل العقاري
الأستاذة نادين الحصري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في طرابلس
طلب محمد جهاد أحمد بزال بوكالته عن فاتن محمد سمير طوزلي سند بدل عن ضائع عن عبدالله محمد خالد القحة وسميحة عبدالقادر مجانيني للعقار رقم 278 مقسم 1 و4 الحدادين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب مارون شاهين بالوكالة عن ماري محرز خير وميشال كرم ودجو ومهى فايز كرم سند بدل ضائع للعقار 2308 قنات.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

الزلزال الذي ضرب عقيدة التفوّق الإسرائيلي [1]

أسعد أبو خليل *

سيستمرّ التحليل والبحث في الهجوم الإيراني على إسرائيل لسنوات عديدة. لا يمكن المبالغة في أهميّة ما حدث من الناحية الإستراتيجية، أي المسار الطويل من الصراع العربي الإسرائيلي الذي تحوّل إلى صراع إسرائيلي عربي-إيراني، ويضمّ من العرب منظمات مقاومة خارج نطاق الدولة (لحسن الحظ أنها خارج نطاق الدول، لأن لا أمل في الدول العربيّة). لقد تنصّلت كل الدول العربيّة من مهام مجابة إسرائيل: وتراوحت المواقف الأخيرة بين التحالف المعلن أو الضمني أو التزام الحيطة مخافة إغضاب أميركا. و«وول ستريت جورنال» ذكرت أن حكومات السعوديّة والإمارات والأردن شاركت في تقديم العون العسكري والاستخباراتي المباشر لإسرائيل في الحرب. حتى الجزائر باتت حذرة في تعاطيها مع القضيّة (المندوب الجزائري في الأمم المتحدة لم يجد غضاضة في مجلس الأمن من شكر المندوب الأميركي على جهود حكومته في وقف النار).

والدعاية الصهيونيّة في الغرب تعترف بضخامة الضربة الإيرانية ضد إسرائيل، فيما تعمد أبواق الصهيونيّة في العالم العربي على الاستخفاف بالضربة. لكن، إذا كانت الضربة خفيفة ومسرحيّة بجد فلماذا تضطرّ دول «الناتو» (صاحبة الأيادي البيضاء في تمويل وسائل «الإعلام البديل» عندنا) إلى الضغط على إسرائيل للتمنّع عن الردّ على إيران، لعلمها أنّ إيران ستلتزم الردّ. وإسرائيل (بحسب ما ورد في «نيويورك تايمز») قصفت السفارة الإيرانيّة في دمشق، لأن قادة إسرائيل حسبوا أن إيران لن تردّ. هذا يؤكّد مرّة أخرى أنه لا يمكن التعامل مع إسرائيل بعدم الردّ. جرّبت هذا النمط السلوكي كل الدول العربيّة وما جنت إلا المهانة.

الذين تمرّسوا (بأمر طبعاً) في السخرية من نظريّة المؤامرة في الإعلام العربي باتوا من أشدّ المصدّقين بنظريّة مؤامرة بلهاء

القصف الإيراني أبطل عمل معظم مقولات الإعلام الخليجي عن إيران والصراع مع إسرائيل

إنّ فصل الضربة الإيرانيّة (التي وصفها مسؤولون حكوميّون في إسرائيل بـ«غير المسبوقة وشديدة الخطورة») عن سياق الصراع العربي الإسرائيلي يفقدها معناها. كان ممنوعاً أن يصل صاروخ واحد من دولة عربيّة إلى إسرائيل. إسرائيل عطّلت مشاريع الصواريخ المصريّة (في زمن عبد الناصر) وقتلت وهدّدت العلماء الألمان المساهمين فيه (الطريف أن الغرب هوّل على عبد الناصر وعيّره لاستعانته بعلماء «نازيّين» فيما كانت الاستخبارات الأميركية والجيش الأميركي قد استقطبوا أكبر عدد من العلماء النازيّين). وطاردت إسرائيل العلماء الذين أسهموا في البرنامج الصاروخي العراقي. أميركا والغرب يؤيّدون احتكار إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل وللصواريخ الباليستيّة البعيدة المدى. الصواريخ العراقيّة من نوع سكود كانت ذات قدرات تدميريّة أقل بكثير مما هو اليوم في حوزة إيران. الأهميّة ليست في وصول الصواريخ (المجموع كان أكثر من 300 مسيّرة وصاروخ بالستي) بحد ذاته. حزب الله طيّرَ صواريخ مدمّرة في حرب تمّوز وفي حربه الحاليّة (وإن كان يحتفظ بأخطر ما لديه للحرب الكبرى، أو الحرب الأخرى). لكن ماذا جرى وما هي أهميّته التاريخيّة؟

أولاً، لا يجب أن يمرّ تحليل العمليّة الإيرانيّة الفائقة الدقّة والمهارة بمطبخ البروباغندا الخليجي والذي يُشرف على الإعلام العربي برمّته. كيف يمكن لك أن تناقش أشخاصاً يؤمنون بأن العمليّة الإيرانيّة (التي كلّفت إسرائيل نحو 1,3 مليار دولار، فيما أنفقت أميركا نحو مليار دولار على صدّ صواريخ اليمن، باعتراف وزير البحريّة الأميركيّ) مجرّد مسرحيّة. الذين تمرّسوا (بأمر طبعاً) في السخرية من نظريّة المؤامرة في الإعلام العربي باتوا من أشدّ المصدّقين بنظريّة مؤامرة بلهاء. أي إن هؤلاء مقتنعون أن كل دول الخليج العربي وكل أعضاء «الناتو» وإسرائيل شاركوا بسرّية فائقة في مسرحيّة قصف إسرائيل ليس بصاروخ أو صاروخين بل بأكثر من 300 صاروخ ومسيّرة. هذه إسرائيل التي لا تحتمل مسرحيّة تتضمّن إطلاق رصاصة واحدة عليها. إسرائيل في حادثة العديسة في عام 2010 لم تتحمّل رشقة رصاص واحدة. أوعزت يومها إلى اللوبي الإسرائيلي فتحرّك على الفور واستدعى الكونغرس قائد الجيش، جان قهوجي، وأفهموه بصريح العبارة أن أي طلقة رصاص لبنانيّة على إسرائيل ستحرم لبنان من كل المساعدات العسكريّة الأميركيّة (الهزليّة). ولم يطلق الجيش رصاصة ضد إسرائيل منذ ذلك الحين، حتى عندما تعرّض للقصف المباشر في الحرب الجارية. كيف يمكن أن تتبادل الآراء مع أناس مكلّفين بتعطيل المنطق والعلم، لأن مصلحة الدعاية الخليجيّة تتطلّب هذا الكم من الأكاذيب والأضاليل، وكل ذلك لمصلحة إسرائيل. وهذه المسرحيّة أغضبت كل دول الغرب ومجالسها الاشتراعيّة، كما أن إسرائيل لا تزال في اجتماعات حرب متوالية للتعامل مع الضرر البالغ ليس فقط في ممتلكات أو قواعد عسكريّة (أصيبت قاعدتان عسكريّتان شاركتا في قصف السفارة الإيرانيّة في دمشق، باعتراف إسرائيل). ثم إذا كانت إيران غير جادة في صراعها مع إسرائيل، كان يمكن لها ألا تقصف إسرائيل بالمرّة وكان يمكن لها أن تزعم أن المبنى الذي أُصيب في دمشق ليس من ضمن مبنى السفارة بل ملاصق له. وكان هذا الإخراج ممكناً جداً لو أن إيران أرادت أن تتجنّب المواجهة. ثم، لو أن إيران أرادت أن تتجنّب المواجهة فلماذا لم تتوقّف في 2001 أو 2003 أو قبل سنة عن تسليح المقاومات، مع علمها أن هذا التسليح والتمويل هو الذي جلب لها ويلات الغرب والعقوبات القاسية والوحشيّة؟ إنّ ظهور العداء الإيراني الحربي ضد إسرائيل أحرج كل دول التطبيع، لأن ذلك نسف مقولات أن إيران تحارب إسرائيل عبر العرب أو عبر وكلائها. والخطاب الأخير لنصرالله كان واضحاً: إن موضوع ثأر إيران لقصف سفارتها يعنيها هي ولا يعني الحزب كي يردّ. على مرّ السنوات، جهد إعلام الخليج كي يقنع العرب أن إيران الشيعيّة الصفويّة الفارسيّة (وكل هذه الصفات باتت شنيعة في الثقافة الإعلاميّة العربيّة السائدة) لا تكترث لفلسطين. هي تسلّح وحدها في كل العالم مقاومات إسرائيل لكنها لا تكترث لفلسطين. أي إن المطبّعين مع إسرائيل يهتمّون بفلسطين أكثر من الذين يعادون إسرائيل ويسلّحون مقاوميها. هذه المقولة اللامنطقيّة مُروَّجة في الإعلام ويبرع في ترددها الإعلاميّون والإعلاميات اللبنانيّات (وهم الأسوأ بين العاملين في الإعلام الخليجي). هم يبرعون في التملّق والتزلّف ويحاولون البروز عبر منافسة بروباغندا النظام في الإفراط في الاعتناق. القصف الإيراني أبطل عمل معظم مقولات الإعلام الخليجي عن إيران والصراع مع إسرائيل. هي قصفت إسرائيل من أراضيها وليس من الأراضي العربيّة التي يزعمون أنها تحتلّها.

ثانياً، العدوّ كاذب وأميركا تكذب لمصلحتها ولمصلحة إسرائيل. العدوّ الصهيوني كذب على العرب منذ بدء الحركة الصهيونيّة، وكانوا يخفون نيّة إنشاء الدولة بعبارات من نوع «الوطن اليهودي» أو «الكومنولث» لظنّهم أن غاياته بعيدة عن كنه العرب. وحتى حرب 1948، لا تزال أسرارها غير مُفرج عنها. لا أزال أسمع من ليبراليّين عرب أن إسرائيل، مثل باقي الديموقراطيّات، تفرج عن وثائق وأسرار بعد 30 سنة أو أقل في بعض الدول. لكن هذا غير صحيح، حتى الإفراج الأميركي ليس كاملاً والإفراج عن وثيقة لا يعني أنها لا تخضع للرقابة. هناك صفحات من وثائق مُفرج عنها مطليّة بالأسود لأن الرقيب ارتقى أن الأسرار التي فيها تستحق الحماية خدمة للأمن القومي. وحرب الـ1948 محميّة من الرقيب الإسرائيلي وإن أفرج عن بعض ما فيها. العدوّ يكذب وأحياناً ننتظر سنوات قبل معرفة الحقيقة. صحيح أنه ليس عند العرب نظام الإفراج عن الوثائق، لكن الأسرار تتسرّب لأنه ليس هناك من دولة مركزيّة، كما أن كل نظام أو حقبة تريد الاقتصاص من سابقتها، والصراعات في الحكم تفسد حفظ السريّة. لم نعلم في حينه مثلاً أنه أُغمي على إسحاق رابين في حرب 1967. تتصوّر مدى تأثير ذلك على المعنويات لو أن ذلك كان معروفاً؟ نحن مثلاً كنّا على معرفة بعد أشهر بحالة عبد الحكيم عامر (وهو لم يُغم عليه بالمناسبة). الكثير من مجازر الجيش الإسرائيلي في 1948 محفوظ في الأرشيف. بعيداً من التاريخ، إسرائيل كما أميركا تكذب في أرقامها في الحروب.

أميركا مثلاً أصدرت عبر قطاع البحريّة تقديراً بدقة إصابة الصواريخ والقنابل التي ألقتها على العراق في عام 1991 وكانت (حتى شباط 1991) بنسبة 30%، أي إن 70% منها أخطأ الهدف (الأرقام مذكورة في كتاب ريك اتكنسون، «الحملة الصليبيّة»). في حرب أفغانستان، أصدرت أميركا في آذار 2002 تقديراً بأن ربع القنابل والصواريخ فوق أفغانستان أخطأت الهدف. ثم توقّفت أميركا عن إصدار تقديرات وخصوصاً عن عدد قتلى «العدو» (الذي يضم السكان الآمنين). ليس هناك حتى الساعة تقدير أميركي رسمي لعدد ضحاياها في حربَي العراق وأفغانستان (لديها تقديرات لكنها سرّية وممنوعة عن العامّة). وبالنسبة إلى صواريخ صدام في عام 1991، لم تعلن إسرائيل عن مواقع سقوطها بالتحديد. وبعد مرور ثلاثين سنة على سقوط صواريخ سكود تلك، أعلنت إسرائيل للمرّة الأولى عدد ضحاياها (أعلنت أنه سقط 14 قتيلاً وعشرات الجرحى بعد أن كانت نفت ذلك في حينه). وعن أرقام إسرائيل العسكريّة قالت دراسة لمنظمة «هيومن رايتس ووتش» (وهي منظمة صهيونيّة خبيثة) في حينه «يجب التعامل مع الإحصاءات الإسرائيليّة الرسميّة بحذر»، وخصوصاً أن صحافيّين إسرائيليّين اعترفوا أن الحكومة غيّرت تقديرات أرقام الضحايا خلال الحرب ومن دون إعلان سبب ذلك. وكانت أرقام الجيش والمكتب الحكومي الإعلامي ومركز التواصل الإعلامي (الذي أسّسته الحكومة في الحرب) متضاربة مع بعضها البعض، بحسب المنظمة المذكورة.

أمّا البلاغ الأميركي الإسرائيلي قبل أسبوع عن أنه تمّ إسقاط 99% من الصواريخ والمسيّرات الإيرانيّة، فهذه كانت مدعاة للضحك، ليس فقط لأن الرقم مستوحى من أرقام نجاح انتخابات القادة في الأنظمة البعثيّة، بل لأن الرقم لا يمكن أن يكون صحيحاً («معاريف» نشرت أمس أن الرقم الصحيح هو 84%). واعترف مسؤولون أميركيّون (وليس إسرائيليّين) بأن خمسة صواريخ أصابت قاعدة نيفاتيم، وأن ما مجمله تسعة صواريخ أصابت قاعدتَين عسكريّتَين. هذا الاعتراف يتناقض بداهة مع رقم 99% من 300 صاروخ ومسيّرة. ويمكن أن نتوقّع تسرّب الحقائق عن الإصابات والأضرار من جرّاء الهجوم الإيراني على مرّ الأشهر، لا بل السنوات الطويلة، وبالتدرّج البطيء. في يناير عام 1991، زعم الجنرال نورمان شورتزكوف (قائد العمليّات وقوى التحالف في الحرب على العراق) أن نسبة نجاح صواريخ الباتريوت في صدّ الصواريخ العراقيّة كانت «100% حتى الآن». هذا الرقم تمّ تخفيضه باستمرار عبر السنوات إلى أن قرّرت الحكومة أنه كان بنسبة 80% فوق السعودية وبنسبة 40% فوق فلسطين المحتلّة. لكن دراسة دقيقة لمكتب المحاسبة الحكومي الأميركي بعد سنوات من الحرب قرّر رسميّاً أن نسبة نجاح الباتريوت كانت نحو 9%. لم يقتنع بروفيسور ثيودور بوستول في جامعة «إم اي تي» بالرقم، فأجرى دراسة خاصة به وتوصّل إلى خلاصة مفادها: إن نسبة النجاح لم تتعدّ العشرة في المئة، مع أنه رجّح أن تكون نسبة صدّ الصواريخ صفر في المئة.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على «اكس»
@asadabukhalil

(أف ب)

تمخّض الرّد فأنجب مُسيّرة!

علي إسماعيل *

إذا كان هذا هو الرد الإسرائيلي، فالنتيجة أن إيران حقّقت نصراً واضحاً وصريحاً في هذه الجولة. أضاءت إيران ليل الشرق الأوسط في ليلة الرد على الغارة الصهيونية التي استهدفت مبنى قنصليتها في دمشق. ورغم عدم استخدام أسلحة نوعية ومتطورة في الرد، إلا أن كثافة النيران التي أُطلقت من الأراضي الإيرانية نحو «إسرائيل» -برغم علم الجميع وتحديداً مراكز القرار الغربي بالغارة، إذ أعلنت إيران نفسها أنها ستنفذها- لم يستطع الكيان الصهيوني مواجهتها وحده، ما استدعى تشكيل تحالف دولي لعدة ساعات للدفاع عن الكيان شاركت فيه بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة الأميركية، والدفاعات الجوية لبعض الدول العربية كالأردن، بالإضافة إلى المشاركة والاستنفار الكامليْن لكل وحدات الدفاع الجوي الإسرائيلي.

هذا في الشكل، أمّا في المضمون، فبالطبع إنّ ضرب الكيان الصهيوني، من قبل جيش يُعدّ من أكبر جيوش المنطقة، هو تطور كبير وله تداعياته. كبير من حيث القرار، فإيران دولة لها مصالحها وجيشها وعلاقاتها الإقليمية وتحالفاتها الدولية. هي دولة بكل ما للكلمة من معنى، ودخولها في أي مواجهة عسكرية يضع المنطقة برمّتها في دائرة الخطر، وبالتالي اتخاذ القرار بالرد العسكري هو، في حد ذاته، تعبيرٌ عن التغيير في شكل المعركة والتحوّل في توازن القوى في المنطقة. وما يثبت هذا التحوّل، هو الردّ الإسرائيلي نفسه الذي وصفه الوزير الصهيوني المتطرف إيتمار بن غفير بـ«السخيف». وحتى هذا الرد السخيف، حسب تعبيره، لم تتبنَه «إسرائيل» الرسمية، رغم التهديد والوعيد من قادة العدو، السياسيين والعسكريين، بضربة قاسية وواضحة وعلنية، على عكس إيران التي أصدر حرسها الثوري بياناً تبنى فيه قصف المواقع العسكرية الصهيونية.

في جانب آخر، تنشط الماكينة الإعلامية الهائلة المسخّرة لإيهام الجماهير بالنتائج الكبيرة التي تحققها «إسرائيل»، إن كان في حربها على غزة، أو لبنان، وحتى في الاشتباك الأخير مع إيران، إضافةً إلى تسخيف العمل المقاوم في غزة وجنوب لبنان والتقليل من أهميته واعتباره غير مجدٍ ويجلب الدمار. أمّا الحملة الأكثر منهجية، فهي تسخيف الرد الإيراني. هنا لنتوقف قليلاً؛ من يسخّف ويستهزئ بالرد الإيراني الذي كان بمئات الصواريخ والطائرات المُسيّرة واستدعى تحالفاً دولياً لصده، نراه اليوم يتحدّث عن قوة الضربة الإسرائيلية لإيران. هذه الضربة التي لا يكاد يتجاوز حجمها طائرتين مُسيّرتين. ربما لو سألت أكثر المتفائلين الإيرانيين عن كيفية الرد الإسرائيلي فلن يتوقع هذا العدد القليل من الطائرات. هذا الرد نفسه، أربك إيران التي هدّدت بالرد الفوري، فلم تصدّق أن يكون الهجوم الصهيوني بهذه السخافة وأنه لا يستحق الرد. إنّ هذه الماكينة الإعلامية تستطيع إيهام العديد من الناس بخطابها ولكن العدو نفسه يعرف الخسارات الاستراتيجية التي يُمنى بها منذ 7 أكتوبر حتى اليوم.

الخسارة الاستراتيجية هي بداية السقوط الوظيفي لإسرائيل كقاعدة للغرب في بلادنا وعجزها الكبير عن ممارسة هذا الدور، لا بل على العكس تتحوّل هذه القاعدة -التي كان الهدف الرئيسي من إنشائها هو حماية المصالح الغربية في بلادنا- إلى قاعدة تحتاج إلى الحماية الدائمة من الغرب عبر جيوشه، وبالتالي بدأت تتحوّل إلى عبء عليه، فمنذ السابع من أكتوبر حتى اليوم، أي في خلال 7 أشهر، احتاجت إسرائيل إلى تدخّل الجيوش الغربية مرّتين لإنقاذها من كوارث حتمية. وهذا هو التهديد والخطر الحقيقي الاستراتيجي؛ أن تتكرّر هذه الحوادث في ظل وضع دوليّ غير مستقر، واقتصاد غربي يتحضّر لأزَمات قادمة. الخطر على إسرائيل هو لحظة اقتناع الغرب بأن هذه الدولة أصبحت عبئاً عليه، وأصبحت تكلفة دعمها أعلى من مردودها. فالغرب لم يشكّل دولة لليهود محبةً باليهود وإنصافاً لهم، إنما استثمر في ما تعرّضوا له من اضطهاد في أوروبا بدولة تؤمّن مصالحه في الشرق الأوسط. لقد تغيّرت موازين القوى في المنطقة، قد يعيش البعض حالة نكران، لكنّ الواقع في النهاية سيفرض شروطه فوق رغبات وأوهام الجميع. فإسرائيل التي كانت تضرب شرقاً وغرباً، من دون حسيب أو رقيب، لم تستطع، ورغم تهديداتها الكبيرة، ضرب إيران جدياً، ليتمخّض جبل تهديداتهم عن فأر على شكل مُسيّرة.

* باحث

الحرب الأهليّة: أسباب ونتائج

سعد الله مزرعاني *

الحرب ليست استثناءً في التاريخ اللبناني. حدثت وتكرّرت حروب بين اللبنانيين: قبل أكثر من قرن، وخلاله، وهي قابلة للتكرار على نحو أشدّ عنفاً وأكثر خطراً. وقائع متوترة، على امتداد الأشهر الأخيرة، أطلقت إنذارات مقلقة لا ينبغي أبداً التقليل من احتمالات تفاقمها نحو الأسوأ. المحصلات بعد حرب الـ 15 سنة الأخيرة، التي اكتفينا في التعامل معها بشعار «تنذكر ما تنعاد»، أو بوصفها بـ«العبثية»، أو بالتبرؤ منها، كشفت قصوراً متمادياً، ليس فقط حيال معالجة نتائج وتداعيات تلك الحرب، بل، أصلاً، في الوقوف على أسبابها الحقيقية.

في الخلل الذي يعاني منه اللبنانيون، ما يتعدّى أخطاء أو فئويات الأفراد أو حتى الجماعات. إنه خلل في البنية نفسها. وهو تكرّس وترسّخ، ونجمت عنه وقائع صلبة ومصالح دائمة وشرعيات مفروضة، يتناقض قيامها واستمرارها مع المصالح العامة للبنان الوطن والشعب. إنّ تكرار الأزمات على امتداد السنين والعقود (أو حتى القرون)، يفترض ويفرض الذهاب إلى جذور تلك الأزمات، أي إلى الخلل القائم في بنية منظومة السلطة والحكم والعلاقات التي أصرّت عليها، ولا تزال، نخب سياسية وفكرية واقتصادية ودينية منذ نظام القائمقاميّتين والمتصرفية حتى اليوم. عُرفت هذه بـ«الصيغة اللبنانية» التي تمثّل قوتها الفعلية الشرائح العليا من البورجوازية اللبنانية القديمة والجديدة المتداخلة مع الإرث الإقطاعي الذي ما يزال بعضه فاعلاً حتى اليوم. زرعُ الكيان الصهيوني في فلسطين، بعد سنوات قليلة من الاستقلال و«الجلاء»، أكسب «الصيغة اللبنانية» التي فرضها الانتداب الفرنسي، زخماً إضافياً بوصفها جزءاً من خطة تفتيت المنطقة وبلدانها التي انطلقت من «سايكس - بيكو».

الخلل القديم الجديد المتمادي، هو في إضفاء طابع سياسي اجتماعي شامل على الانتماء الروحي للجماعات اللبنانية، طوائف ومذاهب، ومن ثم إقحام ذلك في صلب الحياة السياسية والاجتماعية اللبنانية: تمثيلاً، وسياسة، وإدارة، وتنشئة، وأمناً، وعلاقات داخلية وخارجية... وفق نظام «الكوتا» الذي تبلور إلى منظومة المحاصصة المسيطرة والمتفشية، بشكل متصاعد، في كل الحقول. قاد ذلك إلى نشوء دويلات في كونفدرالية طوائفية ذات مرجعيات خارجية، ما أدى، في السنوات الخمس الأخيرة، خصوصاً، إلى انهيار وإفلاس وفشل بسبب نهب موارد الدولة والسطو على مداخيل ومدّخرات اللبنانيين، مقيمين ومغتربين.

كتب الصحافي جورج نقاش في جريدة «لوريان» في 10 آذار 1949: «نفيان لا يصنعان وطناً». كان بذلك يشير إلى الثنائية التي شكّلت إحدى أهم ركائز «الصيغة» و«الميثاق» اللبنانيين، أي عدم المطالبة بالانضمام إلى سوريا من قبل المسلمين، وإلى فرنسا من قبل المسيحيين. كان نقاش منحازاً. وجد في تلك الثنائية عائقاً أمام تعميق الصلة بالغرب. لكنّ الأمور تداعت لاحقاً، إلى أن الثنائية، تناسلت إلى 18 طائفة/ دويلة تتمتع بسلطة شبه مطلقة، وبحق النقض، معفيّةً من المحاسبة والمساءلة! في أبحاث عميقة وصائبة، أكّد المفكر الشهيد مهدي عامل أن قوة الطائفية، في ظروف لبنان، هي، حصرياً، بالدولة. أي بما تتمتع به من امتيازات سياسية ومالية وإدارية... تنمو، باطّراد، على حساب سلطة وعافية ووحدة الدولة المنتهكة سيادتها من الداخل قبل الخارج!

هكذا كان الأمر، أيضاً، عام 1975، حين اندلعت الحرب الأهلية وتمادت لمدة عقد ونصف عقد. كانت شرائح سياسية واجتماعية واسعة تمارس احتجاجات متصاعدة ضد احتكار السلطة من قبل فئة عمَّقت، بامتيازاتها وسياساتها الداخلية والخارجية، الانقسام السياسي والطبقي ومارست فئوية جامحة كرَّسها دستور متخلّف وفاقمتها أعراف وتقاليد وممارسات وبدع! تفاقم ذلك برفض كل محاولات الإصلاح حتى البسيطة منها. بعض الإصلاحات الشهابية استثارت حملة ضارية من قبل النواة العميقة للصيغة ولمنظومتها بمقدار ما استشعرت خطر التعرض لهيمنتها على الإدارة العامة خصوصاً. ترسخُ وتوسع نفوذ ودائرة المستفيدين، قطع الطريق على كل محاولة إصلاحية حتى لو كانت بحجم تنظيم احتكار الدواء (إميل البيطار) أو إنشاء كلية تطبيقية في الجامعة اللبنانية (وُصف طلابها بـ«المخربين»). في السياق، غالباً ما جوبهت المطالب البسيطة بالتجاهل، والتحركات الاحتجاجية بالمنع والقمع والاعتقال. سقط عشرات القتلى: طلاباً ومزارعين وعمالاً. كان آخرهم الزعيم الوطني معروف سعد. بلور ذلك حالة طبقية اجتماعية تغذّت بوعي فكري وسياسي حملت روّاداً تحرّريّين، برز منهم الزعيم أنطون سعادة، ودعاة عدالة ومساواة روّجوا للأفكار الاشتراكية. من بين كبار رموز التغيير، برز المعلم الشهيد كمال جنبلاط داعية إصلاح سياسي وتطوير اجتماعي وانفتاح عروبي وعدم الانحياز الأعمى للغرب. ساهم ذلك وسواه في تبلور حركة سياسية وطنية ببعد تحرري عربي اجتمعت حول الإصلاحين، السياسي والاقتصادي، واستقطبت قطاعات شعبية وسياسية واسعة، بقيادة الشهيد كمال جنبلاط وبدور بارز للأحزاب العقائدية.

كان هذا هو الوضع الداخلي عشية الحرب الأهلية. في تلك المرحلة، وبالتوازي، أضاف الصراع حول القضية الفلسطينية، وخصوصاً بعد مجيء قيادتها إلى لبنان، بعداً تفجيرياً لا يقلّ أهمية. السلطة التي مارست المنع والقمع الدموي، قررت، تحت تأثير أطراف خارجية وإقليمية، محاولة تكرار ما حصل في الأردن بعنوان «أيلول الأسود». بعض الأحزاب المؤيدة للسلطة ولنهجها، كانت قد أنشأت لنفسها ميليشيا خاصة، علنية، بالتعاون مع ضباط في الجيش، وبغطاء رسمي، وبصلات، تعاظمت تباعاً، مع العدوّ الإسرائيلي. الخيار العسكري/ العنفي بات هو المعتمد، بين فعل وردّ فعل، وسيلةً أساسية لحسم الصراع الذي سارعت أطراف السلطة الأساسية إلى إضفاء الطابع الطائفي عليه لتتحكّم بمجرياته ونتائجه! الشكل الثاني لاحتواء الصراع كان في شعار هذا الفريق، بأن الحرب هي «حرب الآخرين» على أرضنا (روّج ونظّر له صاحب «النهار» غسان تويني). الفريق الخصم ركّز على الأسباب الداخلية وصاغ برنامجاً إصلاحياً، واقترح معالجة عقلانية حاولها كمال جنبلاط وأقصي بسببها عن وزارة الداخلية.

دامت الحرب 15 سنة، خسائر بشرية هائلة، احتلال إسرائيلي ووصاية، ثم تسوية «الطائف». قاومت قوى البورجوازية الكبرى ودول الوصاية (سوريا والسعودية وواشنطن) إصلاحات «الطائف»، وبدّلت فقط في توازناته، ما جعل الوضع بعده أسوأ مما كان قبله. الطبقة السياسية الحاكمة أفلتت من العقاب أثناء الحرب كما قبلها وبعدها. شجعها ذلك على ارتكاب أكبر وأشمل عملية نهب معاصرة، هي أشبه بحرب أهلية من طرف الطبقة، النافذة سياسياً ومالياً، على الأكثرية الساحقة من الشعب اللبناني.

انتفاضة تشرين التي جذبت مئات آلاف المتضررين في تحرك واعد، تعثّرت وفوّتت فرصة تغيير إصلاحي بسبب غياب قيادة وبرنامج وخطة، وتحت تأثير تسييس داخلي وخارجي خدمة لمصالح فئوية، أو لأجندات إقليمية أدارتها واشنطن بشكل خاص.

لا مخرج إلا بالإصلاح الجوهري على قاعدة المواطنة المتساوية: أي بتحرير لبنان من منظومة التحاصص، وبنبذ مشاريع الانقسام والتقسيم (لأنها مشاريع انتحارية وحربية بين الجماعات وفي داخلها على أساس الفئويات والعصبيات والمصالح الخاصة)، يملي ذلك عزل دعاة العنف الرجعي الذي يستهدف قوى التغيير، أو يخدم مصالح ومخططات القوى الاستعمارية والصهيونية للسيطرة على المنطقة بكل ثرواتها ومصائرها. إنجازات الشعب اللبناني في حقل التحرير، خصوصاً، تتعارض مع صيغة نظامه المتخلّفة والمهدِّدة لتلك الإنجازات، وحتى لوجوده نفسه!

[من مداخلة/ بحث في «الحرب الأهلية: عبر ونتائج» في بلدة شملان مساء 2024/4/19]

* كاتب وسياسي لبناني

البلاد

الأسرى حرّية شعب

(أمجد غنّام، في سجن جلبوع. المواد: نسكافيه وحبر على ورق)

باسل فراج *

يأتي يوم الأسير الفلسطيني (17 نيسان) هذا العام ممزوجاً بآلام لا تحصى، ففي هذا اليوم الذي يُعلي فيه الفلسطينيون صوتهم نصرةً للأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، تستمر آلة القتل الصهيونية في ارتكاب المجازر في أنحاء فلسطين كافة، وفي سجونها التي هي مكان للموت والتعذيب. منذ بداية معركة «طوفان الأقصى»، لجأ العدو الصهيوني كعادته إلى اعتقال آلاف الفلسطينيين في محاولة منه لتصدير صورة «نصر» غير موجودة، محاولاً منع الفلسطينيين من مقاومة الاستعمار، حتى بأبسط الوسائل، مثل إبداء التضامن مع المقاومة، وفعل أي مظهر جمعي مناهض. وتشير إحصائيات هيئة شؤون الأسرى والمحررين إلى اعتقال ما يزيد عن 8200 فلسطيني/ة من الضفة الغربية، إضافة إلى عدد غير معلوم من سكان قطاع غزة الذين تم اعتقالهم داخل القطاع أو في المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948، وغيرهم العشرات ممن لجأوا إلى مدن ومناطق الضفة، ويعتقلون دورياً منذ بدء «الطوفان». كما وتشير شهادات الأسرى وتقارير مؤسسات الأسرى الفلسطينية إلى الأوضاع المأسوية داخل السجون، والتي تشمل الاعتداء اليومي على الأسرى/الأسيرات وإخضاعهم/ن لأساليب تعذيب متعددة، فضلاً عن عزلهم/ن عن العالم الخارجي، ومنعهم/ن من الخروج لـ «الفورة»، والمنع المستمر لزيارات الأهالي منذ بداية معركة «طوفان الأقصى». كما تمنع مصلحة السجون الصهيونية الأسرى الفلسطينيين من تلقي العلاج والخروج للعيادات والمستشفيات. كما تنتهج سياسة تجويع ممنهجة عبر تقديم كميات محدودة ووجبات غير مطهوة من الطعام. فضلاً عن ذلك كله، وردت تقارير مسربة بإجراء عمليات بتر لأطراف أسرى القطاع الذين تضررت أطرافهم بسبب التقييد المستمر والمحبوس على مدار أشهر، ما يزيد شناعة الصورة الواردة من داخل السجون.

وفي ظل هذه الظروف التي يمائلها الأسرى بواقع السجون عام 1967، وفي تجارب التحقيق العسكري، تتوالى الأخبار والشهادات المؤلمة حول ظروف الاعتقال واستشهاد الأسرى واحتجاز جثامينهم ضمن سياسة الاستعمار القديمة في احتجاز جثامين المقاومين.
منذ بداية «طوفان الأقصى»، استشهد ما لا يقل عن 15 أسيراً فلسطينياً داخل سجون العدو الصهيوني، من ضمنهم الأسير المناضل والمفكر وليد دقة، الذي استشهد بعد 38 عاماً في الأسر، بعد أن تعرّض لإهمال طبي ممنهج، واعتداءات مستمرة، ورفض دائم لإطلاق سراحه رغم وضعه الصحي الصعب. وكغيره من الأسرى الشهداء أمثال الشيخ خضر عدنان والمناضل ناصر أبو حميد، قُتل وليد داخل أسره بفعل سياسات مصلحة السجون المستمرة في الاعتداء على الأسرى وتجريدهم من حقوقهم. هذا وقد أشارت تقارير أخرى إلى استشهاد ما لا يقلّ عن 27 أسيراً في معسكرات سرية خُصّصت لأسرى قطاع غزة، ولم تعرف حتى اللحظة ظروف استشهادهم أو أي معلومات حولهم.
تستمرّ الاعتقالات اليومية في سائر أنحاء فلسطين كجزء من سعي الاستعمار الدائم إلى محو الوجود الفلسطيني، ومحو أي فعل مقاوم رافض للوجود الاستعماري. ولكن في الوقت ذاته، وكما تذكّرنا فعاليات إحياء يوم الأسير الفلسطيني، فإنّ الاعتقال لا يشير فقط إلى توحّش المستعمِر، بل إلى تاريخ طويل من النضال داخل المنظومة السجنيّة الصهيونية وخارجها، استطاع خلاله الفلسطينيون انتزاع حقوقهم وإجبار السجّان على الخضوع لمطالبهم وصولاً إلى إجبار السجّان على إطلاق سراح الأسرى عنوةً، رغم الأثمان الكبيرة التي دفعوها في مراحل مختلفة.
يأتي يوم الأسير هذا العام والأنظار موجّهة نحو قطاع غزة والمجازر المستمرة فيه، ونحو السجون التي تُمارس فيها شتى وسائل العنف والتعذيب. وفي هذا الملف الخاص نستذكر نضالات الشهداء، والأسرى الفلسطينيين في سعينا المستمر إلى كسر القيد وتحرير الأرض والإنسان، ومحاولة لمجابهة صهر الوعي الذي يمارسه علينا الاستعمار، وفاءً لفكر وليد وكل الأسرى والشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فداء للقضية وللحرية.
يحتوي هذا الملف المنشور في يوم الأسير على مواد تتناول جوانب مختلفة من تجربة الأسر في السياق الفلسطيني، تشمل التجربة الشخصية والمجتمعية والبحث عن معاني الاعتقال وسيَرِه في السياق الفلسطيني، خاصة في ظل حرب الإبادة المستمرة في فلسطين المحتلة. الحرية كل الحرية لأسرى فلسطين.

* أستاذ في جامعة بيرزيت وباحث في شؤون الأسرى

أنيس دولة يستقبل وليد دقة

نبيه عواضة *

أخيراً، انضمّ جثمان الشهيد الأسير وليد دقة إلى زملائه في غرفة ثلاجة الموتى. بطبيعة الحال، وبحكم الأقدمية، سيكون بانتظاره في البهو القائم الأسير الشهيد أنيس دولة.
أمسك ابن قلقيلية، الذي نقل إلى مشرحة أبو كبير بعد استشهاده في زنزانته في سجن عسقلان صيف عام 1980، بيد وليد. وقال له: كنا بانتظارك، لقد قاومت داءك طوال سنوات ثلاث. يتعيّن عليك يا أبا ميلاد أن تخبرنا الكثير عن تجربتك في مواجهة عدوّين اثنين: مرضك والجلاد. وعليك أن تخبرنا عن تهريبك لنطفتك خارج الأسر، والتي أثمرت إنجاب زوجتك سناء لطفلتكما ميلاد، زملائي الشهداء هنا يتوقون إلى معرفة كل شيء جرى خارج الغرفة الباردة هذه. لكن دعني في البداية أن أقدّم لك تعريفاً بسيطاً عن طبيعة الأسر في ثلاجة.
لن يتعيّن عليك الوقوف ثلاث مرات في اليوم من أجل «تعداد» الأسرى، وطبعاً لا «فورة» تخرج إليها (ساحة الشمس). لا وجبات طعام، ولا لقاء بمحام، حتى كما تلاحظ لا داعي لتستعير قميصاً من زميلك كي تخرج لزيارة الأهل. كلّنا عراة. لا توجد زيارات بين الغرف والأقسام ولن تكتب رسالة، ولن تستمع إلى أغنية، ولن تخفي هاتفاً مهرّباً إلى السجن لتجري منه مكالمة خاطفة مع من تحب أو ترغب. وهناك مسألة أخرى أريد إطلاعك عليها، أنا بقيت وحيداً هنا طوال 28 عاماً قبل أن ينضمّ إليّ زميلنا الشهيد عزيز عويسات من جبل المكبر. إنه هناك، صحيح أنه لا يقوى على الحركة، فقد تعرّض لنزف حادّ في الدماغ جرّاء الاعتداء عليه في سجن «إيشل»، عويس دخل في غيبوبة، رفض يومها مستشفى «تل هاشمير» استقباله وتقديم العلاج له، الأمر الذي أدّى إلى نقله إلى هنا.
اعلم أن العقاب الأشد لك أنك لن تمسك بقلم ولن تقرأ كتاباً، ولن تدخل في نقاش هادف مع أحد. فالصمت الذي يحكم المشرحة الباردة ستعتاد عليه. أبا ميلاد، بالاختصار، الاعتقال هنا محكوم بمسألتين، هما: «البرد» و«العتمة»، ولا شيء آخر. الباب الذي يفتح، يفتح فقط لإدخال «جثمان جديد».
هذا هو زميلك السابق فارس بارود، كان معك في سجن عسقلان طوال 18 عاماً، هل تتذكره؟ فارس كان يحكي كثيراً عن نخلة السجن في عسقلان، وعن رائحة زهر الليمون في الربيع.
وعن السنوار وأبو إبراهيم وصلاح شحادة وأبو السعود والقطاوي ونضال زلوم وسفيان أبو زايدة وأبو ماهر وإسماعيل أبو شنب وشباب الجولان ولبنان والأردن.
وليد، تعال أريد أن أعرّفك على شخص بالتأكيد سمعت عنه، نضار طقاطقة من بيت فجّار قرب بيت لحم، هل يوحي لك الاسم بشيء؟ الا يذكّرك نضار بقائدك ومسؤولك الشهيد إبراهيم الراعي الذي قضى تحت التعذيب. نضار مثل «فوتشيك فلسطين» (لقب أطلق على إبراهيم الراعي) لم يعترف للمحققين حتى باسمه، ظلّ يضرب حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. هناك، بجانبه، الشهيد بسام السائح من نابلس، بسام أصيب بالسرطان في دمه وعظمه واستشهد إثر ذلك في مستشفى «أساف هروفه»، جاء إلينا في العام نفسه مع نضار، بفارق شهرين فقط عن بعضهما، لذا تجاورا في الممات.
على هذه الجهة الأسيران الشهيدان سعدي الغرابلي من حيّ الشجاعية في غزة وكمال أبو وعر من قباطية قرب جنين. لا تقل لابن الشجاعية إنّ الحيّ دمّر بالكامل في العدوان المستمر على غزة، هو بيننا جراء التدهور الرهيب لحالته الصحية، أما ابن قباطية فقصته مختزنة جداً، لقد أصيب الرجل بفيروس «كورونا» وهو أصلاً يعاني من سرطان في الحنجرة. أترى! الهواء لا يصل إلى السجن، إلا أن «كورونا» وصلت إليه وحصدت أسيراً. وهذا سامي العمور من دير البلح نقل إلى هنا في عام 2021، سامي اعتقل في عام 2008 ولم يسمح لعائلته بزيارته، فاقفل عينيه قبل 13 عاماً على آخر صورة لهم.
الأسيران الشهيدان هناك لا شك أنك سمعت عنهما. هذا داود الزبيدي ابن مخيم جنين الذي خاض الاشتباك مع جنود الاحتلال، واعتقل مصاباً بفارق الحياة بعد يومين من ذلك. أمّا الثاني، فهو ناصر أبو حميد الشاب الشجاع من رام الله الذي ترصّد به الاحتلال فقام بتصفيته داخل المعتقل.
متعب أنت يا وليد، وكذلك أنا، لكن يجب أن تعرف معي من أنت. هذا الرجل الذي يبيت خلف الباب الحديدي، الشيخ خضر عدنان. ما خاضه ابن عرابة من إضراب مفتوح عن الطعام لمدة 86 يوماً رفضاً للاعتقال الإداري، يسجّل له فعلاً كعمل مميّز. «يا أخي» موضوع الاعتقال الإداري بدعة سلطات الاحتلال هذه، حطمها الشيخ بجوعه. لكن الاحتلال ظلّ يمارسها ويمضي في تحدّيها

هؤلاء هم زملاء الشهادة، كما تلاحظ يا وليد، الشيء المشترك بينهم وبين الأحياء الموزعين داخل الأكياس الحجرية الرطبة، أن لكل واحد منهم سيرة، حكاية ما

أسرى غيره، وهو ما حصل أيضاً مع محمد أحمد راتب الصبار المعتقل إدارياً لأكثر من سنة. استشهد ابن الظاهرية في الخليل نتيجة الإهمال الطبي أيضاً.
بيننا الآن يا وليد أسرى جدد. إنهم أسرى «طوفان الأقصى». هؤلاء لم يتسنّ لهم التعرف على تجربة المعتقل كما خضتها أنت بكل مراحلها. هذا عمر دراغمة ابن طوباس اعتقل بعد أيام من «الطوفان» وجرى تحويله إلى الاعتقال الإداري. ذهب إلى سجن مجدو، إلا أنه فارق الحياة في العيادة. محاميه قال إنه كان بصحة جيدة، ولم يكن يعاني من الأمراض، وكان على موعد عبر تقنية «الكونفرنس» مع محكمة سجن عوفر في اليوم نفسه. ما حصل مع عمر حصل أيضاً لعرفات حمدان من بيت سيرا قضاء رام الله، الرجل اعتقل بتاريخ 2023/10/22، وزج به في سجن عوفر، إلا أنه فارق الحياة بعد يومين في عيادة السجن. أيضاً جمعة أبو غنيمة من النقب، وعاصف الرفاعي من كفر عين، ظلّا في وضع صحي خطير لأيام بعد اعتقالهما حتى فارقا الحياة جراء التعذيب. تعذيبٌ حتى الموت، حصد كذلك حياة كل من عز الدين زياد عبد البنا وأحمد رزق قديح وهما من غزة.
اتعلم يا وليد بيننا هنا من كل شرائح المجتمع الفلسطيني. لدينا أيضاً كما تسمّيهم أنت في أدبياتك اليسارية «عمّال كادحون». هذا ماجد أحمد زقّول من غزة، عامل اعتقل بعد 7 أكتوبر، ظل اعتقاله مجهولاً حتى أعلن عن استشهاده عبر وسائل إعلام إسرائيلية. وهذا الأمر ينطبق على الشهيد الآخر الذي هنا وهو مجهول الهوية.
هؤلاء الذين هنا، عبد الرحمن أحمد محمد مرعي من سلفيت، وعبد الرحمن باسم البحش من نابلس، جرت تصفيتهما في سجن مجدو أيضاً. في حين أن ثائر سميح أبو عصب من قلقيلية فارق الحياة في سجن النقب الصحراوي. ثائر لم تلتقه في النقب يا وليد، أنت ذهبت إلى سجن نفحة بينما هو اعتقل منذ عام 2005 وكان ينتظر الإفراج عنه في 2030.
في جسد خالد الشاويش 11 رصاصة، أمضى حياته في المعتقل في نفحة منذ عام 2007 يعاني من شلل نصفي، لم يتحمّل، عانى ظروفاً نفسية قاهرة فـ«فقع قلبه».
هؤلاء هم زملاء الشهادة، كما تلاحظ يا وليد، الشيء المشترك بينهم وبين الأحياء الموزّعين داخل الأكياس الحجرية الرطبة، أن لكل واحد منهم سيرة، حكاية ما. صحيح أنهم لا يتحركون، وأن سلطات الموت قد استرجعت أرقامهم ووضعتها في صدر الكوّة الحديدية الباردة، إلا أنهم ليسوا بمنسيّين. لهم من يحمل أسماءهم نيابة عنهم، تماماً كما تحمل صغيرتك الجميلة ميلاد اسمك عنك.
فيا أبا ميلاد، أعرف أنك تحب الضوء والهواء. لكن، يفترض بي أن أكون قد بلغت من العمر 80 عاماً لو أني على قيد الحياة، ومضى على اعتقالي 56 عاماً، 12 منها أمضيتها في سجن عسقلان و44 عاماً في الثلاجة. لقد تقدّم عليّ الزمن كثيراً يا رفيقي، عليك أنت الآن أن تتحمّل مسؤولية زملائك في حفرة الموت والبرد والعتمة، ريثما تنقل رفاتنا إلى التراب الدافئ.

* أسير محرر

من ليان كايد إلى عبد طناني وأحمد بدير

منذ بداية الطوفان، وتحديداً عندما بدأنا نرى أسماء نألفها ووجوهاً نعرفها ضمن قوائم شهداء الإبادة في غزة، سبّب سؤال الانفصال بين أبناء جيلنا في الضفة الغربية ورفاقهم في غزة أرقاً لليان كايد. فهي، كما نعرفها، تمتلك عقلاً تحليلياً لا ينطفئ، وعاطفةً جيّاشةً لا نستطيع إيجادها عند معظمنا، وعندما أدرج اسما عبد الرحمن طناني وأحمد بدير في قوائم الشهداء، أخذت ليان بطرح أسئلة لم تستطع حتى اليوم أن تجد أجوبة لها. أذهلتها نظرة أحمد وعبد، ورفاقهما، للأسرى والأسيرات، وحاولت فهم ما يكمن خلف صورة «البطولة» التي وجدتها في كتابتهم عنها ورفيقات أسرها في السابق. في نص غير منشور كتبته سابقاً، حاولت ليان طرح أسئلتها باحثةً عن جواب مرضٍ، وكان أكثر ما يشغلها قلّة اتصالنا بمن يهتم بنا في غزة، وخوفنا من أن يعتبر تواصلنا معهم «تهمة» جديدة تزجّ بنا في السجون. فكّرت كثيراً في الصدع القائم بيننا، وإن كان من الجدير بنا أن نبحث فيهم، وأن نطرح الأسئلة عليهم، ولم تقوّ حتى الآن على فهم معنى كوننا «شعب تحت الإبادة»، يستشهد على إثره بعضنا، ويشاهد الآخر الإبادة ولا يقوى على وقفها، أو «يريح ضميره بوجوده في السجن»، فهي متشبّثة حتى النهاية بالوجود في الشوارع والعمل الحقيقي دعماً لمقاومتنا وسعياً لوقف الحرب. في محاولاتها للبحث عن أجوبة لأسئلتها التي لا تنتهي، بدأت ليان صياغة النص التالي، وحاولت إنشاء محادثة بين الشهداء والأبطال حول الأسرى، بكلماتهم، وبوجهة نظرهم، من دون أن تدخل فيها رأيها، علّها تجد الإجابة في ما قالوا هم. وحرصاً منّا على إكمال نص ليان، نشملها في حوار الأبطال أدناه. في ما يلي نص بدأت بكتابته الباحثة وطالبة الماجستير في جامعة بيرزيت، والأسيرة في السجون الصهيونية حالياً، ليان كايد، قبل اعتقالها ببضعة أيّام، بتصرّف من أصدقائها:

من الممكن أن كل ما أقوله معيب، وخارج السياق، ولا داعي له الآن، أو ربما لا داعي له في المطلق. لكن الضفة الغربية عام 2019، أسس عبد الرحمن من غزة صفحة بعنوان «تقدمي»، لنشر قصص الأسرى وحكاياتهم، وكان يقول دائماً: «قديش خلف كل اعتقال قصص كثيرة... قديش محزن إنو نتناقل أي خبر اعتقال أسير بشكل سطحي وعادي». في 18 أكتوبر 2023، استشهد عبد الرحمن في غارة صهيونية، وكان آخر ما نشره على حسابه: «إذا متنا ضلّكم تذكرونا، لا تخلّونا أرقام». وفي 10 يناير 2024، استشهد الصحافي أحمد بدير، محرر في مجلة «الهدف»، والذي يصف «بوستر» المجلة كيف استشهد: «في عدوان غادر لطيران الاحتلال الحربي».
أنا أعرف أن عبد وأحمد استشهدا في عدوان غادر لطيران الاحتلال الحربي، لكن أحمد كان يعرف عني تفاصيل أسري، وبماذا أفكر، وماذا تعلمت، وكيف كان روتيني اليومي! أعود إلى المقابلة التي أجراها أحمد معي، أبحث عن المكتوب بالخط العريض، لماذا يسألني ولا يتحدث؟ كيف سأعرفه فقط من خلال الأسئلة، أقرأ النص فقط من خلال الأسئلة، أعود لقراءة الأسئلة، فأتذكّر بأن من المؤكد أنه كتب المقدمة والخاتمة كذلك، أعود فأقرأ المقدمة، ومن ثم الأسئلة مجدداً، لكن لا يوجد خاتمة. لا أعرف كيف خطرت لي هذه الفكرة، ولم تعد تنفك عن ذهني، باستشهاد عبد وأحمد، وأصدقاء آخرين، لن يكون هناك أحد من غزة يعرفنا كـ«مناضلين». نعم لم نكن نودّ أن نكون بطلات، لكن في حرب الإبادة التي نعيشها هنا في رام الله كمتفرجين، كان يواسينا أن يعرفنا أحدهم هناك في غزة مناضلين. لا أحد سيصدق أننا لم نكن مجرد مشاهدين، أخر من كان يؤمن أننا قضية مركزية، كان هناك طالب جامعي اسمه عبد الرحمن طناني، مع الهجمة الصهيونية على جامعات الضفة الغربية عام 2019، أسس عبد الرحمن من غزة صفحة بعنوان «تقدمي»، لنشر قصص الأسرى وحكاياتهم، وكان يقول دائماً: «قديش خلف كل اعتقال قصص كثيرة... قديش محزن إنو نتناقل أي خبر اعتقال أسير بشكل سطحي وعادي».
في 18 أكتوبر 2023، استشهد عبد الرحمن في غارة صهيونية، وكان آخر ما نشره على حسابه: «إذا متنا ضلّكم تذكرونا، لا تخلّونا أرقام». وفي 10 يناير 2024، استشهد الصحافي أحمد بدير، محرر في مجلة «الهدف»، والذي يصف «بوستر» المجلة كيف استشهد: «في عدوان غادر لطيران الاحتلال الحربي».
أنا أعرف أن عبد وأحمد استشهدا في عدوان غادر لطيران الاحتلال الحربي، لكن أحمد كان يعرف عني تفاصيل أسري، وبماذا أفكر، وماذا تعلمت، وكيف كان روتيني اليومي! أعود إلى المقابلة التي أجراها أحمد معي، أبحث عن المكتوب بالخط العريض، لماذا يسألني ولا يتحدث؟ كيف سأعرفه فقط من خلال الأسئلة، أقرأ النص فقط من خلال الأسئلة، أعود لقراءة الأسئلة، فأتذكّر بأن من المؤكد أنه كتب المقدمة والخاتمة كذلك، أعود فأقرأ المقدمة، ومن ثم الأسئلة مجدداً، لكن لا يوجد خاتمة. لا أعرف كيف خطرت لي هذه الفكرة، ولم تعد تنفك عن ذهني، باستشهاد عبد وأحمد، وأصدقاء آخرين، لن يكون هناك أحد من غزة يعرفنا كـ«مناضلين». نعم لم نكن نودّ أن نكون بطلات، لكن في حرب الإبادة التي نعيشها هنا في رام الله كمتفرجين، كان يواسينا أن يعرفنا أحدهم هناك في غزة مناضلين. لا أحد سيصدق أننا لم نكن مجرد مشاهدين، أخر من كان يؤمن أننا لسنا كذلك، شاهدنا اغتياله!
قال الشهيد عبد الرحمن طناني عن الأسير الشهيد كمال أبو وعر: «في هامش صغير في إحدى زوايا الصفحة قد لا ينتبه له أحد مع ضجة المانشيت والتعازي التي تفيض بها الصفحة؛ يُكتب خبر استشهاد أسير. أهذا هو الوفاء للتضحيات؟ أهذه قيمة المناضلين الشُرفاء؟».
عبد الرحمن كان معجباً ومتأثراً بشدة بالطالب الجامعي ابن بيرزيت يزن مفامس، الذي اعتقل عام 2019، ومورس بحقه تعذيب قاس جداً، فضرب وشبح، والآن يقبع في سجن ريمون الصحراوي، بانتظار الحكم عليه بالسجن المؤبد - مدى الحياة.
كتب الشهيد عبد الرحمن طناني هذا المنشور عن يزن بتاريخ 21 حزيران 2021: «يزن مفامس، أخي الذي لم تلدهُ أمي، بطلي، بطلي الذي علّمني معنى الفداء والتضحية، معنى أن تهب روحك وعمرك لأجل الوطن، بطلي الذي علّمني المعنى الحقيقي للحب الوحشي للوطن بكل ما أوتيت من قوة، بطلي الذي علّمني ما معنى أن تترك الدنيا بما فيها وتنطلق نسراً أحمر مُحلّقاً في سماء فلسطين، قدوتي، قدوتي الذي علّمني أن لا معنى للحرية والحياة تحت احتلال، قدوتي الذي علّمني أن ضربة الجلاد لا تزيد الفدائي الحقيقي إلا قوة وصلابة، قدوتي الذي طبّق بفعله الأنشودة التي نردّدها دوماً "اطلب شباب يا وطن وتمنّ"، قدوتي الذي علّمني بأن العناد في وجه مُحتلك أقوى معاني المقاومة، قدوتي الذي خرج من تحت التعذيب المميت مُبتسماً رافعاً رأسه فخوراً بنفسه وبما فعل يرفع إشارة النصر عالياً، أخي يزن، لن ترى منشوري هذا، ولكنني على يقين بأن حريتك حتمية وقريبة، وسيأتي اليوم الذي نُصلّي فيه في الأقصى، ونسهر فيه بين جبال رام الله، ونبنيه بعدها على بحر غزة، سياتي اليوم الذي سوف نتجول به في شوارع بيرزيت، ونرى صورك تمسك بقلم ولن تقرأ كتاباً، ولن تدخل في نقاش هادف مع أحد.
فالصمت الذي يحكم المشرحة الباردة ستعتاد عليه. أبا ميلاد، بالاختصار، الاعتقال هنا محكوم بمسألتين، هما: «البرد» و«العتمة»، ولا شيء آخر. الباب الذي يفتح، يفتح فقط لإدخال «جثمان جديد».
هذا هو زميلك السابق فارس بارود، كان معك في سجن عسقلان طوال 18 عاماً، هل تتذكره؟ فارس كان يحكي كثيراً عن نخلة السجن في عسقلان، وعن رائحة زهر الليمون في الربيع.
وعن السنوار وأبو إبراهيم وصلاح شحادة وأبو السعود والقطاوي ونضال زلوم وسفيان أبو زايدة وأبو ماهر وإسماعيل أبو شنب وشباب الجولان ولبنان والأردن.
وليد، تعال أريد أن أعرّفك على شخص بالتأكيد سمعت عنه، نضار طقاطقة من بيت فجّار قرب بيت لحم، هل يوحي لك الاسم بشيء؟ الا يذكّرك نضار بقائدك ومسؤولك الشهيد إبراهيم الراعي الذي قضى تحت التعذيب. نضار مثل «فوتشيك فلسطين» (لقب أطلق على إبراهيم الراعي) لم يعترف للمحققين حتى باسمه، ظلّ يضرب حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. هناك، بجانبه، الشهيد بسام السائح من نابلس، بسام أصيب بالسرطان في دمه وعظمه واستشهد إثر ذلك في مستشفى «أساف هروفه»، جاء إلينا في العام نفسه مع نضار، بفارق شهرين فقط عن بعضهما، لذا تجاورا في الممات.
على هذه الجهة الأسيران الشهيدان سعدي الغرابلي من حيّ الشجاعية في غزة وكمال أبو وعر من قباطية قرب جنين. لا تقل لابن الشجاعية إنّ الحيّ دمّر بالكامل في العدوان المستمر على غزة، هو بيننا جراء التدهور الرهيب لحالته الصحية، أما ابن قباطية فقصته مختزنة جداً، لقد أصيب الرجل بفيروس «كورونا» وهو أصلاً يعاني من سرطان في الحنجرة. أترى! الهواء لا يصل إلى السجن، إلا أن «كورونا» وصلت إليه وحصدت أسيراً. وهذا سامي العمور من دير البلح نقل إلى هنا في عام 2021، سامي اعتقل في عام 2008 ولم يسمح لعائلته بزيارته، فاقفل عينيه قبل 13 عاماً على آخر صورة لهم.
الأسيران الشهيدان هناك لا شك أنك سمعت عنهما. هذا داود الزبيدي ابن مخيم جنين الذي خاض الاشتباك مع جنود الاحتلال، واعتقل مصاباً بفارق الحياة بعد يومين من ذلك. أمّا الثاني، فهو ناصر أبو حميد الشاب الشجاع من رام الله الذي ترصّد به الاحتلال فقام بتصفيته داخل المعتقل.
متعب أنت يا وليد، وكذلك أنا، لكن يجب أن تعرف معي من أنت. هذا الرجل الذي يبيت خلف الباب الحديدي، الشيخ خضر عدنان. ما خاضه ابن عرابة من إضراب مفتوح عن الطعام لمدة 86 يوماً رفضاً للاعتقال الإداري، يسجّل له فعلاً كعمل مميّز. «يا أخي» موضوع الاعتقال الإداري بدعة سلطات الاحتلال هذه، حطمها الشيخ بجوعه. لكن الاحتلال ظلّ يمارسها ويمضي في تحدّيها

لا أعرف كيف خطرت لي هذه الفكرة، ولم تعد تنفكّ عن ذهني، باستشهاد عبد وأحمد، وأصدقاء آخرين، لن يكون هناك أحد من غزة يعرفنا كـ«مناضلين»

رغم أنف الاحتلال، ووعد المقاومة لنا سيكون قريباً وسنقهر العدو فوق الأرض كما قهرناهم من تحت الأرض». واستجاب أبو عبيدة متغنياً بأسرى نفق الحرية قائلاً: «إذا كان أبطال نفق الحرية حرروا أنفسهم هذه المرة من تحت الأرض، فإننا نعدهم ونعد أسرانا الأحرار بأنهم سيتحررون قريباً بإذن الله من فوق الأرض».
وجاء «الطوفان» بخطاب تاريخي لمحمد الضيف يقول: «وقد سبق وحذّرنا قادة الاحتلال من استمرار جرائمهم، وأهنّا بقادة العالم التحرك لوضع حدّ لجرائم الاحتلال بحقّ مقدساتنا وشعبنا وأسرانا وأرضنا (...) فلم يستجب قادة الاحتلال، ولم يتحرك قادة العالم، بل ازدادت جرائم الاحتلال وتجاوزت كل الحدود، (...) وفي الوقت نفسه، لا تزال سلطات الاحتلال تحتجز الآلاف من أسرانا الأبطال، وتمارس ضدهم أبشع أساليب القهر والتعذيب والإذلال. المئات من أسرانا قضوا في غياهب السجون عشرين سنة ويزيد، والعشرات من أسرانا وأسيراتنا أكل السرطان والمرض أجسادهم، وقضى الكثيرون نحبهم نتيجة الإهمال الطبي والقتل البطيء المتعمّد. ولقد قوبلت دعواتنا بعقد صفقة تبادل إنسانية بالرفض والتعنّت».
«وبالعودة إلى نايا ونتالي، فإنّهما الآن بكل تأكيد تحنّان إلى خبز أمهما، وضحكة والدهما، وحضن مشترك يُدفئ المكان ويُذكّرنا جميعاً ببشاعة هذا الاحتلال المستمر في سرقة الفرح من شفاه أطفالنا منذ 74 عاماً» - هذا ما قاله الشهيد أحمد بدير في مقال كتبه عن طفلتي الأسيرة لينا أبو غلمة في «بوابة الهدف»، وهو ما جاء «الطوفان» من أجله، لإنهاء الحزن وزرع الأمل بالحرية القادمة لا محال.
وفعلاً تحققت صفقة تبادل منقوصة إثر «الطوفان»، أعطت فرحة ممزوجة بالقهر والألم: «سامحونا، سامحونا يا الله، سامحونا أنه طلعوا ولادنا ع شهدائهم»، قالت والدة الأسير المحرر عمر العطشان.
وعلى الرغم من فجاعة المشاهد وبطش الاحتلال وظلم السجان وقساوة الواقع، يذكّرنا الأسير الشهيد وليد دقة برحيله المؤلم: «أعترف بأني ما زلت إنساناً ممسكاً على حبه، قابضاً عليه كما لو كان الجمر، وسأبقى صامداً بهذا الحب، سأبقى أحبّكم، فالحب هو نصري المتواضع والوحيد على سجاني»...

... في انتظار حرّية ليان لاستكمال المقالة ومتابعة طرح الأسئلة والبحث عن أجوبة

البلاد

تجربة مع الأسر بعد 7 أكتوبر

تعرض كاتب المقالة للاعتقال الإداري لمدة 4 أشهر بعد أحداث السابع من أكتوبر، وعقب استهداف الاحتلال للناشطين والأكاديميين الفلسطينيين، عايش فيها الكثير من الممارسات القمعية، والتي تتوزع على ليلة الاعتقال، والاستقبال في مراكز التوقيف، والتنقل عبر البوسطة، والمكوث في السجن

أشرف بدر *

قد تكون ليلة الاعتقال الأصعب على المعتقل الفلسطيني، إذ يمعن فيها أفراد الجيش الإسرائيلي في التنكيل بالأسرى. فمنذ اللحظة الأولى، يتم اقتحام البيت وتحطيم محتوياته بشكل يرعب الأهل، ومن ثمّ تعصيب عينَي الأسير وتقييد يديه إلى الخلف بشدة، حتى ينحبس الدم في اليدين، مع زجّه في ناقلة جنود أو جيب عسكري مكتظّ بالأسرى. شخصياً، وُضعت فوق أسير ملقى على أرضية ناقلة جنود، وكان يعاني بدوره. وطوال الطريق إلى إحدى المستوطنات، وضع أحد الجنود ركبته على صدري، ما تسبب في صعوبة تنفسي، وعانيت من الاختناق، وخصوصاً أنّي أعاني من مشكلة في الرئة بعد إصابتي بفيروس «كورونا»، وأستخدمُ بخاخاً لعلاج الأزمة، ومع ضيق التنفس ظننتُ أني سوف أسلّم الروح.
عقب الوصول إلى المستوطنة التي نُقلنا إليها، وُضعنا في إحدى الساحات، تعرّضنا فيها للتنكيل والضرب والشتائم والبصق على الوجه، علاوة على تبوّل أحد الجنود على الأسير (ع. أ.)، ومحاولة خنقه. بعد ساعات مرّت كدهر كامل، نُقلنا إلى مركز التوقيف في «عتصيون»، وبقينا ساعات على الإسفلت في وضعية السجود، تحت أشعة الشمس، وكل من يتحرك نتيجة تخدّر جسده بسبب وضعية الجلوس، كان يتعرّض للضرب المبرح.
التقينا في مركز التوقيف في «عتصيون» بعدة أسرى كُسرت أطرافهم أو أضلاعهم بسبب ضربهم أثناء الاعتقال. لقد وُضعنا في غرف يوجد فيها أسرّة وفرشات مطاطية رفيعة (جومي)، مع نقص في البطانيات، أمّا الأكل فكان غير قابل للمضغ أو البلع لرداءته وعدم طهوه، ومعظم الأسرى لم يذوقوا منه شيئاً.
أثناء النقل من مركز التوقيف في «عتصيون» إلى سجن عوفر، تعرّض معظم الأسرى للتنكيل والضرب والإهانة، مع إجبارهم على إنزال الرأس إلى مستوى الركبة. وفي «عوفر»، كان الاستقبال بتجريد الأسرى من ملابسهم وتفتيشهم عراة، ومصادرة ملابسهم وأحذيتهم، وإبقائهم بملابسهم الداخلية (قضى معظمنا فترة سجنه بالملابس نفسها)، بعد منحهم ملابس الزيّ الموحّد لـ«الشاباص» وبابوج (شبشب).

سجن عوفر

دخلنا إلى غرف «عوفر» المكتظة، والتي كانت تتسع سابقاً لثمانية أشخاص، لكنهم كدّسوا بها 14 أسيراً (بالمتوسط)، من دون ملابس أو أغطية أو وسائل للنظافة الشخصية. بقينا 10 أيام لا يسمح لنا بالخروج للفورة، سوى مرة واحدة لمدة 15 دقيقة، من أجل الاستحمام، كون الحمامات خارج الغرف. كنا في «قسم 24» نسمع، يومياً، أصوات الضرب والتعذيب لمعتقلي قطاع غزة من العمال الذين سُحبت تصاريحهم، كانوا في القسم المجاور لنا، وكانت تسمع أصواتهم في كل تعداد للأسرى والذي يتكرر يومياً 3 مرات.
عايشت اقتحام وحدة «المتسادة» لإحدى الغرف في «قسم 24»، بلا أي سبب، لمجرد شكل من أشكال التدريب على القمع. أطلقت الوحدة في الاقتحام قنابل الصوت والرصاص المطاطي، فأصيب ثلاثة أسرى إصابات أدت إلى نزفهم، وبعد إخراج جميع الأسرى من الغرفة مكبّلين، وضربهم أمامنا، تم غسل أرضية الغرفة المليئة بالدماء.

البوسطة

أثناء تحضيرنا للنقل في «البوسطة» إلى سجن نفحة، اصطفّ جنود وحدة «النحشون» المسؤولون عن نقل الأسرى بصفّين. فبعد تكبيلنا بالأصفاد بالأيدي والأرجل تمّ «جرّنا» إلى الحافلات، ومن الجانبين كنا نتعرض للضرب بالهراوات وللكمات بالأيدي وللركل بالأرجل، مع الشتم والبصق والإهانات، والشدّ من اللحية والرأس. كدّسونا داخل زنازين صغيرة على متن الحافلة، التي يصعب التنفس فيها نتيجة قلّة الأوكسجين.
عند الوصول إلى «نفحة» ونزولنا من الحافلة، تكرر مشهد الصعود إليها نفسه تقريباً، مع تحريض الكلاب المدربة على مهاجمة الأسرى هذه المرة، وطبعاً تعرّض بعضنا لخربشات الكلاب كالأسير (م. خ.). ليتّضح لنا في ما بعد أنّ أيّ تنقل من غرفة إلى غرفة داخل السجن (باستمرار يتمّ نقلنا من قسم إلى آخر، ولا يوجد استقرار)، أو من غرف السجن إلى سجن آخر، أو لزيارة المحامي، أو حتى للمحكمة، كل هذا يعني بالضرورة التعرض للتنكيل والإهانة على يد السجانين.

سجن نفحة

أُدخل بعض الأسرى إلى غرفٍ أرضيتُها تفيض بمياه المجارير، والبعض دخل إلى غرف ليس فيها فرشات كافية، ولم نحصل على الأغطية والحرامات إلا بعد حوالي 15 يوماً من الاعتقال، مع مصادرة للوسائد. بقيتُ طوال فترة الاعتقال في الغرف، فلم أتعرّض لأشعة الشمس لأربعة أشهر، لا يوجد أي «فورة»، وهنالك عزلة تامة عن باقي الأسرى. ويمنع حتى التواصل بين الغرف في القسم نفسه، فالكلام بين الغرف قد يؤدي إلى قمعها، بل إن رفع الأذان للصلاة ممنوع، ويعرّض المؤذن للعقوبة، وبطبيعة الحال صلاة وخطبة الجمعة ممنوعة.

> فيما لو تعرّض أحد الأسرى لطارئ طبي كالذبحة الصدرية فكما حصل مع الأسير (م. ص.) الذي كان في الغرفة المقابلة لي حيث جاء جواب السجان: «ماذا أفعل له... فليمت»

(نبيل عناني)

قطع كامل عن العالم الخارجي، ولولا وجود راديو «مهرّب» عند بعض الأسرى، لما عرفنا أي شيء عما يجري في الخارج. لكن الغرفة التي فيها الراديو ضبطت أثناء التفتيش، وتعرّض الأسرى فيها لعقوبة قاسية، تمثّلت بحرمانهم من الفرشات والأغطية لمدة أسبوع كامل. بعد حوالي شهرين من الاعتقال، نقلنا إلى قسم آخر، وفقدنا التواصل مع الخارج، صرنا نعتمد في تداول الأخبار على مجيء الأسرى الجدد، وبعض الأخبار التي تردنا كرؤوس أقلام من الأقسام المجاورة في السجن، التي ما زال فيها راديوات مهرّبة.
فيما لو تعرّض أحد الأسرى لطارئ طبي كالذبحة الصدرية فكما حصل مع الأسير (م. ص.) الذي كان في الغرفة المقابلة لي حيث جاء جواب السجان: «ماذا أفعل له... فليمت»

الرعاية الصحية

لا يوجد كشف طبي أو رعاية صحية، ويقتصر الأمر على تزويد أصحاب الأمراض المزمنة بأدويتهم، ولا يوجد طبيب أسنان، فمثلاً لو عانى الأسير من ألم شديد في أسنانه، فالعلاج هو مسكّن الأكامول «باراسيتامول»، وفيما لو تعرّض أحد الأسرى لطارئ طبي كالذبحة الصدرية، فكما حصل مع الأسير (م. ص.) الذي كان في الغرفة المقابلة لي، حيث جاء جواب السجان لنا بعدما نادينا عليه لطلب المساعدة: «ماذا أفعل له... فليمت». كانت مناداة السجان بمثابة مخاطرة منا، فالمناداة على السجان أو رفع الصوت في داخل الأقسام قد يعرّض الأسرى للقمع والرش بالغاز، ففي إحدى الحالات تعرضت غرفة في القسم للقمع والضرب والحرمان من الفرشات والأغطية لمدة أسبوع، لأن أحد الأسرى تصادف ضحكه على طرفة ألقاها زميله مع مرور أحد السجانين، فتم اتهامه بأنه يهزأ من السجان، وعوقب وقمع مع من في غرفته. بل إن مجرد إجراء حديث عابر مع السجان قد يتسبب بالقمع الذي قد يتطور إلى القتل، مثل ما حدث مع الأسير الشهيد ثائر أبو عصب في سجن النقب بعد قضائه أكثر من 16 عاماً في السجن، وكان أحد ممثلي الأسرى، فعندما سأل أحد السجانين، متى سيحصل وقف لإطلاق النار، كان جواب السجان: «سآتيك بالجواب بعد قليل»، وجلب معه 15 سجاناً أبرحوه ضرباً، وتسبّبوا بمقتله.

الأكل والمياه

لم يكن الطعام كافياً، ونوعيته رديئة، إذ يقتصر الفطور على بيضة مسلوقة مع أربع شرائح خبز، والغداء مقدار كأس صغير من الأرزّ الأبيض غير المملّح أو المبهّر مع أربع شرائح خبز، ونصف كأس شوربة باردة، قد تتضمن حمصاً أو فاصولياء بيضاء غير ناضجة، وقد يكون مع «الوجبة» حبة «نقانق» أو قطعة حبش صغيرة، أما العشاء فعبارة عن علبة لبنة صغيرة (50 غراماً) بمعدل ملعقتين وأربع شرائح خبز، وشرحة فليفلة، وحوالي خمس حبات زيتون، بمعنى أن «الوجبات» الثلاث تعادل حوالي 1600 سعرة حرارية (كيلو كالوري) في أحسن الأحوال، وهذا ما يبقي الأسير على قيد الحياة، لكنه لا يمنحه الطاقة الكافية. وبشكل عام، لا يوجد تنويع بالأكل، ومعظمه «نواشف» وأكل بارد، ما يتسبب بتلبك معوي، وإمساك شديد عند معظم الأسرى. شخصياً، وبعد أربعة أشهر من الاعتقال، فقدت 16 كيلوغراماً من وزني، نتيجة سوء التغذية.
أمّا المياه، ففي بعض السجون كالنقب تأتي المياه لمدة ساعة واحدة يومياً، ويسمح لكل غرفة بتعبئة قارورة بسعة ليترين ليشرب منها طوال اليوم 14 - 15 أسيراً. وفي ما يتعلق بالمياه الساخنة للاستحمام، فهي تقطع لمدة طويلة. أمّا سجن نفحة، فتأتي فيه المياه لمدة ساعة يوماً بعد يوم. وفي ما يتعلق بالنظافة الشخصية، فإن أدوات التنظيف والصابون والشامبو وورق التواليت شحيحة. كما يمنع مقصّ الأظافر (لذلك نضطرّ إلى تهريبه)، ولا توجد ماكينات وشفرات حلاقة، فمعظم الأسرى منذ 7 أكتوبر، لم يحلقوا رؤوسهم أو لحاهم أو يقصّوا أظافرهم. أما الملابس، فمعظم الأسرى لا يملكون ملابس شتوية، أو حتى ملابس داخلية بديلة، ويضطرّ معظمهم إلى غسل ملابسهم الداخلية والانتظار حتى تجف، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه يتم نشرها بعد غسلها داخل الغرف، فلا تتعرّض لأشعة الشمس، ما يجعل رائحتها عطنة بعد فترة.

الشرطة والمحاكم

في بداية الاعتقال، تم «جرّنا» إلى مقر شرطة «عوفر»، تعرّضنا خلال «البوسطة» للضرب والتنكيل، كان عددنا حوالي 30 أسيراً، وتم وضعنا في غرفة صغيرة لا تتسع لعشرة أشخاص في أقصى حد، كنا جميعاً واقفين (بسبب ضيق المكان لا يستطيع أحد الجلوس). بعدما عانينا من الاختناق نتيجة نقص الأوكسجين، تغلّبنا على خوفنا من استدعاء السجانين، وطرقنا على الباب لنطالب بإخراج المرضى وكبار السن، فتعرّضنا للضرب أولاً، ثم تم نقل كبار السن إلى غرفة أخرى، فأصبحت الغرفة أقلّ اكتظاظاً.
استدعيت إلى غرفة الشرطي، الذي واجهني بتهمتي وهي ممارسة التحريض، وأني ناشط في مقاومة الاحتلال. أنكرت التهمة، فطلب مني التوقيع على إفادة، كانت عبارة عن 3 أوراق مكتوبة باللغة العربية، تحوي نصاً جاهزاً مطبوعاً سلفاً، عبارة عن تهم جاهزة، متبوعة بإجابة «لا»، على سبيل المثال: «هل شاركت في مسيرات ضد إسرائيل، الجواب: لا» وعلى هذا المنوال، كانت بقية الأسئلة. لم تستمر جلسة الاستجواب لأكثر من 10 دقائق، أخبرني بعدها الشرطي بأنه قد صدر بحقي قرار اعتقال إداري لمدة ستة أشهر. بعد رجوعي إلى الزنزانة وحديثي مع باقي الأسرى، اتّضح لي حدوث السيناريو نفسه معهم، 3 أوراق جاهزة بالأسئلة نفسها مطلوب التوقيع عليها، وفي حال رفض المعتقل التوقيع، لا يكترث الشرطي، يخرج الأسير من الغرفة، وعقب ذلك تؤخذ عيّنات «دي أن ايه» من الأسرى، وعندما نطلب من الشرطي السماح لنا بالتواصل مع الأهل أو المحامي، يُرفض الطلب.
تُعقد جلسات المحكمة عبر الفيديو كونفرنس بواسطة جهاز كمبيوتر، ما يسمى محكمة التثبيت، التي كانت تعقد قبل 7 أكتوبر خلال أسبوع من الاعتقال، لكن محكمتي عقدت بعد 28 يوماً، وحدث الشيء نفسه مع العديد من المعتقلين، ولم يحضر فيها المحامي بسبب إعلان المحامين إضرابهم كاحتجاج على سلوك منظومة الاحتلال، وعدم التزامه بأي قانون، سواء في عملية التوقيف أو تمديد الاعتقال. رغم ذلك، عقدت المحكمة في أجواء شكلية كمحكمة صورية؛ قاضٍ يجلس أمام الشاشة، لا تسمع معظم كلامه، ولا يصلك سوى بعض الترجمة لما يدور في الجلسة التي تقرر مصيرك لنصف سنة قادمة. تم إبلاغي بأن قرار المحكمة سيصلني فيما بعد، وكما هي الحال مع بقية المعتقلين لم يصلني أي قرار، رغم طلبنا من مدير السجن إعلامنا بقرار المحكمة المعروف سلفاً انحيازها لطلب المدعي العام العسكري. بعد ثلاثة أشهر ونصف شهر من الاعتقال، أُخذت إلى محكمة استئناف، عرفت فيها أنه قد تم «تثبيت» القرار الإداري بحقي، وإخباري بأني معتقل لمدة 6 أشهر، في محكمة الاستئناف ترافعت عن نفسي لعدم وجود محام، وفي نهاية الجلسة التي لم تستمر أكثر من 10 دقائق أُخبرت (مرة أخرى) بأن قرار المحكمة سيصلني، لكن، وكما حدث سابقاً، لم يصلني شيء.

الإفراج

بعدما قضيت 4 أشهر في السجن، جاء السجان الساعة 5 مساء وأخبرني بأن أحضر نفسي للنقل من القسم الموجود فيه. تم تقييد يديّ، وإنزالي إلى زنزانة انتظار، لأكتشف بعد نصف ساعة وجود قرار بالإفراج عني، ليتّضح لي في ما بعد أن محكمة الاستئناف قلّصت فترة اعتقالي إلى أربعة أشهر، ووافقت على طلب المحامي بالاكتفاء بالمدة التي قضيتها. طلب مني السجان نزع ملابس السجن (الشاباص) وتسليمها، وبقيت ببنطلون بيجامة داخلي وقميص خفيف، في شهر شباط البارد.
طالبت الضابط المسؤول بتسليمي أغراضي (الأمانات) التي أُخذت مني في بداية الاعتقال، بنطالي والجاكيت والحذاء، وكذلك مبلغ مالي وجهاز الجوال ومفاتيح، فتم إخباري بأنه لا يوجد موظف لتسليمي الأمانات، ويمكنني في ما بعد الحصول عليها عن طريق «الصليب الأحمر» الذي توجّهت إليه لاحقاً لأطالب بأغراضي، فتم إعلامي من «الصليب» بأنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، وأنهم ممنوعون من زيارة السجون، ولن يقدروا على جلب «أماناتي»، فقمت بتوكيل محام للحصول عليها، وبعد حوالي أسبوعين من الإفراج، جلب المحامي بعضها لأكتشف سرقة المبلغ المالي الذي كنت أحمله (870 شيكلاً)، وعدم وجود الملابس والحذاء.
بالعودة إلى أجواء الإفراج، تم تقييدي من يديّ وفي قدميّ بأربع «كلبشات»، وزجّي في زنزانة بسيارة النقل مع أسير آخر، لنوضع بعد ساعتين من السفر على حاجز الظاهرية. حتى اللحظة الأخيرة من الإفراج، بقينا في حالة شد عصبي وترقب، خشية أن يتم تجديد اعتقالنا، كما حدث مع عدة أسرى، حيث تم الإفراج عنهم ووضعهم على الحاجز، وبعد ذلك أعيد اعتقالهم مرة أخرى، وذلك للالتفاف على قرار الإفراج، وليظهر الأمر كحالة اعتقال جديد، ستمرّ بالروتين نفسه، التوقيف وانتظار قرار المحكمة.

* زميل باحث في المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، أكاديمي ومختصّ بالشأن الإسرائيلي

(حسني رضوان)

التقاءٌ واتّساع

غسان نداف *

-0-

تلاقت الأزمنةُ وتداخلت حدود الجغرافيا في لحظةٍ واحدةٍ لا تدري فيها إنْ كنتَ شهيدًا أو طريدًا أو أسيرًا! تحاولُ عبثًا فهم الخطّ بين الموت والحياة.
لعلّك في السّجن، ولكن أينَ القضبان؟ وربّما موتٌ، ولكن أينَ القبور؟ وإنْ كنتَ طريدًا، فأينَ المطاردة؟ مَن أنتَ الآن؟ ومن يكون صاحبُ هذا البسطار العسكريّ الجاثم فوقَ صدرك؟ إنْ كانَ لا اسمَ واضحاً لك، فلا اسمَ له.
لنقل إنّكَ كلُّ الضّحيّة وهو كلّ الاستعمار، تصرَّفْ وفقَ هذا؛ فهي لحظة وجودية وإن تداخل فيها الزّمن أو فَرّ، فـ«إمّا أنْ تكون أو لا تكون».
حسنًا... لِنبدأ من البداية.

-1-

«أقسمُ بِشَعبي إنّني...»
قاطعنَي بسرعةٍ جنونيةٍ، واضعًا بسطاره في فمي، ثمّ أخذَ لحظةً قبل أن يأخذ عبوة كبريتٍ من مكتبه قائلًا:
- «لِنضع شعبكَ في عبوة الكبريت، فلا تقسم وتكلّم».
أغلقَ العبوة على قَسَمي فأقسمتُ:
- «أقسمُ لكَ بالصّخرِ والتراب إنّني...»
قاطعني مرّةً أخرى، وبدا على وجهه ملامح أوليّة للغضب، ثمّ أخرجَ عبوة الكبريت مرةً أخرى، فتحها وهو يقول: «وها قد وضعنا الصّخرَ والتّراب في عبوة الكبريت... اعترف».
- «أقسمُ بشعبي إنّني...»
صاحَ في وجهي: «ألم نضع شعبكَ في عبوة الكبريت؟»
- «لقد خرجَ من العبوة عندما فتحتها لتضع الصّخرَ والتّراب».
لعلّه لم يفهم النّكتة، لا أدري ولكنّه غضبَ أو أكثر قليلًا، فصفعني وسقطت أذناي ولم أعد أسمع سوى طنينِ الصّمتِ، وكانت تلك فرصتي لأقولَ ما أريدُ قوله من دون أنْ يقاطعني، ثمّ أقسمتُ له بكلّ ما آمنت به العرب أنّني لستُ يحيى السّنوار، أمّا اسمي فهو يحيى عشقًا من أبي ليحيى بن زكريا؛ رغمَ غزله العذريّ برقصة سالومي، أمّا ذقني الرّمادية فلم تكن كذلك، فأقسمتُ مجدّدًا ورأيتُ عبوة الكبريت تُفتَح وتُغلَقُ عدّة مراتٍ من دون أنْ أسمع ما يقول «ولله إنّ ذقني لم تكن كذلك، وهذا ما تراهُ ليس شيبًا وإنْ كانَ وقارًا، وإنّما هو ركامُ غزّة انهالَ على وجهي فصارَ وجهي رُكامًا».
لكمَني المحقّقُ فتهافتَ الرّكام وغابَ وجهي تمامًا وراحَ يحقّق مع وجهٍ بلا ملامح.

-2-

سَألهُ المحقّق عن مكانِ محمد الضّيف، فاتّسعت عيناه استغرابًا. كرّرَ السّؤال، فاتّسعت عينا الأسير أكثر، كرّرهُ ثلاثًا فاتّسعت أكثر وأكثر. اقتربَ المحقّق ينظر إلى عينيه المتسعتينِ عجبًا، ثمّ اقتلعهما من مكانهما، وبدّلَ سؤاله قائلًا: «فاعترف إذًا أنّكَ هو».
ردّ عليه الأسيرُ بكلّ جديّةٍ:
- «لستُ هو، أمّا هذا الظلّ وتلك العتمة فهي لانقطاعِ الكهرباء... أشعِل النّور لترى».
رغم ألمِهِ الشّديد وشعوره بالفراغ الغريب مكان عينيه، إلّا إنّه لم يكن يعرف بأنّه قد أعمى بصره، ولكنّه يعرف جيّدًا أنّه ركل خصيتيه لحظتها حتى تدحرجتا إلى أن ارتطمتا ببسطاره العسكريّ وانفجرتا.
تمّ الانفجارُ مع سابقِ الإصرار والترصّد، وصدرَ الحكم من دون أن يرى قاضيًا أو نيابةً أو محاميًا.

-3-

من أينَ جاءَ الصّوت؟ ما هذا السّوادُ الحالكُ حولي؟ ما الزّمنُ الآن؟ كلّ ما أتذكّرهُ أنّني تذكّرتُ شيئًا، فحاكموا ذاكرتي ومسحوها... تذكّرتُ أوّلَ الطّوفان، وكتبتُ على جدارِ مستشفى الشّفاء «تذكّروا، تذكّروا السّابع من أكتوبر» وهدموا الجدارَ فوقي، وربّما أطلقوا النّارَ عليّ، وربّما قتلوني، ولكنّني نسيتُ أن أموت، فقد غدوتُ كثير النّسيان، ممسوح الذّاكرة «أو هكذا قيل لي».
ما الزّمنُ الآن؟ هل ستطلعُ الشّمسُ دورةً أخرى، فيمضي يومٌ فوقَ يوم ويصير لي زمني؟ أم أنّ هذا الظّلام طَويلٌ ولا وقت؟ وهذا الصّمتُ الثّقيل ألا يخرس؟ ألا يخبرني أحدٌ بالحقيقة؟ كلّ ما أتذكّرهُ أنّني تذكّرتُ الحروب السّابقة، وفي كلّ حربٍ فقدتُ شيئًا من جسدي، وعوّضني امتلاءٌ آخر، هو امتلاءُ القلب. وها أنا ذا، لا أمتلكُ سواهُ يخبرني الحقيقة.
ألا تصمتِ وتكفّ عن الأسئلة؟ إنّكَ تدري وإنْ كنتَ لا تتذكّر... ألا تراهُ يبذل كلّ ما في وسعه من قتلٍ وتدميرٍ ليمحو 7 أكتوبر من ذاكرتك، في حينِ يبذل ما في وسعه من خطابٍ واستجداءٍ ليذكّر العالم بـ«مأساة» 7 أكتوبر؟ فعلى أيّ الجانبينِ يميل؟ هل يمحو التّاريخ أم يخلّده؟
مِن أينَ جاءَ الصّوت؟ ها أنا ذا أسمعهُ مجدّدًا... أهوَ صوتُ القلب يخبرني بالحقيقة؟ فتذكّروا إذًا...
دخلَ أسيرٌ إلى الزّنزانة قبل أن يجدوا له تهمة، فوجدَ على أرضها قلبًا يوقظُ جسده، وعلى جدارها عبارة واحدة، قرأ فتذكّر، فتحقّقت التّهمة، فهدموا الجدار عليه، وظلّت العبارة واضحةً: «تذكّروا، تذكّروا الخامس عشر من أيّار 48».

-4-

تَهاوَت عينه في يدي، هي ذي، انظُرْ ما أغربها، أرأيتَ مثلها من قبل؟ كُفَّ عن الضّحك فابنتي لم تتمَّ عامها السّابع بعد، وقد طلبت منّي في عيدها أنْ أجلبَ لها حيوانًا لم تَرَهُ من قبل، ولكنّ إدارة السّجنِ تحرمني من اصطحابه معي، ما أشدّ ظلمهم!
حسنًا سأجلبهُ لها بالتّقسيط، لقد عرفتُ منذ اللحظةِ الأولى أنّه بقايا كائنٍ ممّا قبل البشريّة، حتّى قبلَ أنْ أرى هَذي العين الغريبة، وقد أجريتُ عليه عدّة اختباراتٍ آدميّة، وضعتُ فيشة الكهرباء في أذنه، فقالَ لي «لا أسمعك جيّدًا». ولّما حرمتُهُ وصحبته من الماء، لم يمت، فوضعتُ رأسه في برميل ماءٍ وشربه كوحشٍ بدل أنْ يتألم. هل ثمة ما هو أغرب؟
ستفرحُ ابنتي بعينه، وسأصفُ لها كيفَ انتزعتُها من وجه الوحش البدائيّ.

-5-

فتحوا بابَ الزّنزانة وقاموا بإلقاءِ أسيرٍ فوقَ أسيرٍ يتّكئُ على أسيرٍ يمسكُ بيدِ أسيرٍ يهمِسُ بأذنِ أسير: «سنتحرّرُ»، ولمّا طَلعَ الصّبحُ، كانت آلافُ الأجسادِ مكوّمةً في الزّنزانة.
ستقول إنّها لا تتّسع.
ما شاء الله. أنتَ عبقريّ. تقول إنّها لا تتّسع، وتظنّ أنّني لا أدري؟ معكَ ألف حقّ، فالزّنزانة الضّيّقة النتنة ذات الجدران الرطبة المتعفّنة، تنامُ حيثُ تبول وتبولُ، حيثُ تأكل وتأكل، حيثُ تجلس لا يمكن أن تتسع لأكثرَ من شخصٍ وعشرة صراصير وآلاف الحشرات تشغَل الفراغ إنْ وُجِد.
أرأيتَ أنّني أعرف يا عبقريّ زمانك؟ ولكن تخيّل معي، أو حاوِل أن تتذكّر.
هل تذكّرت؟
كنتَ وحدكَ تسألُ عن الزّمنِ تائهًا عن الحقيقة، سقطَ عليكَ رجلٌ مفقوء العينينِ، ثمّ فُتِحَ الباب، وألقوا بآخر، حتّى كلّما جلبوا أسيرًا اتّسعت الزّنزانة لتتسعَ لأسيرٍ آخر، ولّما جلبوا آلافَ الأسرى اتسعت الزّنزانة حتّى صارَت...
لا أدري، ماذا يمكن أن تصير؟ ما اسمُ هذا المكانِ الّذي يتّسعُ لآلافِ الرّفاق؟ أهوَ مكانٌ وفيه زمان؟
ما الزّمنُ الآن؟

■■■

يا أيّها القارئُ تمهّل، ولا تلقِ بجام غضبكَ عليّ لأنّني لم أتقنْ سردَ الحكاية، فلا الزّمنُ واضحٌ هنا ولا المكان، ولا أدري كيف تسيرُ القصّة ومن هم شخوصها؟ كلّ ما أعرفه أنّنا عدنا للحظةِ الأولى حيث تذوبُ الجغرافيا، فالتقي أنا الغزّاويّ الذي عشتُ ما عشت من الحروب بابنِ جنينِ الّذي راحَ يقصّ عليّ قصصَ المخيّم، وعلى يساري عكّاويٌّ أطلقَ النّارَ على «البوليس» في هبّة أيّار، وبجانبي صاحبُ الذّاكرة الّذي تذكّر، وأمامي الوجهُ الحالمُ الّذي استعادَ ملامحه أخيرًا، وحولنا آلافُ الرّفاق وقد صرتُ بينهم وصرنا نتّسعُ فيتّسعُ السّجن أو يُكسَر «فطوبى لِمَن يتّسعون»(1)، ولم نجد إلّا تبادلَ الحكايات والحلمِ والغناء، حكايةُ تلاقينا نحنُ الّذين لم نتخيّل يومًا أن نلتقي، ها نحن نلتقي هنا في السّجن، حُلمُ تَحرّرنا نحنُ الّذين لم نتخيّل يومًا أنّ الحلمَ بالحريّة ممكنٌ، والكثير من الغناء، يبدأ همسًا كي لا يسمعنا السّجانُ وما أن نتذكّرَ أنّنا أكثرُ منه عددًا وأشدّ إيمانًا حتّى يعلو غناؤنا:

«أنا الآن بينَ مئات الرّفاق
أضمّ لقبضاتهم قبضتي
أنا الآن أشعرُ بأنّي قويّ
وأنّي سأهزمُ زنزانتي» (2)

انتهت
(بعد نصف عامٍ على حرب الإبادة)

(1) من «الضوء الأزرق» لحسين البرغوثي
(2) من قصيدة لمعين بسيسو

* قاصّ وكاتب مسرحي فلسطيني، وطالب ماجستير في جامعة بيرزيت

مواد أخرى على الموقع

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 نيسان 2024 العدد 5181

رحيل

أحد صنّاع مجد الدراما المصرية

صلاح السعدني... وداعاً يا «عمدة»!

القاهرة ــ **أحمد فوزي**

غيّب الموت أمس الممثل المصري صلاح السعدني (1943 ـ 2024) الرجل الذي اشتهر بلقب «عمدة الدراما المصرية»، في إحالة إلى دوره البارز في المسلسل الشهير «ليالي الحلمية» (1987 ـ 1995). في البداية، أعلن نقيب الممثلين المصريين أشرف زكي الخبر الحزين، فانهالت تعليقات الفنانين والجمهور التي نعته وتذكّرت أعماله الخالدة على مر تاريخه الفني الطويل الذي امتد على أكثر من نصف قرن. كما نعته وزارة الثقافة المصرية في بيانها، مشيرةً إلى أنّ «أعماله باقية تُخلّد ذكراه وتُلهم الأجيال القادمة».

دفع صلاح السعدني غالياً ثمن مواقفه السياسية ومواقف عائلته وصُنِّف على أنه من المغضوب عليهم خلال عقد السبعينيات خلال حكم أنور السادات (1970-1981). ورغم أن انطلاقة السعدني كانت في ستينيات القرن الماضي، إلا أنّ العقوبات التي طالته، عرقلت خطواته بين مدة وأخرى، وبالتالي تعتبر مدة الثمانينيات والتسعينيات هي التي صنعت شعبيته الجارفة التي ظلّت حتى وفاته، عبر مشاركته في أعمال درامية لا تزال تحظى بنسب مشاهدة عالية سواء لدى إعادتها على قنوات التلفزيون أو عبر يوتيوب. حلّ السعدني بطلاً على الأجزاء الخمسة من مسلسل «ليالي الحلميّة»، و«أرابيسك» (1994)، وكلاهما من تأليف الكاتب الراحل أسامة أنور عكاشة. وكان «ليالي الحلمية» المسلسل الذي تحدث عن مصر وأحوالها منذ عصر الملك فاروق وحتى بداية التسعينيات، وما مرّت به البلاد من تغيّرات بعد ثورة يوليو وحرب أكتوبر 1973 والانفتاح الاقتصادي الذي عاشته مصر مع أنور السادات، فحقّق المسلسل شعبية كبيرة. وقد انطلق السعدني في أعماله بعد وفاة السادات عام 1981، إذ خفتت الحرب التي كان يقودها النظام عليه. كانت ثقافته الواسعة تجعل اختياراته الفنية مميزة، فحملت أعماله إلى جانب المتعة الفنية، دوراً سياسياً وثقافياً قدمه السعدني بشكل غير مباشر، فغلبت على مسلسل «أرابيسك» الرسائل السياسة والاجتماعية عبر الشخصية التي قدمها السعدني بطلاً وهي «حسن أرابيسك»، وأثار مسلسله «حلم الجنوبي» (1997) نقاشاً كبيراً في مصر حول تجارة الآثار، وكان مسلسل «الأصدقاء» (2002) الذي أدّى بطولته مع محمد وفيق وفاروق الفيشاوي علامة أخرى في تاريخه الدرامي، حيث قدّم شخصية عالم الذرة الذي يُقتل بسبب رفضه بيع بحث مهم لـ «العدو». أعمال عرض معظمها للمرة الأولى في شهر رمضان حين

دفع صلاح السعدني غالياً ثمن مواقفه السياسية ومواقف عائلته

كان الموسم الوحيد تقريباً لعرض المسلسلات. وعبر هذه الأعمال، حقّق السعدني مجداً درامياً كبيراً، وكان يقال إن عادل إمام حقق نجوميته في السينما، بينما حققها السعدني من الدراما. وكانت المقارنة دائمة بينهما لأنهما من جيل واحد، وظهرا معاً عبر مسرح جامعة القاهرة، كما تزاملا في كلية الزراعة التي كانت بشكل أو بآخر مصدراً لتفريخ كثير من المواهب المصرية مثل محمود عبد العزيز، وسميرة غانم وجورج سيدهم، وغيرهم.

أطل السعدني على جمهوره المصري للمرة الأولى في عام 1960 عبر مسلسل «الرحيل»، وغلبت أعماله السينمائية في البداية على تقديم الدراما، فظهر في «شياطين الليل» (1966) مع فريد شوقي، وأفلام الحرب الشهيرة «أغنية على الممر» (1972)، ثم «الرصاصة لا تزال في جيبي» (1974)، وشارك مع المخرج يوسف شاهين في أحد أهمّ أفلامه وهو «الأرض» (1970) الذي صنِّف الثاني ضمن أفضل 100 فيلم مصري.

عمل السعدني في أفلام أخرى عدَّت من علامات السينما المصرية في القرن العشرين، مثل «زمن حاتم زهران» (1987) مع نور الشريف وبوسي، و«تحت الصفر» (1990) مع نجلاء فتحي، و«شحاتين ونبلاء» (1991)، و«المراكبي» (1995)، و«قضية عم أحمد» (1985)، كما قدم السعدني أعمالاً مسرحية أهمها «الملك هو الملك».

وكان مسلسل «القاصرات» (2013) قد سجّل آخر إطلالاته على الشاشة الصغيرة، فظهر في دور أثار الكثير من الجدل حينها، إذ ناقش المسلسل قضية شهيرة في مصر هي زواج القاصرات. وكان العمل مغامرة للسعدني الذي أدّى دور رجل متزوج من بنات صغيرات في السنّ. لكنها كانت أيضاً عادة الممثل الشهير الذي انجذب دوماً للأدوار الإشكالية ومناقشة الموضوعات ذات البعد الثقافي والاجتماعي، كما فعل في دراما قدمها من جزءين هي «رجل في زمن العولمة» ناقش خلالها أفكاراً جريئة عن الفارق بين الأجيال وتأثير التكنولوجيا ـ التي لم تكن بشكلها الحالي ـ على التعليم والثقافة وحياة البشر عموماً. ويرى النقاد في مصر أن السعدني لم يكرَّم كما يجب، وإن حصل على جائزة التميز الفني من «مهرجان الإسكندرية السينمائي»، لكن كانت هناك مطالبات دائمة بتكريمه من «مهرجان القاهرة السينمائي»، وهو ما لم يحصل.

خلال السنوات الأخيرة، اقتصر ظهور صلاح السعدني على بعض الصور مع نجله الممثل أحمد السعدني، فكانت تطمئن جمهوره ومحبّيه. وبعد اعتزاله الفن، لم يتورّط في أي تصريح عن أسرار مرحلة عمله في الفن، أو تفاصيل تخص شخصيات أخرى عمل معها لسنوات. لعلّها ميزة رموز هذا الجيل (هو وعادل إمام مثلاً). حينما ابتعدوا عن العمل، حافظوا على أن تكون صورتهم الأخيرة هي أعمالهم الدرامية والسينمائية، لا تصريحاتهم «النارية» التي تتصدر عناوين الصحف أو مواقع الفيديوات. واشتهر - كما يقول عن نفسه - بأنه رجل «كنباوي»، نسبة إلى الكنبة التي يجلس عليها، من دون أن يخرج كثيراً ويشارك في «العراك» السياسي والثقافي كما ذهب آخرون. نقطة علّق عليها الناقد طارق الشناوي في نعيه للسعدني بقوله «كان عملاقاً في ذروة عطائه منذ مطلع الستينيات. وعندما اختار الصمت في سنواته الأخيرة، ظلّ عملاقاً... صلاح السعدني قامة وقيمة».

مفكرة

أدهم الدمشقي: الفن بلسم الروح

يواصل المسرحيّ والتشكيلي اللبناني أدهم الدمشقي (الصورة) تقديم عمله التجريبيّ «صاج» بالاشتراك مع والدته شكريّة عزّام. يعالج العرض، الذي يقدّم غداً وبعده في محترف الفنان، تجربة الأخير الشخصية مع الفقر والحرمان والموت والجنس والتساؤلات الوجوديّة، في ضوء تجارب مأساويّة وصادمة عاشها في طفولته ومراهقته. إنّها محاولة تطهّرية تهدف إلى التشافي، فحين يعبر الفنّ من الفنان إلى المتلقّي، يسهم في تحويل التصالح الفردي إلى تصالح جماعيّ.

«صاج: عرض مسرحي تجريبي»: غداً الأحد وبعده ـ الساعة الثامنة والنصف مساءً ـ «محترف أدهم الدّمشقي» (الجعيتاوي ـ بيروت) ـ للاستعلام: 70/604353

المزارع «هيكل» ينتظركم في زغرتا

في منطقة «الشنبوق» في جرود عكّار (شمال لبنان)، يعيش «هيكل» المزارع الذي يبلغ ستين عاماً على بُعد كيلومترات قليلة من سوريا التي تتنازعها الحرب الأهلية. في هذه القرية التي هجرها العديد من أهلها، تسود التوترات الطائفية والخوف واليأس فيما يكافح هيكل للبقاء في أرضه التي أسّس فيها مزرعة ومطعماً، وسط كساد المواسم الزراعية وظلّ الهجرة التي تحيط بمن تبقّى وشبح الحرب المشتعلة في الجوار. يقدّم الرجل مثالاً للتمسّك بأرضه بعيداً من الشعارات، ليصبح روح هذه البقعة المنعزلة.

حاز وثائقي «ميّل يا غزيّل» (الصورة/ 95 دقيقة ـ 2016) الذي أخرجته اللبنانية إليان الراهب، جوائز عدة وقُدّم في عدد من المهرجانات حول العالم. في هذا العمل الذي يُعرض اليوم في «محترف سميح زعتر» في زغرتا، تركّز المخرجة اللبنانية عدستها على جمال تلك المنطقة لتخرجها من الصور النمطية وأخبار الفقر والحوادث الأمنيّة التي لصقها بها الإعلام.

عرض «ميّل يا غزيّل»: س:19:00 مساء اليوم ـ «محترف سميح زعتر» (زغرتا ـ شمال لبنان) ـ للاستعلام: 03/210424

دونا خليفة: ورشة جاز مجانية

لا يقتصر الموعد الذي تضربه دونا خليفة (الصورة) على الموسيقيين فقط، بل إنّ الورشة التي تقيمها اليوم في «ملتقى السفير» يتوجّه إلى كل محبّي الجاز. تحت عنوان «الجاز من خلال الصوت»، تقدّم العازفة والملحّنة، والموزّعة ومغنّية الجاز اللبنانية، ورشة تدريبية مجانية تندرج ضمن «الأسبوع العالمي لموسيقى الجاز». سيتعمّق المشاركون في موسيقى الجاز ونظرياتها. جلسة تفاعلية مفيدة للعازفين والفنانين الذي يرغبون في استكشاف أصواتهم وتوسيع مهاراتهم في الارتجال، والجمهور الواسع الذي يقدّر الجاز.

«الجاز من خلال الصوت: ورشة مع دونا خليفة»: اليوم العاشرة صباحاً ـ «ملتقى السفير» (الحمرا)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار al-akhbar

السبت 20 نيسان 2024
العدد 5181 السنة الثامنة عشرة
Samedi 20 Avril 2024 nº 5181 18ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

الصورة المتوجة أول من أمس بجائزة World Press Photo لعام 2024، التقطها مصوّر وكالة «رويترز» محمد سالم في 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2023 في أحد مستشفيات خان يونس أثناء القصف الصهيوني

بيتر ديموك
وحدها «الشظيّة» تحرّرنا من الإمبراطوريّة

سعيد محمد

في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، رفعت «الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال – فلسطين»، وعدد من منظمات حقوق الإنسان الفلسطينية، وفلسطينيون في غزة والولايات المتحدة، دعوى قضائية في محكمة فيدرالية أميركية ضد الرئيس جوزيف بايدن، ووزير الخارجية أنتوني بلينكن، ووزير الدفاع لويد أوستن لفشلهم في منع الإبادة الجماعية الإسرائيلية التي يتعرّض لها أكثر من مليوني فلسطيني في غزة، بل للتواطؤ فيها.

الفلسطيني الأميركي المقيم في كاليفورنيا محمد حزر الله، هو أحد المدّعين على رموز الدولة ـ الإمبراطوريّة. منذ بداية العدوان على غزة، قتلت القوات الإسرائيلية سبعة من أفراد عائلته الممتدة، بمن فيهم طفل يبلغ أربع سنوات. ظلّ حزر الله على اتصال منتظم بأسرته الممتدة، بما في ذلك ابنة أخيه الصغيرة التي أرسلت إليه مقاطع فيديو متكررة عبر تطبيق واتس آب لإعلامه بأنها لا تزال على قيد الحياة، وحثّه على فعل شيء لوقف الإبادة الجماعية ضد شعبها. اضطرت الصبيّة إلى الفرار من منزل عائلتها في شمال غزة باتجاه الجنوب، وأبلغته تالياً بأنها لم تعد قادرة على بعث رسائل فيديو إليه لأنّ العائلة المضيفة تخشى الانتقام، إذ يُعتقد أنّ الفلسطينيين الذين ينشرون على وسائل التواصل الاجتماعي، مستهدفون بالغارات الجوية الإسرائيلية. خاطب حزر الله المحكمة، قائلاً: «لقد فقدنا الكثير من الناس، لكن ثمة من ظلّ على قيد الحياة، ونحن مدينون له ببذل كل ما في وسعنا لوقف هذه الإبادة الجماعية. لقد فعلت كل ما في وسعي: شاركت في الاحتجاجات، والاعتصامات، وكتبت رسائل إلى ممثلينا، وللمنظمات الأهليّة. والآن أطلب من المحاكم إنهاء هذه الإبادة الجماعية المستمرة». لكن المحاكم ـ أعلى الجدار الأخير في النظام (الديموقراطي) ـ أسقطت الدعوى! ماذا يترك هذا من خيارات للمواطن الأميركي العادي، ناهيك بالمثقف في مواجهة تعسّف الإمبراطوريّة؟

بيتر ديموك، الروائي الذي طالما انشغل بالقوة الكامنة للغة، قرر أمام هذه الكارثة التي تلفّعت برداء القانون أنّ تحقيق العدالة التاريخيّة يبدأ من داخل عقل كل شخص منّا عبر تحرير اللغة ـ كل في فضائه ـ وعبرها تحرير الفكر، وإطلاق روح التأمل النزيه. فاللّغة نفسها واحدة من عديد ضحايا الإمبراطورية، وأيّ أمل لدينا في التغلب على الأزمات الوجودية التي نواجهها، بما فيها نسق الإبادة العلنية الفاجرة هذا، يعتمد بالضرورة على تحرير اللغة من أغلال الرأسمالية الإمبريالية المتأخرة.

ديموك الذي روّعته بلادة المحكمة اختار أن يتأمل عجزنا الجماعي بلغة تجريبية متحررة في «الشظيّة»: رواية ليست أقل من تفكّر أدبيّ معمّق في منطق إفلات الدولة من العقاب على ممارستها للعنف. يستعير ديموك للقرّاء الشخصيات الرئيسية الثلاث من روايته السابقة «مفكرة يومية من شيب ميدو» (2021): المؤرخ تاليس مارتينسون، وشقيقه التوأم، كريستوفر مارتينسون، وابنة تاليس، كاري مارتينسون وينسلو. بعدما عانى من انهيار عصبي، نُقل تاليس إلى المستشفى في حالة من الجمود شبه الكامل. يزوره كريستوفر وكاري بشكل متكرر على أمل أن يتعافى يوماً ما. علّته هو صراعه لسنوات في مقاربة فظائع الإمبراطوريّة الأميركيّة كما يصفها في تأملات يومية يدوّنها في دفتر ملاحظات. يحاول تاليس بناء طريقة للتأريخ توجه الفكر الشخصي للفرد خارج لغة الإمبراطوريّة، لكن عندما تخذله الكلمات، يلزم نفسه بالعيش في عيادة للصحة النفسيّة، حيث يعتصم بالصمت، ويصوم عن الكتابة. وبينما يجاهد شقيقه كريستوفر لتحليل النصوص في دفتر ملاحظات تاليس، علّه يقدر على التفاهم معه لدى زيارته في العيادة، يجد نفسه منغمساً بكليته في تاريخ الفظائع الإجرامية التي ارتكبتها، وترتكبها حاضراً النخبة السياسية المهيمنة على بلاده.

يدفع ديموك في «الشظية» حدود البنية السردية لإنشاء شكل أدبي جديد حيث يوضع التاريخ، والفلسفة، وقرارات المحاكم، والتحف الثقافية، وشطحات الخيال جنباً إلى جنب، مع كثير من التأمل، والترتيب، وإعادة الترتيب لفسيفساء متغيرة من اللغة والصور. لكن هذه ليست ما بعد حداثة أدبيّة بالمفهوم التقليدي، إذ ليست غاية ديموك الصدمة أو الإساءة، ناهيك بالترفيه أو صرف الانتباه عن الواقع/ الحقيقة. إنها محاولة مخلصة من نفس نبيلة لخلق لغة أدبيّة قادرة على وصف ومحاججة ومناهضة اللحظة التي نعيش بكل ما فيها من عنف ورعب وعجز ويأس، لعل أملاً بالتحرر يولد من وراء هذا الجدال الممكن ـ حالياً ـ حصراً على الورق.

ملفّ

لعبة فنية ممتعة فيها الكثير من الحرية والإبداع هي تلك التي نعثر عليها في «حوارات بريد السماء الافتراضي». يواظب الشاعر العراقي المقيم في الدنمارك اسعد الجبوري (1951)، الحوارات الافتراضية التي سبق أن نشر باقة منها في كتابه «شعراء نائمون في غرف الغيب» (الهيئة العامة السورية للكتاب ــ 2019) ويواصل تحديث مضمونها اسبوعياً على صفحته الفايسبوكية؛ إنها حوارية جمالية تغوص في أعماق الشخصيات الشعرية الراحلة، ساعيةً إلى تظهير العوالم الشعرية لهؤلاء المبدعين، بعيداً من الرتابة والهرمية و«التفاوض على تبادل النصوص الشبيه بسيوف، أكلها الصدا ولا ترغب بمغادرة الغِمد». ويشتغل الجبوري في هذه النصوص كناقد وباحث اجتماعي ومحلّل نفسي على حدّ سواء. يفتح بكثير من الحرية من اجل اختبار الشعراء الموتى في ذلك الـ «هنالك» الآخر بعد الموت، ويقدم للقرّاء مفاتيح لتذوق وتأويل شعرية قدامى الشعراء ممن لم تستوعبهم الذاكرة المعاصرة. صاحب «أولمبياد اللغة الموؤجلة» يفتح مشرحة الشعر لينفض عن النقد الشعري رتابة اللغة الأكاديمية الفجة. إذ يقول في أحد حواراته الصحافية واصفاً هذه التجربة المشاغبة: «البريد يُعيد صياغة التجارب الشعرية بحُرية، فيكشف عن اسرار وينقّب في حوادث سرية غير معروفة عن الشعراء سابقاً ويملأ الكثير من الفراغات التي تركها النقّاد والدارسون عن احوال تلك الشخصيات الشعرية التي مرت على الارض. يمكن اعتبار البريد بمثابة رحم جديد لولادة شعراء جدد. لا يملكون من تراثهم السابق سوى الاسماء فقط». من قلب هذا البريد، نستلّ في «كلمات» حوارات يختلف اقطابها في توزّعهم الزمني والمكاني واساليبهم التعبيرية والستهم. وينجح الجبوري في الدخول إلى فانتازيا الغيب لديهم، ناقلاً كرة النار التي كانت بين اجنحتهم بين الارض والسماء

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

حواريّات متخيّلة تستنطق الشعراء الموتى

أسعد الجبوري... «بريد السماء الافتراضي»

◄ أبو الطيب المتنبي
(915-965م)

■ أيهما يثبرك في الشعر أكثر، روح الشيطان أم ملاكُ اللغة يا أبا الطيب؟!

- لا وجود لملاجئ في الشعر، لا لملائكة ولا لشياطين. ذلك ليس بالأمر الصحيح. فالإبالسةُ أميون لا يعرفون إلا لغة المكائد. والملائكةُ تربةٌ غير صالحة لنمو القصائد.
ومع ذلك، فالشعر النظيف، لا يعني غير الكتابة في الطقوس الباردة.

■ ولكن، ألا تعتبر الأوزان والقوافي بمثابة طواحين، لاستهلاك الشاعر المُستخدم لها؟

- قد يصح قول ذلك. وطالما شعرتُ بأن تلك البحور أشبه ما تكون بأعمدة من خزف. يمكن أن تنهار بالشاعر، وتتركهُ رماداً. المهم أن يمتلك الشعرُ قوةً لعسكرة اللغة وجعل الحروف أشبه بالحراب المتهيئة للاختراق. فكل ذلك يحمي الشاعر من التفتّت والطحين.

■ برأيك.. كيف تنمو الرمالُ في القصائد؟

- عندما يضيقُ رأسُ الشاعر، وتصبح الكلماتُ مجرّدةً من الحكمة والألم، ومليئة بذيول لا يطالها مقص.

■ أنتَ لم تعش علّم الأرصاد الجَوّيّة. كيف كنت تتعايش مع المناخ الصحراوي وما تأثير ذلك على القصيدة؟

- في تلك الأيام، كنتُ أعتمدُ على المخيّلة مظلةً للوقاية من الشمس والمطر على حد سواء. كنا نقرأ الطقس بالعيون المجرّدة. وفي كل مرة، تطرقُ الرمالُ باب القصيدة لا تجد عندي لها مفتاحاً هناك.

◄ جميل بثينة
(؟-701م)

■ هل كانت الإبلُ ما بين بثينة وبينك هي الخط الساخن يا جميل؟

- لم تكن الإبلُ وحدها. كان هناك السبابُ الذي مدّت للغرام جسراً لنتقفّى آثار النار.

■ عن أيّة نارٍ تتحدث أنت؟

- أتحدث عن النار التي لا تشبهها في الفَلَوات نارٌ، ولا يَزفرُ عنها من الأجساد دخانٌ.

■ إذا كنت تقصدُ الحبّ، فما العلةُ به كأن يكون حطباً للنار يا جميلُ؟

- ما أشبهَ الحبّ بسنام البعير. يدخرُ الأول بجبيبِ روحهِ ناراً فيما سنامُ المخلوق الثاني مخزونٌ ماءٌ لإطفاء اللحوم يوم تشبُّ بها الحرائقُ في بطون الصحارى.

■ ألا يرى جميلٌ أنّ للإبل عند أهل الحجاز والجزيرة حظوة بنشوء الغرام ما بين العاشقين؟

- أجل. كانت الإبلُ قديماً بمثابة خطوط ساخنة لمواقع التواصل الاجتماعي ما بين نساء القبائل وذكورها ممن توزطهم الإبل بذلك الغرام. كما سبق وأن حدث لي ذلك ذات يوم مع بثينة في «وادي بغيض» قرب المدينة المُنوّرة.

■ وهل حدثت قفزةُ الأفئدة هناك؟

- لا تأخذك الأفكارُ إلى حقول الجسد. فهناك حدثتْ قفزةُ القلوب لا قفزةُ الأفئدة.

■ وهل ثمة ما يفرق ما بين القلب وبين الفؤاد برأيك؟

- نعم. الفؤاد ليس بالقلب ليتغشّق بالمحبوب، مثلما لا تتقلّبُ نيرانُ المحبوب إلا بشرايين المُحبِ المأخوذ بكهربائيات النبض وما يُورّثهُ لمخ المُتَيّم.

■ وهل الفُؤادُ هو قلبٌ شبيه بالدولاب الاحتياط في السيارة؟

- دعني أتخيّلُ شكل السيارة وهي تشقُّ رمال الصحارى قبل النطق بالحكم على الدولاب، لأعترفَ بأن الفُؤاد هو النسخةُ المزوّرة للقلب.

■ هل يرى جميلٌ فَرْقاً ما بين قلب المرأة وما بين قلب الرجل؟

- لا يظنّنّ أحدٌ أن القلبين على سطر واحد. فلكلّ قلب خريطةٌ وسيرةٌ ذاتيةٌ من التراث الجيني. لذا يمكنكَ أن تقول كان لجميل القلبُ الأصلُ والفُؤاد الاحتياط. فيما كان الهوى راعياً لما في جسد بثينة من ذُبَيّات مُتكاثرة.

■ أصحيح ما قيل عن انتساب الشعر العذري إلى بني عذرة (وهو نوع من الوجد يستبد بالعاشق فيسيطر عليه خيال محبوبته، ويظل يفكر فيها ليل نهار، ممتنعاً عن العمل والطعام حتى يصل إلى درجة من الهزال قد تفضي به إلى الموت). ما قولك؟

- ذلك هو وزر الحب العظيم بالضبط أن تموت بالتقسيط جسماً، ويحيا الشعرُ لغةً للأبد.

■ أكنت سكراناً فقد الوعي من شدّة ثمالته ببثينة يا جميلُ؟

- هي خمرتي دون صحو بعدما فتحت لي الملائكةُ تحت التراب حانةً لأكمل ببثين سكرتي حتى الدورة الأخيرة من قيامة الوجود بعد العدم.

■ هل تأملُ أن تكون لك روحها كأساً أم جسدها؟

- في بثينَ توحدت وحدةُ الواحد روحاً وجسداً حتى سيلان الشمس من ظهور اللّحوم وصولاً إلى الحجر.

■ ألمْ تدرك عشيقتك أن بعروقها دماً يجري ويشتعلُ وأن ماءها قد لا يكفي لإخماد شهوة من تلك الشهوات؟

- بلى. ولكنها كابَرت على نفسها، ولم تحذر، عندما أفلتت خطوات قدميها الناعمتين نحوي من دون توطئة أو توقف.

■ وما الذي كان بعد ذلك الخط الإبليّ الساخن ما بينكما يا جميلُ؟

- لم يخلق خطُّ الإبل الموما إليه غير حصان وفرس. ذلك ما انتجته حرارةُ الخط بعدما قَلَبت الخصامَ إلى ما يفوق المودّة درجاتٍ والساعة قروناً من الحب.

■ وكيف يُحبّبُ حصانٌ فرساً إليه ولا يكون الحبُّ حيوانياً؟

- نحن في أصول الأصول من مراتب الحيوانات الناطقة قبل النطق، ولكن كتلاً دماغية مبهمة تمرّنتْ برؤوسنا، فجعلتنا نُفرّقُ بالتدريج ما بين الغرائز الناجمة عن السلوكيات الفطرية والمستحدثة.

■ وفي أية خانة تضع حبكَ لبثينة يا جميلُ؟

- في خانة التَّلَف ليس إلا.

◄ الحسين بن منصور الحلاج
(858-922م)

■ كيف وصلت إلى السماء، وكنت على تلك الأرض مقطّع الأوصال ومنفصل الرأس عن الجسم؟!

- لقد سحبني الله إليه بقانون من فيزياء الشغف الإلهي.

■ أكان ذلك القانون شبيهاً بقوة الطرد المركزي الذي تخضع له الكواكب والنيازك في الأكوان؟

- أجل. ولا تخضع إلى مفهومه كل الأرواح في التطبيق.

■ لماذا تعتقد ذلك برأيك؟

- لأن في كلّ روح شيفرة مختلفة عن الأخريات، سواءً بالولادة أو بالسفر والتنقل ما بين طبقات الفضاءات الشاسعة.

■ وكيف جمعتَ قطع غيار جسمك المقطع قبل الصلب وبعده، لتأتي إلى هنا كامل الجسد؟

- عندما اجتمعت عليّ الخطايا وأجمعوا على قتلي بشرورهم، ناديتُ على كلمات لغة الباطن أن توصلني بالله، لأكتمل وتعود إليّ أعضائي المبتورة. وقد حصل ذلك بفضلهِ العظيم.

■ ورأسك المقطوعة، من أعادها إلى مكانها على رقبتك يا حلاج؟

- أعادها الشيطان الذي قطعها نفسه.

■ هل ساورهُ شعورٌ بالذنب، ففعل ذلك تكفيراً عن خطيئة عظمى ارتكبها بحقك؟

- لا. ولكنه أراد أن يستكمل استجوابي عن لحظة اندماجي بالله.

■ أكان الاندماج بالله تهمةً؟

- وأسوأ من ذلك بكثير. فتحت راية البلاط العباسي، كانت الجهالةُ السوداءُ تغمرُ رؤوس خدم الخليفة الأعمى عقلياً، حيث يتلقّى منهم التقارير وينفذها وهو مخمور باحضان الجواري وراقصات الهوى على أطراف السرير.

◄ الشاعر الفرنسي ستيفان مالارميه
(1842-1898 م)

■ هل كانت فرنسا أمّ الشعر الأوروبي برأي مالارميه؟

- بالتأكيد نعم. ففرنسا هي الخليّة التّناسليّة الذّكريّة التي طالما اتّحدت بالبيضة الشعرية الأنثويّة لإنتاج القصائد الحارّة التي ليس لها من مثيل يخرجّ من بين بقية أرحام القارة العجوز وضفادعها البارعة ذات النّقيق في الخمارات .

■ وما مردّ ذلك برأيك؟

- ربما لأن الفسقَ هو مرضُ الشعر الأول قبل الأخلاق والمعاني التي تتشابك حولها قوانين السلوك اللغوي المُهذب.

■ هل لا نفع بالتهذيب في الشعر؟

- بالضبط. فإن تهذّب قصيدتك، فمعنى ذلك أن تقوم بإجراء عملية ختان لها وذلك ما يوفر للشعر الفرصة الأول للتخشّب أو التجلّد فالموت.

■ ولكنك لم تنشط ضد الأخلاق شعرياً، بقيت ملتزماً بالسلوك الهادئ والنمطي القائم على قواعد احترام التراث ومنابع الشعر الكلاسيكية. أليس كذلك؟

- لم أستعمل التشويش على ذاتي وكائناتها. تركتها مختمرة بتربة الشعر الأولى من دون الاستعانة بالأسمدة التي جاءت بها المدارس الشعرية الحديثة.

■ ألا يُعد انحيازك هذا إلى فرنسا، نوعاً من التموضع العنصري ضد الشعر الأوروبي؟

- لا أعتقد ذلك صحيحاً. فما كنت أعنيه، هو قوة الشعر الفرنسي بالتفجّر والثورة واستحداث محركات جديدة للشعر على صعيد العالم.

■ وما سبب ذلك التفجّر الشعري في فرنسا برأيك؟

- أعمال الشيطانكة في حدائق المخيّلة، ورفضهم تقديم الولاء لمرجعيات الماضي بمختلف حذافيره.

■ ماذا وجدت في الرمزية، لتكون منتمياً إلى عوالمها؟

- كانت الرمزيةُ أحد الزوارق في عرض البحر، وكنت مضطراً إلى الاحتماء بها خوفاً من الغرق.

■ تبدو أنك لست مغامراً؟

- بالضبط. لا أحب أن أكون مغامراً لا على التراب أو على المياه أو الورق.

■ ألا يسقط عنك مثل هذا الاعتراف صفة أن تكون شاعراً؟

- لا أظن ذلك.

■ لمَ أنت متأكدٌ من ذلك؟

- لأن الشعر والشعراء، لا يخضعون للقوانين النقدية ولا للقواعد اللغوية التي تفرض عليهم أنماطاً محددة من السلوكيات أو الكتابة أو التفاعل مع كائنات الوجود.

■ أنت عشت طفولتك وحيداً بعد رحيل والدتك بشكل مبكر. كيف تندمج صورة الطفل مع صور الوحدة؟

- بالنمو السريع.

■ ما الذي تقصده بالنمو السريع بالضبط يا مالارميه؟

- أعني النمو في الحب حتى سقوط الجسد في الجسد الآخر.

■ هل ثمة كلمات عذراء وأخرى لا؟

- نعم. وأسوأ ما رأيته في حياتي هي الكلمات غير العذراء.

■ لماذا؟

- كونها تنتمي إلى اللغات الشهوانية المشحونة بتلك الوقاحة التي عادةً ما تولّد الشياطين والتعهر غير المُلزِم لكتابة النصوص.

■ ألا تعتقد بأنك يا مالارميه أخلاقي متطرفٌ، وذلك ما لا يُسدي خدمةً للشعر؟!

- لا أظن ذلك بحق. فعلى الشاعر أن يكون طبيعياً في حقول الكلمات، ويمتنع عن جرّها وراءه إلى طواحين الجنس الحمراء القاتلة للأخلاق والعادات.

■ هل كنت ملحداً جنسياً؟

- كنت زوجاً ملتزماً بلا فضائح ومغامرات وتشابك عاطفي خارج القفص الذهبي.

■ وأيهما الأكثر متعة عندك، القفص الزوجي أم قفص الشعر؟

- أنا جمعتُ الاثنين في غرفة واحدة فكانت الأحلام المشتركة ما بين القفصين. وكان الهدوء الذي لم ينتظر العاصفة.

◄ الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين
(1942-2022 م)

■ ما الخطُّ الفاصلُ ما بين الولادة والموت يا محمد علي؟

- هو خطٌ همهمي للضّلالة. خطٌ شبه خط الاستواء، ولكنه من النايلون القابل للذّوبان بسرعة الضوء هذه المرّة.

■ هل وقفتَ عليهِ خائفاً أم واثق القدمين من دون تلكؤ أو من دون الالتفات إلى الوَرَاء؟

- لا. أنا مشيتُهُ حتى زَلّتْ قدمايَ فوقعتُ على سطرِ الشعر.

■ وماذا أدركتَ بعد تلك الزّلّة؟

- رأيتُ جسمي يتحوّل إلى مدينة، ويرتفعُ من جغرافيّة الذات إلى جيولوجية الحنين بين طبقات اللغة.

■ أتظنُّ العقلَ طيناً يا محمد علي؟

- لا أظنّ ذلك حتى لو كانت أعضاء الجسم كلها قد صُنعت من تلك المادة.

■ كأنكَ تتسامى عن التراب المقدّس، فتتركُ الطينَ للأسماك في الأنهر وطيناً حتى بناء، حيطان الغرف والأكواخ. وطيناً للأساميم التماثيل عند أهل النحت بالطين أو بالحجر؟!

- أنا بخار النّور الشعري الذي تشكّل من الاثنين، ليخرج من اللغة جنيناً شعرياً بَشّرتْ به الطبيعةُ منذ يوم كسّرت صمتها، ليكون صوتاً نافعاً بإيقاظ أهل السبات من الأمين وخواجات السياسة المتنفذين بكراسيّ الدورة الدموية في جسد لبنان.

■ كيف كانت رحلةُ محمد علي على سطح تلك البسيطة؟

- أظن أنني بدأتُ رحلتي جالساً بمقدمة قطار، بينما حواسي، فكانت تتبعني من جوف الحياة العميق، والم تنته بعد، لا بشمس كربلاء وهي الأقوى سطوعاً في الدم والرثاء اللغوي، ولا بتصوف المذهب الشافعي للتبريزي هوساً، ولا بسحائب مولانا الحنفي جلال الدين الرومي.

■ وما خصائص كلّ واحد من الثلاثة برأيك؟

- وجدتُ الأول إلهيّاً أكسب شعري قوة الغوص بفرات الآلام. فيما تعلّمتُ من الشافعي التبريزي تصوّف الكلمات في سير الرموز التراجيدية التي توزّعت على لغتي. فيما غيوم مولانا الحنفي جلال، فوسّعت أمطارها لتشمل خرائط غرام الشغف بمختلف الاتجاهات، ليرى الشعرُ أكثر ويستوعب أكثر وينتصر على الجفاف بالقوة اللائقة بالتدوين.

■ كيف يمكن للشاعر عدم التماهي مع الآخرين من الشعراء، مثلاً؟

- أنا عشتُ حذراً من فكرة الاندماج بالآخر أو الاستعانة بالطوارئ حتى لو وجدتُ لذلك تبريراً بزَحاف العروضيين الخفيفُ منها أو الثقيل.

■ هل اعتقدتَ بأن الشعر العرفاني لا يحيا إلا بالإيقاع الخليلي؟

- أظنّ أن الإيقاع هو بخور الشاعر الصوفي، ولا يصحُّ تركُ الحبل على الغارب الفارغ من الإيقاعات.

■ وماذا يوجد بذات محمد علي شمس الدين؟

- يوجد ما أعرف وما لا أنا بتلك الذات عارف.

■ هل كانت جيولوجية الباطن مُعَقّدة إلى حدّ يفقدُ فيه الشاعر القدرة على وصف نفسه؟!

- لا أريد الذهاب إلى العمق كي لا أقع بخطيئة التفسير وأندم على ما قد يبنى من تأويلات عن تلك النّفس الأمّارة بالتوحّد والجنون البارد.

■ وإذّاك كان الباطنُ مجهولاً وينذرُ بالخوف عند الإفصاح، فما الذي تقوله عن الظاهر الذي أنت على شكله على سبيل المثال؟

- ظاهري مرآةٌ للطريق وباطني كان مثل الصندوق الأسود للطائرات.

◄ الشاعرة الإيرانية فروغ فرخزاد
(1934-1967م)

■ هل الحبُ نظامٌ يمكن خلخلتهُ على سبيل المثال؟

- الحبُ نظامٌ إلهي يعتمدُ على القضاء والقدر. وربما لا يُستَعْمل مرةً واحدةً فقط. مثله مثل الموت الذي يمر بمراحل عدة من المرض والجنون والغيبوبة، ثم يأتي الخراب الإكلينيكي الذي يدفع بعربة الموتى إلى الخوض برحلة ما وراء الأرض.

■ مذهبُ الوجودية في شعرك يتعلق بالشهوة كنواة تدور عليها رحى الطّاحُون بشقيها الذكوري الأنثوي. أليس ذلك كان عملاً باهظاً لكتابة شعر على المنوال الغرامي في المساحة الإسلامية؟

- ما دام الطّاحُونُ لا يستطيع العمل بقطعة واحدة من الرَّحى الاثنتين، فإن من حق آلة طَحْن الأجساد المشتركة، أن تنال جوائز الدولة التقديرية، لا التوبيخ الأعمى من رموز الإرهاب الفكري ممن يعتقدون أن الربَّ الذي خلق الشهوة الأعظم للوجود والموجودات، قد كَلَّفَ البعض أن يرموا بها في صندوق القمامة بقرار استباحي.

■ ثمة من يلاحظ بأن أمتعة الشهوات عند فروغ فرخزاد زائدة عن الوزن المسموح به دينياً. لذلك يحتاج إلى تدخل من شرطة الآداب. ما رأيك؟

- أنا لا أعرف؛ كيف تكون للشعوب على الأرض شرطةٌ للآداب، فيما لا وجود لشرطي في السماوات؟!

■ فروغ فرخزاد في جلّ ما كتبت من شعر، تركت الشهوةَ هي السّنترال الذي يقوم بالتحكم في اتصالات شبكة الحواسّ، وبالتالي امتلاك القدرة الكافية بتوزيع الكلمات على النصوص، وفقاً لدرجة حرارة لغة العين المتشابكة الأسلاك. ما مدى صحة قول كهذا؟

- كلّ هذا الكلام بديعٌ. فالشاعر ليس غير مُديرٍ تنفيذي لمختلف الانقلابات التي تحدث في الحواسّ، وقبيل أن تدفع بكائناتها الحيّة والمختلفة في مجرى اللغة. أنا لم أكن امرأة حديدية مثل مارغريت تاتشر التي سبق لي وأن صادفتها قبل أيام هنا في دكان لبيع المسامير والبراغي. أنا وجدتُ نفسي في حوض الحبّ بمائه ورماده وناره وأنينه ولن أبقى بعيداً منه، حتى لو تحولتُ إلى أنقاض مشتتة بين العواصف.

■ هل تكمنُ بطولةُ الشاعر في صناديق ذكرياته؟

- أجل. وطالما الذكرياتُ، لا تتركُ الشاعرَ سَيّدَ نَفْسِه.

إعدام الحلاج (مخطوطة توضيحية من الإمبراطورية المغولية ــ حوالى 1600)

طوفان الأقصى

صلاح استيتية: مطر فوق فلسطين

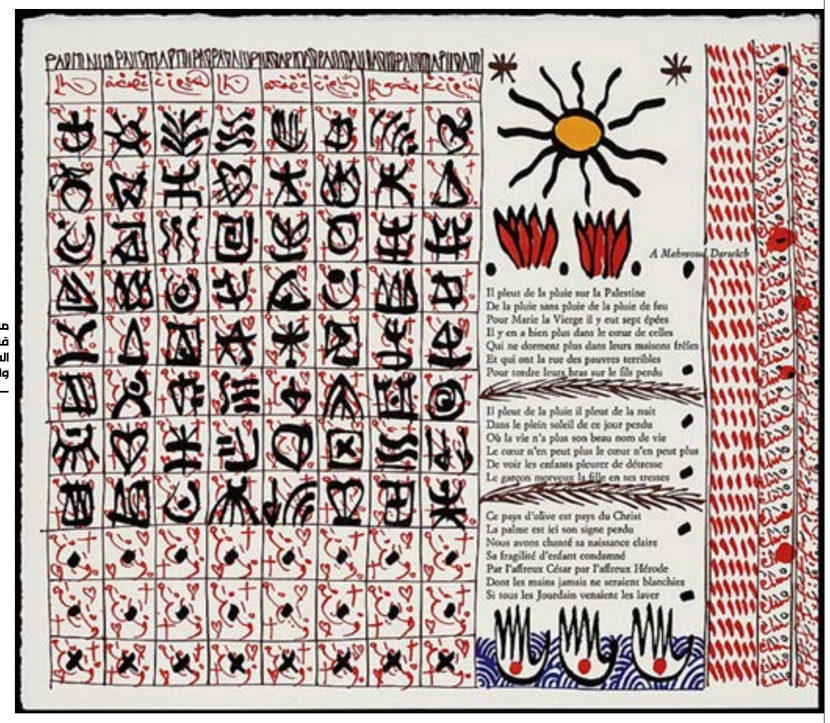

منمنمة رشيد قريشي للطبعة الفرنسية (حبر والوان على ورق ــ 2002)

ترجمة **إسماعيل أزيات**

إلى محمود درويش

يُمطر المطر فوق فلسطين
مطر من دون مطر
مطر من نار
لمريم العذراء الآلام السَبعة
وأكثرُ منها وأكثرُ
في قلوب من ما عدن ينمن في مساكهنّ الواهية
ومن لهنّ درب التعساء المُخيفين
تطوّق أذرعهنّ، الابن المفقود
يُمطر المطرُ، يمطر اللّيلُ
في قلب شمس هذا النّهار المفقود
حيث الحياة ما عاد لها الاسم الرّائع للحياة
ما عاد القلب يحتمل، ما عاد القلب يحتمل
أن يرى الأطفال يبكون من الكرب
الولد في مُخاطه، البنت مع ضفائرها
موطن الزّيتون، موطن المسيح
الإكليل ها هنا أمارته المفقودة
قد غنّينا ميلاده المضيءَ
هشاشته الطفولية
وقد حكما عليه بالموت
الفظيع قيصر الفظيع هيرودس [1]
اللّذان لن تتنظّف أياديهما
ولو أتت كلّ أنهر الأردن لتغسلها
طفل الأمس، يُولد اليوم من جديد
في الحضن المُظلم للفلسطينيين
الأزواجُ ماتوا، الأبناءُ فُقدوا
البيوتُ التي من حديد ومن إسمنت
عار
تهاوت كما في غرنيكا، الخراطيم تصرخ
في وجه الدّبابات، في وجه الجنود
ذوي الخوذات
الخرس من صمتِ هؤلاء الذين يقتلون
موسى، موسى
ما هذا شاء
هو كوكبنا، الأرضيُّ الأزرقُ للغاية
هو الذي جُعل فيه الهواءُ والماءُ ليعيشا
معاً: من هو مسرّج بالجلد
والبافعُ الذي تُرك يُشوى
في الحريق المدبّر لقنّينة غاز
انفجرت بفعل الرّمية المُحكمة
موسى موسى
ما هذا شاء
طلقة الرشّاش سُدّدت بإحكام
إلى قلب الطفل المولود . الميّت في الكنيسة البيضاء
الكلّ نيام وليس الحرّاس فحسب
بل رجل روما الأبيض كذلك، الشّائخ للغاية،
الديمقراطيات ورؤساؤها سيّئو السّمع
هذا الذي ذو جبهة قاسية للغاية
فوق عينين ضيّقتين بطابق داروين
التعيسة فلسطينُ، التّعساء، لماذا
نعم لماذا تودّين أن يوقظهم كلّ هذا؟
في القدس يحكم أوبو الملك [2]
صبرا وشاتيلا في جيبه، وفي الجيب الآخر
جائزة نوبل للسّلام، الوجه. القناع [3]
نعم لماذا تودّين أن يوقظنا هذا؟
إذا كانوا يرغبون في حصّة مضاعفة،
ما الذي يمنع؟
أمراؤنا قد غفوا في البراميل/ الأسعار اليومية
ولوبن [4] في فرنسا يصل بعينه الزجاجية
وكذلك البيتُ الزّجاجيُّ، في نيويورك
أصبح «الشّيء» الذي تعرفون
لماذا الثورة، فلسطينُ التّعيسة
ما دام يُقترحُ أخيراً القضاءُ عليك؟

هنا، شبّ منزل خرساني وسرعان ما تبعته الآلاف
العيش هنا كالتخييم على فوهة بركان
جاهز للانفجار
في الليل، تدفّقت الحمم البركانية
وجابت الذئاب المنطقة بأسنان مسنونة

أما النساء، فقمن برشق الحجارة التي ربطنها بعقد مناديلهن
وعلّقن الخرز الأزرق والصلبان الصغيرة حول رقاب الأطفال
وكان عدد الأطفال يزيد يوماً بعد يوم
يوماً بعد يوم
يوماً بعد يوم

Il pleut de la pluie sur la Palestine
De la pluie sans pluie de la pluie de feu
Pour Marie la Vierge il y eut sept épées
Il y en a bien plus dans le cœur de celles
Qui ne dorment plus dans leurs maisons frêles
Et qui ont la rue des pauvres terribles
Pour tordre leurs bras sur le fils perdu

Il pleut de la pluie il pleut de la nuit
Dans le plein soleil de ce jour perdu
Où la vie n'a plus son beau nom de vie
Le cœur n'en peut plus le cœur n'en peut plus
De voir les enfants pleurer de détresse
Le garçon meurtri la fille en ses treses

Ce pays d'olive est pays du Christ
La palme est ici son signe pendu
Nous avons chanté sa naissance claire
Sa fragilité d'enfant condamné
Par l'affreux César par l'affreux Hérode
Dont les mains jamais ne seraient blanchies
Si tous les Jourdain venaient les laver

A Mahmoud Darwich

هبة أخيرة مقابل الحرية

أوليفا الياس *

ترجمة **اليس يوسف**

1 ـ هجرة النجوم

لم تكن النجوم ثابتة يوماً في هذا البلد
قد تحلق كلّها بسهولة وبدفعة واحدة إلى مناطق تكون فيها السعادة أقل خطراً
وهذا بالضبط ما حدث واقعياً، هكذا تسير الحياة بما يمكنه أن يحلّق بعيداً
قد يتوقف جريان الماء
قد يختفي المنزل والحقل ببساطة
لأن جداراً حلّ مكانهما وحجب الأفق

العيش هنا كالتخييم على فوهة بركان
جاهز للانفجار
في الليل، تدفّقت الحمم البركانية
وجابت الذئاب المنطقة بأسنان مسنونة

أما النساء، فقمن برشق الحجارة التي ربطنها بعقد مناديلهن
وعلّقن الخرز الأزرق والصلبان الصغيرة حول رقاب الأطفال
وكان عدد الأطفال يزيد يوماً بعد يوم
يوماً بعد يوم
يوماً بعد يوم

قل، هل سمعت صوت اقتلاع شجرة زيتون؟
هل سمعت يوماً صوت رصاصة تصيب رجلاً بين عينيه؟
شعلة النار
ولدت
في هذا الانفجار
عندما تغيّر اسم بلدي

ولدت
في هذا الوقت الزلزالي
الذي اجتاح
اسم والدي
وجدّي

2 ـ الأرض

ما زالت تهزّ
وفترة السجن تطول
أطول فأطول

نشأت
على فوهة بركان
في أرض لا تعرف المغفرة
أرض اختارها
إله ظهر
من بين شجيرة محترقة
تثور في قاعدتها الدماء
لتضيء الليالي الموحشة

كم من الوقت
تقدر الأجساد والأرواح
أن تبقى صامدة
أما لهيب شعلة النار؟

3 ـ تضحية

لماذا يجب عليّ أن أدفع
ثمن التضحية؟ يسأل
طفل شعب الفلاحين
الفدائيين والتجار
الطفل الذي لم يحلم بالنوم
بعيداً عن منزله
وهو منبع عن دعوة
البحر
يعيش حياة تحمله في ظلّها
يسير تحت تهديد السلاح
سلاح حمله قنّاصة وأطفال في
العشرين من عمرهم
سُخروا حتى الموت
في حين تركوا الرجال بشعرهم
النّازل خصلتين عن الجوانب
والمؤمنين في عودة الله -والابن-
المصلوب على الصليب
للتهليل.

4 ـ الهبة

إضراب عن الطعام لليوم الأربعين
أجسادكم ترفرف إلى السقف
من الغرفة أرى إيماءاتكم البطيئة
العظام الصغيرة في المفاصل
أيديكم
أعينكم حين يطلع الليل
يجب أن أتجاوز الألم مرة ثانية
أستمع إلى قلبك الذي يقرع
بشكل أضعف وأضعف في صدرك
كل مرة
كأنه شاهد هذا الجنون
الجسد يلتهم نفسه
هبة أخيرة مقابل الحرية

ينبح من حولك
السجّانون وكلابهم
تمرّ حياتك كتضحية
أمام حلمهم الأحمق بالانتصار

نفّذ 1700 أسير فلسطيني، في حزيران (يونيو) 2017، إضراباً عن الطعام من أجل الحصول على أبسط حقوقهم الأساسية- استمر الإضراب لمدة 40 يوماً.

5 ـ بدون حساب

لن أقول بأي حال من الأحوال
لكن!
أو أن أبلغكم بخالص تمنياتي
بشمس مجيدة
تتألق إلى الأبد
في بيت يورك

أود أن أتارجح على الشرفة
ولكني أستمر في الطحن:
حجر على حجر في هذه اللغة
لأحفظ نار المخيم مشتعلة

أريد أن تنفني
ولكني أسكن التلال
غنائي يملأ لياليكم
كيف يمكنكم النوم بهدوء شديد في سرير الجهل؟
فليكن!
كلمة لن أقولها أبداً.

ليَدين

فلنكن ناعمين،
ليَدين
كبطن حمامة
في ذراعي
طفل
في غزة

هنالك حنان يتقطر
قطرة قطرة رغم الرصاص
أعند من طيات تصدّع الزلازل
والصخر
والقسوة الساحقة.

* ولدت أوليفيا إلياس في حيفا عام 1944، وهي شاعرة من شعراء الشتات الفلسطيني، تكتب باللغة الفرنسية. عاشت حتى سن السادسة عشرة في لبنان حيث لجأت عائلتها عام 1948، ثم انتقلت إلى مونتريال في كندا. تُرجمت أعمالها إلى الإنكليزية والعربية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية البرازيلية واليابانية. أصدرت أخيراً مجلداً شعرياً مصغّراً بعنوان «اسمك فلسطين» (ترجمته سارة ريغر وجيريمي فيكتور روبرت). المختارات أعلاه مأخوذة من ديوانها السابق «فوضى».

إسقوني... إسقوني!

عمل رقمي للفنان الفلسطيني فؤاد اليماني

خالد جبران *

كعويل ذئاب جائعة خدشت صفارات الإنذار زجاجَ نافذتي ذاك الصباح.
أدرتُ ظهري نحو الشباك واكملتُ نومي، حتى لو أتت القذيفة، وحتى لو دمّرت العمارة الواقعة على رأس الشارع حيث مطعم البيدرا الذي أكره، ثم اخترقت جميع درابزينات الحدائق المجاورة، سيحميني شيء ما، لا شك، ربما الزجاج؟
لا أحب العويل، تماماً كما لا أحب صوت الكمان. لا أطيق حشرجاته، أهرب من الرعب والرغبة بالبكاء الذين يثيرهما في نفسي، هي ليست ترسّبات، فطفولتي لم تكن معذّبة بل مدثرة بصوتِ عود أبي، ولصوت العود بقي في نفسي أثر قطرات الفضة السائلة من طرف هلال، كان يومها يقيمُ في سماء عكّا، قبالة نافذتنا.
كعويل ذئاب جائعة، عاودت الصفارات غزوَها ضحى ذاك اليوم. يوم سقط الإنسانُ عارياً من كل قيمة. أدرتُ صدري نحو الزجاج هذه المرة، فلتاتِ القذيفة. وماذا بمقدور غزة أن تطلق نحو القدس سوى رشقات من أنينها؟ نحن، الملحدين، قد نسخر لتسييس الإله، ولتجييش «روجه القدس»، لكن الحروب لا تبادلنا النكات ولا هي تتحايدنا، بل تقتلنا أيضاً كما لو كنّا من غلاة المؤمنين. حينها قمتُ من سريري.
رأيتُ «الشعب الإسرائيلي» وقد تحوّل عن بكرة أبيه إلى جنديّ واحد أحد: جنديّ مدجّج بالنقمة التوراتية. رأيتُ مجتمعاً كاملاً متكاملاً بصحافييه، علمائه، شقراواته، شعرائه، عارضي أزيائه وجنرالاته السابقين كاللاحقين، وكلّهم قد أصيبوا بنَفَس الظما إلى دم الأغيار. رأيتُ لغتي مصفّدة ومسحوبةً من ضفائرها إلى ساحة إعدام هُيّئت على عُجالة. رأيتُ اسميَ يجري هلِعاً وعلى جبينه صليبٌ من رماد، فيستدلّ إليه القنّاص. مرّ بجانبي ولم يلقِ عليّ التحيّة، لكنني لم أعاتبه ولا أنا غضبت. فمن أدرى مني بالنقمة التوراتية؟ من أدرى بالظما إلى دم الجثّي والجرجاشيّ والكنعانيّ والأموريّ؟ وهكذا انطلق اسمي العربيّ يجري ويتعثّر ثم يقوم ويمضي لاهثاً كسائر الأسماء التي تشتهيها المقصلة.
شاشة البلازما الرقيقة أمست فوّهةً للجحيم. تزاحم فيها كلّ ما ليس من الحياة التي نعرف، بل ليس من حياةٍ يعرفها أحد. واسمي أيضاً كان هناك، يتزاحم. لكنه لم يعُد اسمي، لم يعُد لي، اسمي أصبحَ لغيفاً من الرجال والنساء والأطفال. اسمي الذي ألِفتُ وأحببتُ طوال حياتي قد هجَرني، فنما واستحالَ عناقيدَ هائلة من القتلى، كُتّلاً بشريّة سائغة للطحن والحرق والتلاشي، اسمي أصبحَ: لا شيء! حاولتُ ألّا أبحث عنه بعد، فكيف يكون اسمكَ: لا شيء؟! لكن كيف تمضي في هذه الحياة ولا اسمَ لكَ؟! كيف أمضي؟! هاتفتُ فادي العبد الله. «إيه، هلا خالد خال» أتاني صوتُه الهادئ، بنادينِي باسمي كانّ الحروب والمحارق لم تكُن، بل لم توجَد يوماً. «فادي، كل هاي الأسئلة اللي عم تسألني إياها عالتشات آخر أسبوعين؟ حول الغروض وما وراء الغروض، وحول كتابي، إذا أنا متذكّر منه أي شيء أصلاً؟ أرجووك! جمّعها بملفّ واحد، وابعتلي إياها. أرجوك اجيرني أقعد أفكّر وأجاوبك عليها. أرجوك ابعدني عن شاشة التلفزيون. هيك انت بتكسب حسنة، بل حسنات في الجنّة لأنك بتنقذني من هاي الحرب الوسخة!».
قال: «إيه، أكيد! بكل سرور، مع إنه موضوع النبر إنت بذاتك كنت قابل عنّه: شائك ومعقّد..». قاطعتُه بقلّة صبري المعروفة: «لا تقلق يا صغيري، لا تقلق! راح نفكّكه ونفكّك سنسفيلُه كمان، إنت بس ابعت بزلمة». أضاف بخنجره المهذّب: «أكيد سمعت تسجيلات درويش الحريري اللي بعثتلك من يومين؟ وأكيد سمعت المخاتلة ما بين «عجَم» و«أوج» بعد الخانة على طول؟».
«آاه طبعاً طبعاً، ولووو؟». إذ كيف أقول لفادي إن النغم لم يعد يعني لي شيئاً؟ كيف أشرح لهذا المُنقذ، طيّب النوايا، أن عفريتة الموسيقى قد هجرتني هي الأخرى مع اسمي؟ لم تعُد تأتي إلى غرفتي ولا تشاركني حمّامي، ولا عدتُ حتّى أسمعُ خرفشتها في قُمرة سيارتي حيث كانت توافيني دائما. في سيارتي، كانت ولّادة كلّ فكرة نغميّة تخيّلتها في حياتي، جميعها وُلدت من دندنةٍ همستها العفريتة المقيمة هناك. لم تكن تخشى شيئاً، لا الزّنّانات التي ادمنت انتهاك ليل رام الله، ولا فوهات الدبابات ولا حتى حافّات المسافرين الملتصقة بنا والمعرضة للانفجار كل لحظة. لا شيء أسكت دندنتها ما دمنا وحيدَين تماماً، دائماً أرافقها. تنطلق سجيناتنا بالشدو حتى الطبقات العالية، كان المدافع اختفّت كلّها. لا بد من سفر إذاً، علّ المدافع تختفي؟ لم تكد سيارتي تقطع كيلومترات معدودة تاركةً العاصمة المُجيّشة خلف ظهرنا حتى عاد وجهها! هو - من هربت منه ومن شاشة البلازما - قد عاد لينشر نفسه على اتّساع الواجهة الزجاجية أمامي. ولِدَ في العاشرة، اتسعت حدقتاه كفنجاني قهوة طافحين، كهاويتين سوداوين مستديرتين تطلّان من العالم السفليّ، لم يعد يحيطهما البياض. ماذا رأى لتتّسع حدقتاه إلى هذا الحد؟ لم يقُل. هو لم يعد يقول شيئاً. كانت العرب تقول: إنَّ رُوحَ القتيل الذي لا يُدرك ثأرَه تَصيرُ هامةً فتَزُقّ فوق رأسه تقول: إسْقوني، إسْقوني!
أكلّ الصباحات تمضي حقاً إلى غير عودة؟ غير صحيح، هي ذي صباحاتنا تستنسخ نفسها، تتكرر وتتناسل عائدةً بلا خجل. كل صباح يشرق على مجزرة، وكل مجزرة هي هشتاغ سريع التبخّر. تماماً كهذا الولد المحدّق بي الآن. عيونه سوداء كعيون والدي، هل اتّسعت حدقتاه هو أيضاً إلى هذا الشكل الجهنّمي حين وقف أمام فوهة رشاش الإعدام في نكبة 48؟ أم إن نكبته تطاطئ رأسها أمام نكبتنا الجديدة بالألوان والبث المباشر؟ وكيف لنكبة أن تطاطئ رأسها؟ وكيف لموسيقى أن تُسمع بعد اليوم على سطح هذا الكوكب العبثيّ؟ أي صوتٍ يكون للنغم منذ الآن؟ أيكون صوت العود الوقور الفَصيّ قائلاً: «تن تن»؟ أم «تن تن تنن»؟ فعلاً؟!
لا، لا أظنّ ذلك! هذه الحدقات تطلب عويلاً لا قطراتٍ من فضة ذائبة. فليكُن عويلاً من نصال الخناجر التي شحذها باخ، في مقطوعةٍ للكمان المنفرد، أسماها «سربَندة». بسلم ري صغير. بحثت عنها في الباليليست، وجدتُها، «نعم أنتِ، لم يعُد بالمعقول موسيقى غيرك».
كعويل هاماتٍ عطشى تكاثفت النغمات في فضاء سيارتي تلك اللحظة، جميعها تزقو: إسْقوني إسْقوني!

* موسيقي فلسطيني مقيم في القدس

انجي افلاطون ــ «تحية إلى الفدائيين» (زيت على كانفاس ــ 80 × 60 سنتم ــ 1970)

(1) بحسب إنجيل متى، أمر الطاغية هيرودس بذبح كلّ مواليد بيت لحم عندما علم أنّ المسيح قد وُلد فيها.
(2) «أُوبُو مَلكاً»، قطعة مسرحية ألّفها ألفريد جاري (1896)؛ الأب أوبو قتل ملك بولونيا واعتلى الحكم، بعدما قتل أيضاً النبلاء وحتى الذين ساعدوه على تحقيق انقلابه.
(3) في الأصل faux-nez وهو تعبير يعود إلى القرن السابع عشر ويعني «التنكّر والخديعة والقناع والتمويه»؛ ولذلك لن تفيد ترجمته الحرفية في توصيل المعنى المراد، فاقترحنا عبارة «الوجه. القناع».
(4) لوبن هو الزعيم التاريخي للتيار اليميني المتشدّد في فرنسا.

المصدر:

Salah Stétié: Pluie sur Palestine, Al Manar, Paris, 2002.

سيرة

جاد تابت: مواويل تتباكى على زمن «لبنان الجميل»

بول مخلوف

يحار قارئ كتاب جاد تابت «لبنان البدايات في سيرة مثقف حدائي» (دار رياض الريس) ما إذا كان أمام عمل تأريخي لمرحلة حديثة من تاريخ لبنان (أواخر القرن التاسع عشر وبداية الاستعمار الفرنسي) أم أنّه على موعد مع سيرة «مثقف حدائي»، كما وصف المؤلّف صاحب السيرة أي والده، المعماري أنطوان تابت. منذ البداية، يحاول العنوان أن يمنح القارئ انطباعاً عن طابع تاريخي في الاشتغال، إلى جانب شخصية يجري البحث عنها، كأنّ الكاتب ينطلق من مسلّمة أنّ الفرد كائن تاريخي بفعل في التاريخ مثلما أنّه من صناعته. لكنّ العنوان يفتح مجالاً للتأويل، حتى لا نقول إنه مفعم بالالتباس. يتقدّم «لبنان البدايات» على «المثقف الحدائي» كأن حدائيا في زمن البدايات، وسيرته، وهي حكاية حياته، تشكّل مسرحاً لتاريخ لبنان. في الظاهر، يريد تابت المصالحة بين المسارين، في التوليف بين تاريخ لبنان وبين تاريخ أنطوان تابت، بحجة انصهار الذاتي مع الموضوعي كما هي خصائص الأبطال، أي ابن بوارّي بين نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

اختار جاد تابت التأريخ بدلاً من تقمّص دور الراوي أو الحكّاء كما تشترط كتابة السير. أخضع كتابته لسكة منهجية في البحث أفضت إلى إعادة سرد الرواية المتداولة عن نشأة لبنان مصحوبةً ببعض التعليقات، فنراه يمرّ على بعض المحطات مرّاً سريعاً، أحياناً، على انعكاساتها ونتائجها. وإذا ما وصل إلى خلاصةٍ قد تُناقض الرواية المعترف بها، وضع سلسلة احتمالات وتساؤلات وتركها مرمية أمامنا. في النهاية انسحابه سهل، يمتلك الذريعة بأنه في وارد توثيق سيرة الأب. والتأريخ عند تابت غير محمّل بطابع استقصائي، وليس غرضه الحفر والتنقيب، بل المرور السهل والمُستقيم على الأحداث كما دوّنت من دون فحصها أو تفكيكها، وهذا من شأنه أن يؤكد لنا أن التاريخ يقف إلى جانبه، فمن هنا ترث السلالة مكانة وامتيازاً. ويبدو أنّ الغاية من اتباع تابت لهذا التاريخ، هو الاحتفاء بالتاريخ المنظور إليه كوحدة صلبة، والاكتفاء بهذا الهيكل من دون الغوص في عناصره. إنه ليس تاريخاً بقدر ما هو صياغة ممجوجة للسردية المتداولة، فهي تصبّ في مصلحة الأب المولود في جبل لبنان، وتحديداً في بحمدون، بحجة انصهار الذاتي مع الموضوعي كما هي خصائص الأبطال، أي ابن بوارّي بين نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

اختار جاد تابت التأريخ بدلاً من تقمّص دور الراوي أو الحكّاء كما تشترط كتابة السير. أخضع كتابته لسكة منهجية في البحث أفضت إلى إعادة سرد الرواية المتداولة عن نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

اختار جاد تابت التأريخ بدلاً من تقمّص دور الراوي أو الحكّاء كما تشترط كتابة السير. أخضع كتابته لسكة منهجية في البحث أفضت إلى إعادة سرد الرواية المتداولة عن نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

اختار جاد تابت التأريخ بدلاً من تقمّص دور الراوي أو الحكّاء كما تشترط كتابة السير. أخضع كتابته لسكة منهجية في البحث أفضت إلى إعادة سرد الرواية المتداولة عن نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

اختار جاد تابت التأريخ بدلاً من تقمّص دور الراوي أو الحكّاء كما تشترط كتابة السير. أخضع كتابته لسكة منهجية في البحث أفضت إلى إعادة سرد الرواية المتداولة عن نشأة لبنان ومساره وبين ولادة أنطوان تابت وحياته، فتكون رؤية لبنان البدايات ساحة إذا ما نظرنا إلى سيرة أنطوان تابت. لكن ما دام الثاني حداثياً، وتحديداً، في زمن البدايات، فقد صار محرّكاً للتاريخ وصانعاً لمحطّاته الفاصلة. هكذا يكون الوطن، في بداياته، على صورة الوالد ومثاله. والحال أن كتابة كهذه غالباً ما تصنع الأساطير، في إبرازها الإرهاصات التي صنعت البطل من ثم إعطائها خلفيات للبطل، في حين أنّ نظرة سريعة إلى واقع البدايات، بما تتضمّنه من دسائس ومؤامرات ومكائد، تفيد بأنّ سيرة لبنان ليست سيرة أنطوان تابت مهما طوّعها الكاتب أو أرادها أن تكون كذلك.

ليس تاريخاً بقدر ما هو صياغة ممجوجة للسردية المتداولة

مثلما انكفأ سابقاً حين وافق الاتحاد السوفييتي على قيام كيان إسرائيل، وإقامة استعمار جديد. من هذا السياق، نستطيع فهم مدلول «المثقف الحدائي»؛ هو ذاك الواقع تحت تأثير حداثة معيّنة وثقافة معينة في مرحلة تاريخية (معينة) محكومة بقوى سياسية جديدة. وهذا يعني من ضمن ما يعنيه أن الثقافة الحداثوية هذه، بما هي التحاق بـ«روح العصر» واستجلاب للنموذج، ليست قطيعة فعلية مع ماض أو مع إرث ثقافي وتفرّغها لتأسيس حداثتها، كما أنها انداك». موقف سنجده يتكرر عندما فرض خالد بكداش سيطرته المطلقة على الحزب الشيوعي ومؤسساته، مستحوذاً على مجلة «الطريق» التي كان قد أسسها أنطوان تابت مع أصدقائه.

في مضمار الهندسة المعمارية، أو إغفال النظر عن تميّزه بحساسية ثقافية وحسّ فنّي. لكن لو أراد جاد تابت أن ينحو صوب كتابة الرواية عوضاً عن التاريخ، محتفظاً بهذه المنهجية، لكنّا أمام رواية كلاسيكية، حيث البطل في ترحال دائم، ينطلق كالسهم، يتجاوز كل العوائق، ولا شيء سوى الموت يردعه. أما محاولة الابن جعل لبنان البدايات خريطة من رسم الأب وأن مصطلح «المثقف الحدائي» سيغفيه من التورّط في شؤون السلطة السياسية، ومن مداراتها، فلهذا ضرب من ضروب التحذلق. كان أنطوان تابت على علاقة وطيدة مع التيارات الطليعية في فرنسا، من السريالية إلى المدارس المعمارية الجديدة. يبقى أن هذا التثقيف والتأثر لم يخلقا مساراً ملتوياً عن السائد، والأهم أنهما تجسّدا في كيانات تابعة للاستعمار الفرنسي وبإقرار منه. إذا كانت العمارة لغة مرئية لحال العصر، فعلينا أن نفهم أن ذاك «التحديث» في نهاية الطفاف نابع من مركز سلطوي، بالتالي إنّه يصبّ في مصلحة السلطة الحاكمة، إن كان من ناحية تسهيل الخدمات وإدارة الأعمال في ربط الطرقات بعضها ببعض في أبسط مثال، أو في خلق مركز واطراف، أو تصميم... عاصمة. يخبرنا مثلاً جاد تابت أن السلطات الفرنسية بعد تغييرها ملامح المدينة العثمانية وتحويلها بيروت إلى «باريس الشرق» و«خلافاً لهذا النهج التحديثي العام، اتخذت السلطات الفرنسية طابعاً تقليدياً» مع الجنرال غورو، عرّاب هذا التزمّت، كان المفوض السامي ويغان يحقق «إنجازات» سلطات الانتداب التي اهتمت بتطوير القطاع السياحي، فعيّن المعماري الفرنسي جاك بورايي لإعمار فندق السان جورج، وسرعان ما اتصل بصديقه أنطوان تابت الذي تعرّف إلى بورايي في فرنسا أثناء دراسته الهندسة المعمارية ليساعده في تحقيق المشروع. ثمة فضاءٌ سياسيٌ كان تابت يدور في فلكه. كان الثقافة الحداثية عندما تنظر من عدستها ترى أن الاستعمار حمّال أوجه: ثمة استعمار جيد واستعمار سيء، ولا ضير إذاً في اللعب على التناقضات، خصوصاً أنّ لا أعين ترى. لا تعدو الثقافة الحداثية كونها ثقافة تابعة «للتحديث»، وبمراحله كافة، في حالة تواطؤ دائمة، أكان على المستوى الخارجي أو الداخلي، فإبان حكم فؤاد شهاب، كان تابت «يلتقي دورياً معه»، ومع البطريركية المارونية كذلك، التي أسهم أنطوان تابت في بناء الكثير من كنائسها.

منذ زمن جبل لبنان ومصنع الحرير مروراً بلبنان «باريس الشرق» ووصولاً إلى لبنان «سويسرا الشرق»، نقرأ عن أنطوان تابت، الذي استطاع في خضم كل هذه التحولات أن يحجز مكاناً لنفسه. على أنّ المثقف الحداثي بمجرد أن أسبغ عليه هذا الوصف (مثقف وحداثة) ومارس ثقافته وحداثته، دخل المأسسة على الفور. وسيرة أنطوان تابت غير بعيدة عن المؤسسات، لقد حاز وسام لينين، الذي حصل عليه سبعة أشخاص في العالم فقط (من بينهم كمال جنبلاط)، وترأس اتحاد الأحزاب اللبنانية المناهضة للصهيونية، وكان عضواً في مجلس السلم العالمي، ولنا أن نستنتج أنه على عكس الصفة التي أطلقت عليه؛ فقد اشتغل السياسة بالسياسة، ولم يتوانَ حتى عن الترشح للانتخابات الأولى لقد يؤدي إلى التبعية، فيما مصير من يريد تغيير التاريخ غالباً ما يكون الجنون أو السجن.

يخبرنا تابت أن «الفرسان الأربعة» تعزفوا إلى غيريال بونور، وهو مسؤول تربوي يعمل تحت إمرة المفوض الفرنسي السامي، وناقد أدبي يسهم دورياً في «المجلة الفرنسية الجديدة»، بطريقة غامضة، فالكاتب لا يعرف كيف تم اللقاء ما هي المناسبة، وعبر بونور، سافر أنطوان تابت إلى فرنسا ليكمل دراسته العليا في الهندسة، لماذا هو وليس غيره، لا نعرف الأمر كذلك. ثمة غموض يلف الكثير من المحطات على المستوى الشخصي لأنطوان تابت، في الوقت الذي نرى فيه إفراطاً في السرد التاريخي، وهذا في وجهه الآخر كفيل لنستقي حال الثقافة آنذاك، وفي وسعه أن يمدنا بخلاصات عدة، من بينها أن طبقة النخب مرحلة العثمانيين استمرت رأس المال الفرنسي، ويفضح في بعض الأحيان ما ارتكبه الانتداب. يبقى أن هذه الملاحظات المتلطية وراء الموضوعية لا تزعج المرجع ولا تمسّ بمراكز القوى وعلاقاتها، إذ إنّها لا تخلخل السردية، بل تمارس نقديتها ضمن «الحدود الديمقراطية» المشروعة. سلاسة سنجدها في «طليعية» امتاز بها الأب، أخذت من «الثورية» قناعاً، أو على الأقل حمّله إياه الابن. أثناء تتبعنا للسيرة المكتوبة، سنعثر مثلاً على مسودة رسالة حيث الكاتب ليس متأكداً إن كان والده قد أرسلها إلى صديقه غيريال بونور أم احتفظ بها لنفسه، يظهر فيها أنطوان تابت مستاء من عقلية فرنسا وممارستها الاستعمارية بعدما قرأ ملصقاً يعلن عن «افتتاح معرض كولونيالي في باريس» أثناء رحلته إلى فرنسا. قد يكون أنطوان تابت قد احتفظ بهذا الاستياء لنفسه، لم يبح بشعوره لأحد حتى المقربين منه، الأولى قد يؤدي إلى التبعية، فيما مصير من يريد تغيير التاريخ غالباً ما يكون الجنون أو السجن.

هذه الملاحظات المتلطية وراء الموضوعية لا تزعج المرجع ولا تمسّ بمراكز القوى وعلاقاتها، إذ إنّها لا تخلخل السردية، بل تمارس نقديتها ضمن «الحدود الديمقراطية» المشروعة. سلاسة سنجدها في «طليعية» امتاز بها الأب، أخذت من «الثورية» قناعاً، أو على الأقل حمّله إياه الابن. أثناء تتبعنا للسيرة المكتوبة، سنعثر مثلاً على مسودة رسالة حيث الكاتب ليس متأكداً إن كان والده قد أرسلها إلى صديقه غيريال بونور أم احتفظ بها لنفسه، يظهر فيها أنطوان تابت مستاء من عقلية فرنسا وممارستها الاستعمارية بعدما قرأ ملصقاً يعلن عن «افتتاح معرض كولونيالي في باريس» أثناء رحلته إلى فرنسا. قد يكون أنطوان تابت قد احتفظ بهذا الاستياء لنفسه، لم يبح بشعوره لأحد حتى المقربين منه، الأولى قد يؤدي إلى التبعية، فيما مصير من يريد تغيير التاريخ غالباً ما يكون الجنون أو السجن.

هذه الملاحظات المتلطية وراء الموضوعية لا تزعج المرجع ولا تمسّ بمراكز القوى وعلاقاتها، إذ إنّها لا تخلخل السردية، بل تمارس نقديتها ضمن «الحدود الديمقراطية» المشروعة. سلاسة سنجدها في «طليعية» امتاز بها الأب، أخذت من «الثورية» قناعاً، أو على الأقل حمّله إياه الابن. أثناء تتبعنا للسيرة المكتوبة، سنعثر مثلاً على مسودة رسالة حيث الكاتب ليس متأكداً إن كان والده قد أرسلها إلى صديقه غيريال بونور أم احتفظ بها لنفسه، يظهر فيها أنطوان تابت مستاء من عقلية فرنسا وممارستها الاستعمارية بعدما قرأ ملصقاً يعلن عن «افتتاح معرض كولونيالي في باريس» أثناء رحلته إلى فرنسا. قد يكون أنطوان تابت قد احتفظ بهذا الاستياء لنفسه، لم يبح بشعوره لأحد حتى المقربين منه، الأولى قد يؤدي إلى التبعية، فيما مصير من يريد تغيير التاريخ غالباً ما يكون الجنون أو السجن.

يوميات

مي التلمساني... دفاتر الحياة والغربة

أحمد فوزي

تقدّم كتابة اليوميات الكثير من التفاصيل عن حياة مؤلفها، وقد تعدّ جزءاً من حكاية «ما وراء الكتابة» التي يهتمّ بها القراء كثيراً، كتلصص محبّب على حياة كاتبهم المفضل. وتبرز أهمية «اليوميات» إذا كانت لروائي أو كاتب بحجم الكتابة والأكاديمية المصرية مي التلمساني التي أصدرت أخيراً يومياتها «طرق كثيرة للسفر» (دار دون للنشر ـ القاهرة).

تفوح من الكتابة رائحة الغربة والهجرة التي مرّت بها المؤلّفة. تسكن تلك الرائحة معظم التفاصيل التي تذكرها التلمساني (مواليد 1965) بين كندا حيث مقرّ سكنها ومهجرها منذ ربع قرن تقريباً، ومصر حيث ولادتها ونشأتها وسنوات شبابها الأولى وعملها الأول. وعن ذلك تقول إنّ «الإقامة في الخارج تجعل الإنسان أكثر اهتماماً بالتفاصيل، يصبح علمياً ودقيقاً ولا تفوته فائتة»، فالغربة تجعل صاحبها مدقاقاً في عناوين بلده أكثر ربما من المقيمين فيه. وتظهر هذه اليوميات الأمر بكل وضوح في ما تتناوله التلمساني من موضوعات أو آراء حول أمور بعينها تخص حيواتها بين بلدين، هناك تناقض وفارق شاسع بينهما على الأصعدة كافةً.

تتحدث التلمساني إلى نفسها كثيراً في هذه اليوميات، لكنها في الوقت نفسه تحكي هذا الحديث لقارئها، وتشركه في تفاصيل ما تدوّنه حول الكتابة والحياة بين موطنها ومهجرها، حيث لا شبه بين كل منهما. لكن روحها هي التي تجمع بين المكانين. وبالكتابة والرغبة في التعلم، تجمع المؤلفة بين مجتمع القاهرة ومجتمع أوتاوا، حاكية عن «الصنايعية المظاليم» وهذه الأفكار التي تدور في مخيّلتنا عن هذا العالم الذي يشتكي منه الجميع، أو عن الأب الديكتاتور الذي يفتخر بما يفعله رغم غرابته الشديدة، أو الاحتفالات الجديدة عليها كعيد الشكر في كندا، وهكذا تدوّن المؤلفة ملاحظتها، فتورّط القارئ بحثٍ لمزيد من المعرفة عن هذه الحياة.

أمور كثيرة قد تكون فارقة في حياة البشر، كما تقول التلمساني في الجزء المعنون بـ«فنج شوي» عن الأسلوب الذي يتبعه بعضهم في الحياة من أجل مزيد من الراحة والحياة الممتعة. وتقدم في إطار ذلك مزيداً من الأفكار عن الطاقة الطبيعية في حياتنا، وكيف نراها أو نعطيها بعض الانتباه مما ينطبع في ذواتنا بعد ذلك.

في كندا حيث تعمل التلمساني أستاذةً للدراسات السينمائية في «جامعة أوتاوا»، هناك أيضاً طلاب يتركون لها الفصل الدراسي لأنهم يعتقدون أنّ دراسة الموسيقى والحديث عنها حرام! لا يعترف هؤلاء الطلاب بأنه من الممكن أن يغير صوت فيروز حياتهم وهم كما تقول المؤلفة «مشغولون بتصميم القالب ولا نهتم بخصوصية الفرد». وفي سياق هذا الجزء من اليوميات، تتذكر تلك التأثيرات الدينية على حياة البشر كما في «نصائح بوذا» وتعاليمه التي اختارت بعضها وذكرته على أساس أنه يمثل «حقيقة من حقائق الإنسان الكبرى».

«إنسان سعيد لا يصلح شخصية في رواية» من أغرب ما جاء في يوميات «طرق كثيرة للسفر» وكان مغايراً للنصوص التي يحتويها الكتاب ويصلح أن يكون قصة قصيرة بذاتها أو حتى مفتتحاً لرواية عن هذا الشخص الخيالي.

تنتقل مي التلمساني بيومياتها من سفرة أبيها في مصر وما تعلّمته من خلال جلساتها القصيرة والمحددة الهدف معه، إلى المدارس وما يحدث فيها من لقاء مع أصدقاء جدد وثقافات جديدة، ثم التحكم الأسري بالبنات ـ الذي لا يزال مستمراً ـ وكيف تشكّل وعي الكاتبة عبر العمل في مصر والانخراط في المجتمع الثقافي والجامعي المصري، وبعدها الهجرة إلى كندا وبدء المقارنة بين «ناس هناك وناس هنا وحياة الكنديين والمصريين»، وما مرّ بالمؤلفة من أحلام كرغبتها الكبيرة في امتلاك غرفة مكتب مستقلة، وهي الأمنية التي تحققت متأخرة سنوات عديدة، بعدما سكنت بيوتاً كثيرة سواء في القاهرة أو المدن الكندية التي سكنتها منذ هجرتها، وهي يوميات مختلفة عما قدمته الروائية في «الكل يقول أحبك» التي يدور معظم أحداثها في كندا ساردة لما تفعله الهجرة في البشر.

اليوميات أيضاً تشتمل على دعوة للتعلم، كأنّ مي التلمساني تمارس دورها كأستاذة جامعية في كندا منذ سنوات طويلة، داعيةً إلى تعلم لغة ثانية «لأنّ واحدة لا تكفي» في هذا العالم. وتكشف الكاتبة عن محاولاتها الدائمة للكتابة بالفرنسية التي باءت بالفشل، في حين ترجمت أعمالها مثل روايتي «هليوبوليس» و«أكابيللا» إلى اللغة الفرنسية عند صدورهما إلى جانب معظم أعمالها الأخرى (سبع روايات وثلاث مجموعات قصصية وكتب أخرى).

في اليوميات تأمل للفنون أيضاً، لكأنية خرجت من عائلة فنية اهتمت كثيراً بالأفلام التسجيلية، إذ أنشأ والدها مثلاً شركة تخصّصت في إنتاج هذا النوع من الأفلام، ما جعلها تهتم بالفنون والموسيقى كجزء أصيل في تربيتها، وتختلف هذه اليوميات عن كتاب التلمساني «للجنة سور» (صدرت طبعته الأولى في عام 2009) الذي صدر في طبعة جديدة أيضاً، حيث اهتمت بتوثيق المدن التي سافرت إليها كالقاهرة وباريس ومونتريال وأوتاوا في كندا.

وتثير «طرق كثيرة للسفر» في قارئها كثيراً من الأسئلة حول الحياة والغربة والوطن. وتظهر الكاتبة فلسفتها في الحكم على الأشياء التي علّقت عليها سواء زمنياً أو مكانياً، وهي فلسفة تجمع بين حب الحياة والكتابة كعناوين أساسية لحياة المؤلفة.

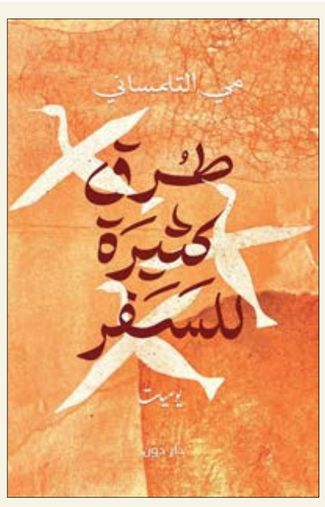

شهدت مصر ولادتها ونشأتها وسنوات شبابها الأولى وعملها الأول

تولّت الكاتبة والمترجمة اللبنانيّة هدى فخر الدين ترجمة المجموعة

ديوان

أحمد الملّاح... صوت فلسطينيّ جديد

فاطمة خضر

لا تصنع الثقافة شاعراً، وحدها الحساسيّة التي تفعل. ها هو الشاعر الفلسطينيّ أحمد الملّاح المُقيم في الولايات المتّحدة الأميركية منذ عقدين، ويعمل في تدريس الكتابة الإبداعيّة في جامعة بنسلفانيا، يؤطّر بحساسيّة عالية مجموعته الشعريّة «لغةٌ ليست واحدةً» الصادرة بترجمتها العربية عن منشورات «مرفأ» في بيروت. وقد نجحت في ترجمتها عن الإنكليزيّة بلغةٍ غير مُتكلّفةٍ، وغير معقّدةٍ، مُلامسةً روح النّص وحساسيته، أستاذة الأدب والنّقد العربي في الجامعة، الكاتبة والمترجمة اللبنانيّة هدى فخر الدين.

يَشي عنوان المجموعة بحساسية الشّاعر، وعلاقته باللغة، واغترابه عن لغته الأمّ. فهو البعيد عنها الآن وعن الاحتكاك بها على حساب اللغة الإنكليزيّة التي ترسم معالم حياته اليوميّة في أميركا منذ عشرين عاماً، والصّراع الذي يدور في عوالمه الداخليّة ما بين العربيّة التي فُطِر عليها، ثمّ تعلّمها وقرأ أدابها وتأثّر بها، وما بين الإنكليزيّة التي أصبحت لغته الثانية، بعدما تعلّمها، واطّلع على أدابها، وأخذ يكتب الشّعر بها. لكنّ حنيناً داخليّاً للغة العربيّة يلمحه في عناوين مجموعاته الشعريّة الثلاثة المكتوبة بالإنكليزيّة: «إنكليزيّة مُرّة»، و«حدّ الحكمة»، و«لغةٌ ليست واحدةً».

جاءت مجموعته هذه ضمن ثلاثة أقسام: «لغةٌ ليست واحدةً»، و«كاغنية على تلّة» و«استعادات».

نلمح في قسمها الأول، المُتضمن ثمانية نصوص شعريّة، تأثير اللغة النيابية، على عكس ما تنادي به الثقافة، في خلق تيارات مضادة، أو موجات نقيضة تستمد قوّتها وشرعيتها من المحلّي قبل العالمي، أصليّة وغير منسوخة كما هي عليه. يبقى أن الثقافة الحداثية هي نقيضة التحديث، ذلك أنها تستشري في المجال الاجتماعي وليست نابعة من البنية الفوقية أو بإقرار منها. يبدو أن أحوال الحاضر غير بعيدة كثيراً عن أحوال الماضي، إذ إننا نجد اليوم في الثقافة صنف «المثقف الحداثي» على رفوف معنونة بـ«البديل».

من البديهي أن يتبنّى الخاضع آراء تتماهى، بدورها، مع السردية المتداولة. أثناء النهضة الثقافية والاجتماعية التي سادت في لبنان، وكان أنطوان تابت أحد روّادها، ظهرت تيارات ناشئة. ولكن أنطوان تابت، كما يبدو، بدا متحفظاً على هذه التوجهات. وبينما كان الكيان الإسرائيلي على قدم وساق في نشأته، راح عدد من تلك الحركات القومية يحاربه. بيد أنها كانت، بحسب الكاتب، إما متحالفة مع قوات المحور وإما تشبهه من الناحية العقائدية، وكان لأنطوان تابت أن يتصدى للموجة الفاشية الصاعدة. فبعض الحركات القومية، مثل القومية السورية الاجتماعية، هي بحسب أنطوان تابت فاشية. أما الابن، فيوازي بين «حزب الكتائب» الذي رعته فرنسا، وبين القومين السوريين الذين تعرضوا للملاحقة من فرنسا. لكن أنطوان تابت الذي يرى أن الفاشية «أفظع حركة استعمارية وهي حليفة للصهيونية»، يحكي كثيراً عن الإثمة، ويعوّل على نهضتها: «إننا نؤمن بقوّة الفكر وأثر الأدب في تحرير الأمم وإنهاضها»، من دون أن نعرف ما هي الأمة عند تابت، وما هو تصوّره لها. وأنطوان تابت كما نقرأ سيرته، يشطح بعيداً في تأثره الثقافي. فولادة مجلة «شعر» دفعت مجلته «الطريق»، إلى الالتفات نحو النقد والسينما والمسرح والشعر، وقبلها، عندما تعرّف في رحلته الباريسية إلى الموجة السارترية ومناخ مجلة «الأزمنة الحديثة»، عاد وغيّر شعار مجلته: «اتخذت مجلة الطريق شعار «مجلة الثقافة الحرة» القريب من الشعار الذي كان قد أطلقه سارتر في العدد الأول من مجلة «الأزمنة الحديثة»: من أجل الحرية والاشتراكية».

في البدء، يستهل جاد تابت كتابه بسرده عن زيارة أجراها إلى قريته بحمدون في مرحلة حديثة من عمر لبنان، مدة ما بعد الحرب الأهلية، ويقارن كل ما تقع عليه عيناه من أبنية وساحات وكنائس وأدراج، مع نسخها الأصليّة (؟) العالقة في ذاكرته. يُمعن جاد تابت في وصف التحوّلات العاصفة التي ألمّت بقريته على المستوى العمراني والمدني، ويتركنا نستشفّ حالة الاغتراب التي أطاحته: حتى رائحة الأرض تغيرت عليه، لقد صار غريباً عن قريته. هناك شعور بالفقدان يعتري الكاتب تجاه ماض قديم لم يعد موجوداً. هناك حنين طافح لقرية ولد وترعرع فيها تغيرت ولم تعد تشبه نفسها. زيارة تابت إلى بحمدون أشبه بوقفة رثاء أمام منزل جده الذي خرجت منه «حكايات طواها الزمن»، من ضمنها حكاية أنطوان تابت، ويكاد لا يعرفه. العودة إلى بحمدون مرّدها، على ما يبدو، إصغاء تابت إلى نداء نوستالجي حميم... حنين إلى منزل وقرية وعمر فائت. قد تكون هذه النوستالجيا إلى المنزل وإلى القرية توقاً إلى قوّة أفلة، في سيرة كتبت عن أب غائب، في حين أنها، أي السيرة، تصلح لأن تكون مطلعاً لبداعب الشجن السياسي، في مواويل تتشدّق بزمن «لبنان الجميل».

أوراق

غريغوري كورسو

«المهرّج» الذي رَوى كابوس «الحلم الأميركي»

محمّد مظلوم *

حين نشر الشاعر الأميركي غريغوري كورسو (1930 – 2001) قصيدته الشهيرة «القنبلة» (1958) فسّرها بعضهم بأنها قصيدة «فاشية» تتغنّى بمديح آلة موت فظيعة. لكن كورسو رفض هذا التفسير للقصيدة، ووصفها بأنها «صدمة موت» تسخر مما عاشه الأميركيون في خمسينيات القرن العشرين من فزع جماعي من الموت بالقنابل الذرية، بينما أسباب أخرى للموت أكثر احتمالاً.

والواقع أن حسّ السخرية والفكاهة التهكمية سمة من سمات شعر «جيل البيت» وعموم أدب ما بعد الحداثة، ويجسّد شعر كورسو نموذجاً طليعياً لهذا الاتجاه حيث الشك والسخرية، والرفض والهجاء، ولا سيما للهيمنة الرأسمالية كما يحفل شعره بانعكاسات الحرب الباردة وتفاعلاتها.

ففي الوقت الذي عاش فيه الأميركيون ذعر الإبادة الذرية الخارجية، كانت المكارثية تنشر ذعراً داخلياً بذريعة محاربة المد الشيوعي، ورغم أنّ كورسو لم يكن سياسياً بِعلانيَّةِ غينسبرغ وكوفمان وجذريتهما، إلا أنه ليس من النوع الذي يمكن أن يخضع لارتكابات المؤسسة أو يتواطأ معها، فقد رفض التوقيع على وثيقة براءة خطية تفيد بأنه ليس عضواً ولم يسبق له أن انتمى إلى الحزب الشيوعي، فمُنع على إثرها من إلقاء محاضراته في جامعة بوفالو، وفي تلك المدة اشترك مع غينسبرغ في كتابة بيان «الثورة الأدبية في أميركا»، الذي أعلنا فيه أنّ لأميركا شعراء عزموا على إعادة اكتشافها راهناً (وفقاً لتفسيرات ملائكية، معبرين عن استيائهم، ومطالبهم، وأملهم، وحلمهم الغرائبي الأخير الذي يصعبُ تصوّره).

كما قارب الموضوعات السياسية في عدد من قصائده، لكنها مقاربات جسَّدَت آراءه السلمية الساخرة والهادئة. فقد كان مقتنعاً أن الشعر الجيد لا ينبغي أن يتضمَّن خطاباً سياسياً مباشراً، إلا إذا قارب السياسة بمفارقة وتهكّم (مقاربة التاريخ دادائياً تقريباً). ففي قصيدته «الجيش»، يبدأ بالسخرية من الجنرال باتون وهو أحد «أبطال» الحرب العالمية الثانية الأميركيين، ويسخر منه كونه لا يشبه الاسكندر «الوسيم» فيهجو عبره الجيش وجميع جنرالاته:

«الجيشُ يحبُّ أنْ يكتبَ على الأرضِ
بالهيروغليفيَّةِ
بأشلاءِ الشبابِ الذينَ يردِّدونَ الأشعارَ
الغنائية.
كيفَ لي أنْ أُحبَّ الجيش؟».

ويرى في قصيدته أن الخلاص في الهروب من الجيش، وليس المضي قدماً في حرب لا تجلب إلا الموت:

«خطوتُ على آثارِ قصفٍ قديمٍ
طريقي يمرُّ عبرَ بوَّابةِ جنرالاتٍ مُتأمِّلينَ
كئيبينْ.
عندَها! صرختُ: هي ذي إذنْ كآبةُ
الجنرالات!»

عاش كورسو شطراً مهماً من حياته خارج أميركا، ولا سيما في أوروبا، فكان أشبه بشعراء التروبادور في العصور الوسطى الذين وظفوا حريتهم للتعبير وتحدي طابع الثقافة السائدة، وقدموا «ثقافة مضادة ذات أسلوب حياة يتعارض مع الثقافة السائدة». وهو ما يتناغم مع احتجاجات «جيل البيت» ضد الحروب والهيمنة والرياء الاجتماعي والسياسي في عصرهم. وكما هي الحال في التحوّل الذي أحدثه اعتناق التروبادور للحرية، فإنّ انعتاق «جيل البيت» من النمط الأميركي ورفضهم له، وتأكيدهم على قدرة الفرد على خلق حياته الخاصة بدلاً من قبول إملاءات السلطات والأعراف الاجتماعية المحيطة، أدى إلى تأثير مهم في الحياة الأميركية، وهو تأثيرٌ لا يزال يقلق النخبة السياسية المحافظة التي زعمت أنه ينمُّ عن «عدم المسؤولية» و«إسراف في المجون» بل رأى نيوت جينجريتش رئيس مجلس النواب الأسبق والمشرح الجمهوري للانتخابات الرئاسية التمهيدية 2012 إن «هذه الثقافة دمّرت أميركا».

كان تمرّد «البيتس» كناية عن ثورة ضد المدنية الآلية المنفرة، والمادية المفرطة، لمصلحة أسلوب حياة أكثر طبيعية وذات قيم روحية تتسم بالتسامح والتعايش والعطاء. وفي شعر كورسو، نجد الكثير من الأسئلة حول مشكلة حرية التعبير في أميركا، وأسباب وجدوى حرب فيتنام، والدعوة إلى المساواة بين الأقليات، ولا سيما للأميركيين السود، ومراجعة علاقة البلاد بسكانها الأصليين، والتعاطف مع محنة المكسيكيين المهاجرين الذين يعملون في المزارع في ظروف صعبة. وتتميز تجربته عن معظم زملائه في «جيل البيت» تميّزاً نوعياً سواء في مرجعياته الثقافية أو في أسلوبه الشعري، فبينما توجه زملاؤه إلى تبني الثقافات الشرقية لا سيما العقائد البوذية والهندوسية نتيجة ضيقهم بالثقافة الأميركية المادية وتوجههم إلى تجارب الشعر الصيني والياباني بإيحاء من طروحات عزرا باوند، كانت لكورسو طَوِيَّةٌ روحية مختلفة، فهو يستشعر تحدُّره من جذور حضارية وثقافية عميقة، ويعتقد أنّ الميراث الحضاري المتوسطي يصلح بديلاً ثقافياً للخواء الروحي والقسوة المادية لأميركا الراهنة، فدأب على خلق حوار جوهري مع شواطئ الإغريق وتماثيلهم ومخطوطاتهم الصلصالية، وأعمدة الرومان بما تعكسه من عمق الحضارة الإنسانية المتجذرة عميقاً بداخله كما في «ذعر في جزيرة كريت» و«تأملات في ساحة خضراء»:

«لا أشعرُ بغيابِ الأشياءِ القديمة
التي تربُطني بِبَلادِي
الضعيفُ يحلمُ بانتصاراتِهِ الأضعف.
....
كمْ أتمنَّى لو عادتْ ثانيةً
بكاملِ أعيادِها
هل ستكونُ اليونانُ عزاءً مناسباً؟».

بل استلهم كذلك الأساطير الفرعونية والبابلية كما في قصيدتي «نسيان في ممفيس» و«الأسلاف». وبلغت رؤياه الكابوسية ذروتها في ديوانه «مشاعر رثائية أميركية» (1970)، ولا سيما مرثيته الكبرى لزميله جاك كيروواك التي تتمحور على ثنائية الأرض والشجرة وما يربطهما أو يفرقهما من جذور أو افتقاد تام لتلك الجذور. تظهر هذه العلاقة الملتبسة مع الأرض قلق الهوية وسطحية الحياة في أميركا. كما أدان في هذا الديوان نمط الحياة الرأسمالية، وفضح التفسير المادي للحلم الأميركي الذي حوّله إلى كابوس، وأغرقه في الخرافات والحروب. وهجا الغرب المتوحش في «قداس عفوي لروح الهندي الأميركي»، وهي قصيدة رثاء ذات حس روحاني في جوِّها وموضوعها بنبرة حزن شفيف ومؤثر ينعى فيها اختفاء تراث تجتمع فيه قيم الزهو والعفوية والحرية، ويتحسّر للانفصال بين الماضي والحاضر، فجاءت على شكل قداس للموتى المعنويين، السكان الأصليين في مواجهتهم خطر الانقراض في أميركا الحديثة. قداس يصوّر الروح الأميركية الأصلية وطريقة حياتها، قرباناً مقدساً في مذبح الحياة المعاصرة، ويوحي عبره بأن «البيتس» أنفسهم هم الهنود الحمر في أميركا الحديثة: الجامحون المنبوذون والمحكوم عليهم بالفشل في كل ما يحاولون.

وإذ يمزج في «القداس» حسّ الرثاء بنبرة الاحتجاج على التدمير والتغييب اللذين ألحقا بالثقافة الأميركية الأصلية ذات الطقوس المتسامية، يصعِّد في قصيدة «النمط الأميركي» خطاب الإدانة للدجل الكهنوتي والخرافات الإعلامية التي تزيّف الوعي، وتحلّ محل الأساطير الروحية الجمالية التي أسّست قيماً وميزت الحضارات القديمة للمصريين واليونانيين والرومان والأميركيين الأصليين، ويشن هجوماً على الحملات التبشيرية و«حملات الأحد» التي تتوسّع لتتحوّل إلى حملة صليبية عل مدار الأسبوع، تتاجر بها الشركات الرأسمالية، بحيث أن الشعبية المتزايدة للقنوات الدينية، لم تؤدِّ إلى إفساد العقل والروح وتوسيع نطاق الأصولية المسيحية عبر برامجها المتواصلة فقط. بل أصبح النجوم التبشيريون أشهر الشخصيات العامة وأثرى البشر عبر اللعب على الشعور بالذنب والتخويف من الشيطان والخطيئة، والترويج لنسخة مشوّهة من المسيح للحفاظ على امتيازاتهم.

«إنَّهُمْ يجعلونَ من المسيح «فرانكشتاين» في أميركا»
«أقولُ لكُمْ إنَّ الشيطانَ ينتحلُ صفةَ المسيح في أميركا»
لكن الإنسان ليس مُذنباً بالولادة، ولا ينبغي أنْ يكونَ المسيحُ مخيفاً، ولأن لعبة المال والسلطة عريقة ومتأصلة في عالم السياسة، فقد تغوَّلت السلطة وتحوَّلت إلى وحش هائل، بعدما اخترقها كبار رجال الأعمال ومشاهير هوليوود والأثرياء، ويقدم كورسو نبوءةً تنذر بالمدى والمكانة الخطيرين اللذين يمكن للصناعة الهوليوودية أن تصل إليهما:

«ميكي ماوس يتربَّعُ على العرش
وهوليوود تمتلكُ خَزيناً كبيراً».

ومن اللافت أنَّ القصيدة نُشرت قبل عشرين عاماً من وصول نجم هوليوود رونالد ريغان إلى كرسي الرئاسة وقبل خمس سنوات من انتخابه حاكماً لولاية كاليفورنيا.

ويصوّر كورسو في «النمط الأميركي» أمةً انحرفت عن جذورها وتنصّلت من القيم والمبادئ التأسيسية، وبلداً جرى تحويله إلى «فرانكنشتاين»: وحش لا يمكن السيطرة عليه، بل لا حلّ سوى بالهروب منه ورفض الثقافة التي شكَّلته. ويعبر كورسو عن محنته المريرة ومأزقه الصعب في قصيدة «تاريخ السياسة الأميركية» بعفوية:

«كلما مررتُ بسفارةٍ أميركية ينتابني شعورٌ مُلتبسٌ!
فأودُّ أحياناً أنْ أهرعَ إليها وأصرخُ: أنا أميركي!
لكنْ سرعان ما أغادرُها بضعَ خطوات
إلى الحانة الأميركية
لأسكر وأبكي: أنا لست أميركياً!»

* شاعر ومترجم عراقي

Samedi 20 Avril 2024 no107
السبت 20 نيسان 2024 العدد 107

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

روزنامة الجرائم الإسرائيلية

تجدون على موقعنا حصيلة جرائم العدو الإسرائيلي يومياً في فلسطين ولبنان

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

قانونية الردّ الإيراني

[3]

(من الويب)

كيف يقاوم الفلسطيني سرقة أراضيه؟

[4]

اقصاء «المحقّق» لإفلات نتنياهو من الملاحقة

[4]

«أسرلة» المناهج التربوية لتسهيل إفلات «إسرائيل» من العقاب

[6_7]

العدوان الإسرائيلي على لبنان

الدفاع الوطني واجب الدولة

صادق علوية

بعد السابع من تشرين الأول/ اكتوبر العام الماضي، بدأ العدوان الإسرائيلي على لبنان، وجنوبه خصوصاً، وبدأت دول العالم البحث عن أسباب تبريرية للتغاضي عن اعتداءات العدو المتكررة، السابقة والحالية واللاحقة، لبحر لبنان وأجوائه وأرضه. تتالى عدد الشهداء والجرحى وبدأ إحصاء الخسائر في الأرواح والممتلكات في لبنان، لكن أياً من السياسيين المتشدّقين بشعارات السيادة والحرية والاستقلال، لم يبحث عن واجبات الدولة الدستورية والقانونية في حال تعرضها لاعتداء. فما أهمية قانون الدفاع الوطني إذا لم تمارس السلطة مهام الدّفاع الوطني؟ وفي حال تلكأت السلطة الإجرائية عن القيام بذلك، يصبح ذلك تلقائياً من حق المواطنين الدفاع عن وطنهم وأرضهم وأملاكهم، والانتظام تحت أي شكل من أشكال المقاومة الشعبية، وهو ما أكد عليه البيان الوزاري للحكومة وحدد حرفياً حق المواطنين اللبنانيين في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ورد اعتداءاته واسترجاع الأراضي المحتلة.

السيادة في الدستور والقانون

نصت مقدمة الدستور اللبناني في الفقرة «ا» على أن «لبنان وطن سيد حر مستقل، وطن نهائي لجميع أبنائه، واحد أرضاً وشعباً ومؤسسات، في حدوده المنصوص عنها في هذا الدستور والمعترف بها دولياً». ولكن، كيف يكون الوطن سيداً وحراً ومستقلاً إذا لم يمارس واجبه بالدفاع عن الأرض والشعب والمجالين الجوي والبحري؟

وتضمّن البيان الوزاري للحكومة الحالية، وهي الحكومة السابعة والسبعين، التأكيد على حق اللبنانيين بمقاومة أي عدوان اسرائيلي، وأكد:

● التزام أحكام الدستور ووثيقة الوفاق الوطني، واحترام الشرائع والمواثيق الدولية التي وقع لبنان عليها وقرارات الشرعية الدولية كافة، والتأكيد على الالتزام بتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1701، واستمرار دعم قوات الأمم المتحدة العاملة في جنوب لبنان، ومطالبتها المجتمع الدولي بوضع حدّ للانتهاكات والتهديدات الإسرائيلية الدائمة للسيادة اللبنانية، براً وبحراً وجواً، بما يؤمن التطبيق الكامل لهذا القرار

● التأكيد على الدعم المطلق للجيش والقوى الأمنية كافة في ضبط الأمن على الحدود وفي الداخل وحماية اللبنانيين وأرزاقهم وتعزيز سلطة الدولة وحماية المؤسسات.

● التمسك باتفاقية الهدنة والسعي لاستكمال تحرير الأراضي اللبنانية المحتلة والدفاع عن لبنان في مواجهة أي اعتداء، والتمسك بحقه في مياهه وثرواته، وذلك بشتى الوسائل المشروعة، مع التأكيد على حق المواطنين اللبنانيين في المقاومة للاحتلال الإسرائيلي ورد اعتداءاته واسترجاع الأراضي المحتلة.

● استئناف المفاوضات من أجل حماية الحدود البحرية اللبنانية وصونها من جهاتها كافة.

قانون الدفاع الوطني: مراحل قانونية متعددة

في 1955/1/19، صدر المرسوم الاشتراعي رقم 33 المتعلق بتنظيم وزارة الدفاع الوطني وتحديد قانون الجيش، ونص في مادته الأولى على تكليف وزارة الدفاع الوطني بإعداد وسائل الدفاع المسلح لحماية أراضي الجمهورية والمحافظة على سلامة الدولة من كل تعدّ داخلي او خارجي، وباعداد الامة لأداء واجب الذود عن البلاد، على ان تمارس صلاحياتها هذه بتأليف جيش بري وقوى جوية وبحرية تتناسب وحاجة الدفاع عن البلاد، واتخاذ التدابير الفعالة لإعداد مرافق البلاد وتوجيه صناعتها وانشاءاتها وفقا لحاجة الدفاع، إضافة الى توجيه ثقافة الشبيبة واعدادها للمساهمة عند الاقتضاء بواجب الذود عن البلاد. وألغي هذا القانون بالمرسوم الاشتراعي رقم 10 تاريخ 1967/7/7 قبل أن يحل محل الأخير قانون الدفاع الوطني بموجب القانون رقم 3 تاريخ 1979/03/24، ثم قانون الدفاع الوطني رقم 102 تاريخ 16 أيلول 1983.

> اذا تلكأت السلطة الإجرائية عن القيام بواجباتها يحق للمواطنين الدفاع عن وطنهم وأرضهم وأملاكهم تحت اي شكل من أشكال المقاومة الشعبية

ما هو تعريف الدفاع الوطني؟

يهدف الدفاع الوطني، بحسب القانون، الى تعزيز قدرات الدولة وانماء طاقاتها لمواجهة ومقاومة اي اعتداء على أرض الوطن، وعلى المجال الجوي الوطني، وعلى الحقوق السيادية في المناطق البحرية الوطنية، واي عدوان يوجه ضده، والى ضمان سيادة الدولة والمحافظة على سلامة وأمن الوطن ومجاله الجوي الوطني وحقوقه السيادية في المناطق البحرية وسلامة المواطنين.

ويقصد بالقوى المسلحة: الجيش، قوى الأمن الداخلي، والأمن العام وأمن الدولة، وبوجه عام سائر العاملين في الادارات العامة والمؤسسات العامة والبلديات الذين يحملون السلاح بحكم وظيفتهم.

في حال حصول اعتداء على الوطن ما هي الخيارات المفترض اتخاذها من قبل الحكومة بموجب قانون الدفاع الوطني؟

في حال تعرض الوطن او جزء من اراضيه او مجاله الجوي او اي جزء من مناطقه البحرية او من حقوقه السيادية على هذه المناطق، او قطاع من قطاعاته العامة او مجموعة السكان للخطر، يمكن للحكومة إعلان:

أ- حالة التأهب الكلي أو الجزئي للحدّ من تعرض السكان والمنشآت الحيوية للخطر، ولتأمين عمليات التعبئة واستخدام القوى المسلحة.

ب- حالة التعبئة او الجزئية لتنفيذ جميع او بعض الخطط المقررة.

كيف يتم اتخاذ هذه التدابير الطارئة من قبل الحكومة؟

تتخذ وتعلن التدابير المذكورة بمراسيم من قبل مجلس الوزراء بناءً على إنهاء المجلس الأعلى للدفاع. علما أن إعلان حالة الطوارئ وإلغاءها، الحرب والسلم، التعبئة العامة، تعتبر من المواضيع الأساسية المنصوص عنها في المادة 65 من الدستور اللبناني والتي تحتاج إلى موافقة ثلثي عدد أعضاء الحكومة.

لمن تخضع القوات المسلحة في لبنان؟

مجلس الوزراء هو السلطة الاجرائية التي تخضع لها القوات المسلحة وفقاً للمادة 65 من الدستور. ويقرر مجلس الوزراء السياسة العامة الدفاعية والامنية ويعيّن أهدافها ويشرف على تنفيذها بموجب المادة 6 من قانون الدفاع. كما يعتبر كل وزير مسؤولا عمّا خص وزارته من مهام الدفاع والأمن، وعليه تعميم التدابير اللازمة في شأنها والسهر على تنفيذها.

ما هي احكام اعلان حالة الطوارىء او المنطقة العسكرية؟

تم تنظيم اعلان حالة الطوارىء او المنطقة العسكرية بموجب المرسوم الاشتراعي رقم 52 تاريخ 1967/08/05 حيث تعلن حالة الطوارئ او المنطقة العسكرية في جميع الاراضي اللبنانية او في جزء منها في حال تعرض البلاد لخطر داهم ناتج عن حرب خارجية او ثورة مسلحة او اعمال او اضطرابات تهدد النظام العام والأمن او عند وقوع أحداث تأخذ طابع الكارثة. وتعلن حالة الطوارئ أو المنطقة العسكرية بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء على ان يجتمع مجلس النواب للنظر في هذا التدبير في مهلة ثمانية أيام، وإن لم يكن في دور الانعقاد.

ما هي الالية القانونية لتقوم الحكومة بتكليف الجيش بالدفاع عن الوطن؟

اذا تعرضت الدولة في منطقة او عدة مناطق لأعمال ضارّة بسلامتها أو مصالحها يُكلف الجيش بالمحافظة على الأمن في هذه المنطقة أو المناطق وفقاً للأحكام التالية:

1- يتم التكليف بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناءً على اقتراح وزيري الداخلية والدفاع الوطني، ويكون لمدة محددة تمدّد عند الاقتضاء بالطريقة ذاتها.

2- فور صدور المرسوم يتولى الجيش صلاحية المحافظة على الامن وحماية الدولة ضد اي عمل ضارّ بسلامتها او مصالحها.

3- توضع جميع القوى المسلحة التي تقوم بمهامها وفقاً لقوانينها وأنظمتها الخاصة تحت إمرة قائد الجيش بمعاونة المجلس العسكري وبإشراف المجلس الأعلى للدفاع.

4- يقصد بالقوى المسلحة لتطبيق هذه التدابير: الجيش، قوى الأمن الداخلي، الأمن العام، أمن الدولة، وسائر العاملين في القطاع العام الذين يحملون السلاح بحكم وظيفتهم.

بعد فشل مجلس الامن ادانة «إسرائيل»

الاطار القانوني للردّ الإيراني

لونا فرحات

ليل 13-14 نيسان/أبريل، نفّذت إيران هجومًا على إسرائيل، ردًا على قتلها عناصر رفيعي المستوى في فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني. ووفقًا لتصريحات مسؤولي الكيان الصهيوني في سياق تبرير هجومه العسكري على القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 نيسان/ ابريل، فإن من «كانوا في القنصلية المستهدفة ضالعون في الإرهاب ضد إسرائيل».

تعمل الجمهورية الإسلامية في ايران وفق مبادئها الدستورية - العقائدية، ويأتي دعمها للمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي الاستيطاني تطبيقًا للدستور الإيراني الذي ينص في الفقرة 16 من المادة الثالثة على «تنظيم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية، والالتزام الأخوي تجاه جميع المسلمين، والدعم غير المحدود لمستضعفي العالم ». وفي الفصل العاشر المتعلق بالسياسة الخارجية، تنص المادة 154 على أهداف السياسة الخارجية التي «... تعتبر أن الاستقلال والحرية وحكومة الحق والعدل من حق جميع شعوب العالم، ولهذا فإنها في الوقت الذي تمتنع عن أي تدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، تدعم النضال المحق للمستضعفين تجاه المستكبرين في أي نقطة من العالم». وبناء عليه، من كانوا في القنصلية الإيرانية ليسوا إرهابيين بل أعضاء في فيلق القدس. وسياسة إيران الخارجية تجاه المقاومة وحركات التحرر الوطني تتفق تماما مع ميثاق الأمم المتحدة الذي تنص مادته الأولى، في فقرتها الثانية، على أن من مقاصد الأمم المتحدة «إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها» (المادة 55). كما ان دعم المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي العسكري يتفق تماما مع قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 2649 لعام 1970 الذي يؤكد على شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية، والمعترف بحقها في تقرير المصير، لكي تستعيد ذلك الحق باي وسيلة في متناولها. ويُعترف لتلك الشعوب في ممارستها الشرعية لحقها في تقرير المصير، بالبحث عن كل أنواع المعونة المعنوية والمادية وتلقيها، بموجب قرارات الأمم المتحدة وروح ميثاق الأمم المتحدة. ودعم المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي يتفق مع مبادئ القانون الدولي بشأن العلاقات الودية والتعاون بين الدول بموجب ميثاق الأمم المتحدة الذي أكد على مبدأ تقرير المصير للشعوب وحقها في الحصول على الدعم بشتى أنواعه.

من جهة أخرى، وردا على ادعاءات الكيان الصهيوني، فإن المبدأ العام في القانون الدولي هو أن للدول اتخاذ التدابير الضرورية لحماية امنها والقضاء على الإرهاب على ان تجري هذه التدابير في ظل الاحترام التام لجميع التزاماتها بموجب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة (قرار مجلس الأمن 1456/ 2003)

الرد الإيراني التزم بمعايير الاعمال الانتقامية

الأعمال الانتقامية وفقا للقانون الدولي تنفذها دولة ما ردا على أفعال غير مشروعة ترتكبها دولة أخرى ضدها وتهدف إلى إجبار تلك الدولة على الامتثال للقانون. ويمكن أيضا تنفيذ الأعمال الانتقامية ردًا على الهجوم. ولكي تعتبر الأعمال الانتقامية مشروعة، فهي مقيدة بـ: (أ) المبدأ الذي بموجبه يجب أن تكون الملاذ الأخير في محاولة فرض امتثال الخصم للمعايير القانونية مما يستلزم عدم ممارستها إلا بعد تقديم تحذير مسبق فشل في وقف جرائم الخصم؛ (ب) الالتزام باتخاذ احتياطات خاصة قبل تنفيذها (لا يجوز اتخاذها إلا بعد اتخاذ قرار بهذا الشأن على أعلى مستوى سياسي أو عسكري)؛ (ج) مبدأ التناسب (الذي لا يعني فقط أن الأعمال الانتقامية يجب ألا تكون مفرطة مقارنة بالعمل الحربي غير القانوني السابق، ولكن يجب أيضًا أن تتوقف بمجرد توقف هذا العمل غير القانوني؛ و(د) الاعتبارات الإنسانية الأولية.

وفي الرد على قصف مبنى القنصلية الإيرانية في دمشق التزمت الجمهورية الاسلامية في إيران بمقتضيات حق الرد على العدوان التي تعرضت له في دمشق.

● الرد على عمل غير قانوني: لا تكون التدابير المضادة مشروعة إلا «ضد الدولة المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً».

انتهكت إسرائيل سيادة سوريا التي تستضيف البعثات الدبلوماسية فوق إقليمها بقصفها لمبنى القنصلية الإيرانية، وانتهكت أيضا السيادة الإيرانية لكون مبنى القنصلية جزءًا من إقليم الدولة الممثلة، على نحو مخالف للمادة 2 (4) من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على أنه «يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الاراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة»، كذلك انتهكت إسرائيل الاتفاقيات الدبلوماسية والقنصلية، وتحديدا اتفاقية فيينا لعامي 1961 و1963. ويعتبر الهجوم أيضا مثالا لجريمة العدوان الدولية وفقا للمادة 8 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

> التزمت إيران تماما بما يقتضيه الرد المشروع على العدوان واختارت اهداف العدو العسكرية للهجوم

● استهداف قواعد عسكرية

التزمت إيران تماما بما يقتضيه الرد المشروع على العدوان، واختارت أهداف العدو العسكرية للهجوم. ولم تستهدف مدنيين وحصرت الرد بالقاعدة الجوية لطائرات إف-35 ومراكز الاستخبارات المستخدمة في الهجوم على قنصليتها في دمشق.

● الرد العسكري هو الملاذ الأخير:

وفي إشارة إلى دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية في منع التوتر في المنطقة، ورغم صدور بيان صحافي عن الأمين العام للأمم المتحدة يدين الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية، إلا أن الإدانة لم تصدر عن الجهاز الأممي المسؤول عن حفظ الامن والسلم الدوليين. وقد أكدت إيران أنه لو أدان مجلس الأمن الضربة الإسرائيلية، لكانت فكرت مرتين في ردها. لكن مجلس الأمن الدولي لم يقم بدوره، بعدما أفشلت الولايات المتحدة مشروع قرار إدانة تقدمت به روسيا. وفي ظل غياب الإدانة الرسمية لإسرائيل من قبل مجلس الامن وما يظهره من نفاق وفشل في القيام بواجباته رغم سجل إسرائيل الإجرامي الدولي والتصرفات اللاإنسانية، لم يكن امام إيران سوى خيار ممارسة حقها في الدفاع عن النفس.

● حق إيران بالدفاع المشروع

وكما جاء في المادة 51، فإن وقوع هجوم عسكري هو الشرط الأساس للدفاع المشروع. والهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية هو عمل عدائي، دفع إيران إلى استخدام حقها في الدفاع المشروع.

● عدم اللجوء إلى الاعمال الانتقامية إلا بعد تقديم تحذير مسبق ومن قبل القيادة العليا العسكرية

أعطت إيران اشعارا واضحا واسع النطاق قبل أيام من تنفيذ ردها من قبل قيادتها العسكرية العليا، لدول الجوار وحلفاء الكيان الصهيوني، وتحديدا الولايات المتحدة، مهلة 72 ساعة لشن الضربات ونقلت عبر الوسائط الدبلوماسية قبل أسبوعين من تنفيذ قرار الرد رسائل تؤكد فيها أن رد فعلها سيكون متناسبا ودقيقا. كذلك أرسلت رسالة إلى الأمين العام ومجلس الأمن تفيد فيه بأنها تحتفظ بحق الرد وفقا للمادة 51.

● توقف الأعمال الانتقامية بمجرد تحقيق أهدافها المحددة

وهو ما أعلنته بعثة إيران في الأمم المتحدة بأن العمل العسكري ضد إسرائيل قد بدأ ونُفذ على نحو دقيق وأن الهجوم يمكن اعتباره منتهيا.

جرائم الاحتلال

كيف يقاوم الفلسطيني سرقة أراضيه؟

«سألته: والارض؟
قال: لا اعرفها.
ولا احس انها جلدي ونبضي».

(من قصيدة «جندي يحلم بالزنابق البيضاء» التي يتحدث فيها درويش عن علاقة اليهودي بالارض

مؤيد طنينة

يقوم الاستعمار الاستيطاني على فكرة إفراغ الأرض من سكانها الأصليين وإسكان مستوطنين غرباء مكانهم. لذلك سعى المشروع الصهيوني إلى تهجير الفلسطينيين من أراضيهم، عبر القوة المفرطة وارتكاب المجازر كما حصل عام 1948 (النكبة). وعبر احتلاله لبقية فلسطين عام 1967، وظّف «فضاضية» القوانين، سواء الدولية أو التي كان معمولاً بها قبل الاحتلال مثل القانونين الأردني والعثماني، لتحقيق المصالح الصهيونية المتمثلة بطرد الفلسطينيين وسرقة أراضيهم، بالحجج الأمنية والدواعي العسكرية والحروب الوقائية.

ماسسة المستعمرة: سرقة الارض

منذ تحوّل المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني إلى دولة «إسرائيل» على دماء الفلسطينيين الذين اقتُلعوا من أراضيهم في فلسطين التاريخية، ومع اعتراف المجتمع الدولي بالمستعمرة المنشأة حديثاً، باتت سرقة إسرائيل للأراضي التي وضعت يدها عليها «قانونية».

في 8 تموز 1967، مع احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وإخضاعهما للحكم العسكري الذي يُعرف دولياً بـ«الاستيلاء الاحتلالي» (belligerent occupation)، ويشترط: أن يكون وضع اليد على أراضي الفلسطينيين مؤقتاً ويُستخدم فقط لغرض عسكري مستعجل، وأن يكون الضرر الحاصل من وضع اليد على الأرض متناسباً مع فائدته الأمنية، وتعويض أصحاب الأرض عن الضرر اللاحق بهم نتيجة عدم قدرتهم على الترزّق منها ما دام وضع اليد مستمراً، وأن يعيد الجيش الأرض إلى أصحابها بعد انتهاء استعمالها.

وظّفت المنظومة القانونية للاحتلال الإسرائيلي قانون أملاك الغائبين لسنة 1950، ولاحقاً قانون استملاك الأراضي لسنة 1953، لانتزاع الأراضي وملكيتها من اللاجئين استناداً إلى غيابهم عن البلاد بعد 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947.

وباتت الطريقة المركزية للاستيلاء على الأراضي عبر الإعلان عنها «أراضي دولة» وتسجيلها، وهو ما بُدئ العمل به عام 1979، واستند إلى تطبيق قانون الأراضي العثماني لعام 1858 الذي كان ساري المفعول عشية الاحتلال.

وتحظر معاهدة جنيف الرابعة لسنة 1940 (المادة 53) على دولة الاحتلال تدمير أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات، أو بالدولة أو السلطات العامة، أو المنظمات الاجتماعية أو التعاونية، إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتماً هذا التدمير. وتشير المادة (49) من اتفاقية جنيف لسنة 1949 إلى أنه «لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحّل أو تنقل جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها».

إلا أن الاحتلال ينتقي من اتفاقيات جنيف ما يتماشى مع مصالحه، ويتحايل على أخرى. فالمؤقتية والمقتضيات الحربية التي تتيحها الاتفاقية، تفترض أن الاحتلال سيكون مؤقتاً. ولفت البروفيسور ريتشارد فولك إلى أن اتفاقيات جنيف تفترض أن المؤقتية تنتهي بانتهاء الحرب، ولكن استمرارها لأكثر من خمسين عاماً أدى إلى عدم فاعلية هذه الاتفاقية في حماية المدنيين بالشكل الكافي، إذ إن الحالة أصبحت عبارة عن نظام مستمر بدلاً من احتلال.

توظيف الامن للاستيطان

طرق أخرى اتّبعتها اسرائيل للاستيلاء على الأراضي مستندةً إلى القضاء، كالإعلان عن «مناطق عسكرية» أو «ممتلكات متروكة» او مصادرة أراض لاحتياجات جماهيرية، كما ساعدت إسرائيل أفراداً على شراء أراض في السوق الحرة.

في حالة «الاحتياجات الجماهيرية»، إذ يوظّف الاحتلال الجماهيرية لمصادرة الأراضي خدمة للمستوطنين بصفتهم مواطنين يحملون الجنسية الإسرائيلية، على حساب السكان الأصليين الفلسطينيين الذين لا يتمتعون بصفة جماهير بحكم حملهم للجنسية الفلسطينية.

عملت حكومات الاحتلال، في العقد الأول للاحتلال بموجب «خطة ألون» التي توصي ببناء مستوطنات في مناطق ذات «أهمية أمنية» وكثافة سكانية فلسطينية منخفضة، مثل غور الأردن، وأجزاء من جبال الخليل، والقدس وضواحيها. هذه السياسة تنبع من دوافع أمنية وايديولوجية معاً.

كتب الحاكم العسكري في الضفة الغربية الجنرال شلوم غازيت رسالة صُنفت «سرية»، في 15 تموز/ يوليو 1970، عنوانها «طريقة كريات أربع»، يطالب بالتستر على نية الحكومة بناء 250 وحدة سكنية في المستوطنة الجديدة، وتقديمها على أنها بناء لأهداف عسكرية (وتُفهم ضمناً أنها مؤقتة). وبالفعل بعد يومين، استولى الجيش على 200 دونم من الأراضي.

في 25 شباط/ فبراير 1980، نشر المستشار القضائي للحكومة الإسرائيلية يتسحاك زمير أن «المستوطنات محمية من الإخلاء ما دام الاعتبار الأساسي في إقامتها عسكرياً أمنياً بالمعنى الأشمل»، أي أنه يأخذ في الحسبان ليس فقط احتياجات الجيش بل «الحفاظ على الأمن الداخلي» و«احماية الحيز».

كثفت اتفاقية أوسلو من عملية سرقة الأراضي بعد تقسيم الضفة إلى مناطق (أ، ب، ج)، وكانت حصة المنطقة (ج) هي الأكبر بما يعادل 61% من مساحة الضفة، وتخضع أمنياً لسيطرة الاحتلال الإسرائيلي، حيث كثّف الاحتلال من سياساته الموزعة بين «وضع اليد» او «أراضي دولة» أو تصنيف أراض بأنها مناطق عسكرية مغلقة أو مناطق تدريب أو إطلاق نار، وغيرها من الدواعي العسكرية.

يحظر القانون الدولي على الجيش الخاضعة اليوم لوضع يد عسكري تخدم مباشرة أغراض جمهور المستوطنين وليس أغراض الجيش، واقيمت فيها 12 مستوطنة.

> **المعركة القانونية التي لم يجن الفلسطينيون ثمارها حتى الآن هي مجرّد نقاش حول قانونية المستوطنات من عدمه**

ويلزم القانون الدولي «إسرائيل» بدفع تعويض رسمي للفسطينيين الذين يتم وضع اليد على أراضيهم، إلا أن أرقام وزارة الأمن مثيرة للسخرية مقارنةً بحجم الأراضي التي يتم وضع اليد عليها.

الإسرائيلي بوصفه قوة محتلة إغلاق أي مناطق ومنع دخول الناس إلى أراضيهم، فيما يغلق الجيش بعض المناطق في الضفة الغربية بذريعة تدريب عناصره في المناطق التي تجري عملياته فيها للحفاظ على الجهوزية القتالية لدى عناصره. إلا أن مؤسسة كرم نابوت كشفت من خلال صور جوية أن عدداً كبيراً من هذه المناطق يسكنها مستوطنون.

الأغراض العسكرية والمنظومة القانونية لا تترك موضع قدم للفلسطينيين، وتستغل أي ثغرة قانونية لسرقة الأرض، وتتذرع بالدواعي الأمنية والعسكرية. ولا يمضي كثير من الوقت، حتى يتبين أن الغرض الأساسي من مصادرة الأراضي هو بناء مستوطنات. وتؤكد الأرقام أن 47% من الأراضي المتبعة من قبل الاحتلال الإسرائيلي، والتي توظف حالة الطوارئ والحكم العسكري والضرورات الأمنية لسرقة المزيد من الأراضي.

مع الحالة اللزجة المتّبعة من قبل الحكومة الإسرائيلية، منذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر الماضي، تحولت القضية الفلسطينية من شأن سياسي (يمكن الاختلاف عليه) إلى شأن أمني (تتقلص الاختلافات حوله باستمرار). وأدّى ذلك بالتالي إلى تكثيف الاستيطان والاستيلاء على المزيد من الأراضي، فمنذ مطلع العام الحالي 2024 شهدت الضفة الغربية أكبر عملية استيلاء تحت مسمى أراضي الدولة منذ ثلاثة عقود، وبلغت المساحات التي استولى عليها الاحتلال تحت هذا المسمى 10 الاف و640 دونماً في إعلانين منفصلين.

واستثمرت حكومة الاحتلال الظرف الحالي لمصادرة المزيد من الأراضي، ملتفّة على «المؤقتية» الواردة في اتفاقيات جنيف، والتي تعني بحسب القانون مصادرة أراض بشكل مؤقت لدواع أمنية وعسكرية.

المقاومة جدوى مستمرة: المقاومة المكانية

لم تنفك محاولات الفلسطينيين القانونية لملاحقة الاحتلال على سرقة أراضيهم، مع إقرار المنظومة الدولية بحق الفلسطينيين فيها، بوصف الضفة الغربية كـ«منطقة محتلة، والمستوطنات بـ«غير الشرعية». واعتبر الخبير الحقوقي مايكل لينك، المقرر الخاص السابق حول حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1967، أن المستوطنات جريمة حرب.

المعركة القانونية التي لم يجن الفلسطينيون ثمارها حتى الآن هي كناية عن نقاش حول قانونية المستوطنات من عدمه لا يتعدى جدران المحاكم. لذلك، لا خيار أمامهم سوى مواجهة الواقع ومقاومته، بالسُبل المتاحة.

عام 1975 أعلنت الحكومة الإسرائيلية «خطة تطوير منطقة الجليل»، وتنص على مصادرة أراض فلسطينية لبناء تجمّعات سكنية يهودية. وفي نهاية السنة نفسها، صادرت إسرائيل نحو 3 الاف دونم من الأراضي التي يملكها أهالي قرية كفر قاسم. وفي مطلع شباط/ فبراير 1976 رفضت الشرطة الإسرائيلية منح تصاريح لفلاحين من قرى عرّابة وسخنين ودير حنّا بدخول أراضيهم الواقعة في منطقة الملّ التي حوّلتها إسرائيل إلى منطقة عسكرية. فاعلن هؤلاء، في 30 آذار/ مارس 1976 إضراباً وصل صداه إلى خارج أراضي 48، وشهدت الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء في لبنان إضرابات تضامنية. واستشهد في المواجهات 6 فلسطينيين وجرح 49 آخرون واعتُقل أكثر من 300. منذ ذلك الوقت يحيي الفلسطينيون ذكرى «يوم الأرض» في 30 آذار/ مارس من كل عام.

سلك الفلسطينيون مسالك عديدة لاستعادة الأرض ووقف سرقتها، منها المقاومة المكانية الشعبية، عبر حملات لشحذ دعم الناشطين الدوليين لتحدي الجهود المستمرة لمصادرة الأرض الفلسطينية وتأكيد ملكية الفلسطينيين، منها قرية باب الشمس التي أسّسها نحو 250 ناشطاً فلسطينياً، وعين عجلة في وادي الأردن، والعراقيب وسوسيا في النقب.

في معرض تفسير مقولته الشهيرة «المقاومة جدوى مستمرة»، يستعرض «المثقف المشتبك» الشهيد باسل الأعرج (1984 - 2017) ضمن جولة في تاريخ المقاومة في شمال الضفة الغربية (جنين)، قائلاً: «كل ثمن تدفعه في المقاومة إذا لم تحصده في حياتك، تأخذه لاحقاً»، مستدلاً على ذلك باستحضار قرار تفكيك مستوطنات جنين وغزة عام 2005، بما يؤكد «جدوى المقاومة»، وليس لأن جنين لا تشكل اهمية في العقيدة اليهودية بحسب السردية الصهيونية لقرار التفكيك.

من نافل القول أن الاحتلال الإسرائيلي بوصفه مشروعاً استعمارياً استيطانياً إحلالياً، يسعى إلى توظيف الدين اليهودي والقانون الدولي بوصفه قوة احتلالية بما يتيح له السيطرة على الأرض مؤقتاً، وتكييف كل ما هو غير متاح لسلب الأرض واستمرار بناء المستوطنات. لذا يوصف الصمود على الأرض بانه أولى خطوات سلّم المقاومة، تليه ملاحقة الاحتلال قانونياً، وليس انتهاءً بالمقاومة المكانية الشعبية التي لا تتوقف من بلعين إلى بيتا وليس انتهاءً بمسيرات العودة في غزة.

سرقة الارض كإجراء عقابي

عندما ثار الفلسطينيون في الانتفاضة الثانية (2000 - 2005)، شرع الاحتلال في مصادرة أراضي الفلسطينيين بحجة بناء جدار الفصل العنصري، إلى جانب توظيف الأمن لوضع اليد على مزيد من الأراضي لإقامة نقاط تفتيش وحواجز، وشقّ مزيد من الطرق الالتفافية بذريعة «الحفاظ على الأمن».

في سياق الحرب الحالية (طوفان الأقصى)، دعا عضو الكابينت جدعون ساعر إلى «تحصيل أراض من غزة في نهاية المعركة كثمنٍ وإقامة حزام أمني، وإفهام الطرف الآخر بأنه يبدأ بفقد الأرض». وتُعرف هذه السياسة بـ: الردع من خلال العقاب، إحدى الوسائل المتبعة من قبل الاحتلال الإسرائيلي، والتي توظف حالة الطوارئ والحكم العسكري والضرورات الأمنية لسرقة المزيد من الأراضي.

مع الحالة اللزجة المتّبعة من قبل الحكومة الإسرائيلية، منذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر الماضي، تحولت القضية الفلسطينية من شأن سياسي (يمكن الاختلاف عليه) إلى شأن أمني (تتقلص الاختلافات حوله باستمرار). وأدّى ذلك بالتالي إلى تكثيف الاستيطان والاستيلاء على المزيد من الأراضي، فمنذ مطلع العام الحالي 2024 شهدت الضفة الغربية أكبر عملية استيلاء تحت مسمى أراضي الدولة منذ ثلاثة عقود، وبلغت المساحات التي استولى عليها الاحتلال تحت هذا المسمى 10 الاف و640 دونماً في إعلانين منفصلين.

واستثمرت حكومة الاحتلال الظرف الحالي لمصادرة المزيد من الأراضي، ملتفّة على «المؤقتية» الواردة في اتفاقيات جنيف، والتي تعني بحسب القانون مصادرة أراض بشكل مؤقت لدواع أمنية وعسكرية.

المقاومة جدوى مستمرة: المقاومة المكانية

لم تنفك محاولات الفلسطينيين القانونية لملاحقة الاحتلال على سرقة أراضيهم، مع إقرار المنظومة الدولية بحق الفلسطينيين فيها، بوصف الضفة الغربية كـ«منطقة محتلة، والمستوطنات بـ«غير الشرعية». واعتبر الخبير الحقوقي مايكل لينك، المقرر الخاص السابق حول حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1967، أن المستوطنات جريمة حرب.

المعركة القانونية التي لم يجن الفلسطينيون ثمارها حتى الآن هي كناية عن نقاش حول قانونية المستوطنات من عدمه لا يتعدى جدران المحاكم. لذلك، لا خيار أمامهم سوى مواجهة الواقع ومقاومته، بالسُبل المتاحة.

عام 1975 أعلنت الحكومة الإسرائيلية «خطة تطوير منطقة الجليل»، وتنص على مصادرة أراض فلسطينية لبناء تجمّعات سكنية يهودية. وفي نهاية السنة نفسها، صادرت إسرائيل نحو 3 الاف دونم من الأراضي التي يملكها أهالي قرية كفر قاسم. وفي مطلع شباط/ فبراير 1976 رفضت الشرطة الإسرائيلية منح تصاريح لفلاحين من قرى عرّابة وسخنين ودير حنّا بدخول أراضيهم الواقعة في منطقة الملّ التي حوّلتها إسرائيل إلى منطقة عسكرية. فاعلن هؤلاء، في 30 آذار/ مارس 1976 إضراباً وصل صداه إلى خارج أراضي 48، وشهدت الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللجوء في لبنان إضرابات تضامنية. واستشهد في المواجهات 6 فلسطينيين وجرح 49 آخرون واعتُقل أكثر من 300. منذ ذلك الوقت يحيي الفلسطينيون ذكرى «يوم الأرض» في 30 آذار/ مارس من كل عام.

سلك الفلسطينيون مسالك عديدة لاستعادة الأرض ووقف سرقتها، منها المقاومة المكانية الشعبية، عبر حملات لشحذ دعم الناشطين الدوليين لتحدي الجهود المستمرة لمصادرة الأرض الفلسطينية وتأكيد ملكية الفلسطينيين، منها قرية باب الشمس التي أسّسها نحو 250 ناشطاً فلسطينياً، وعين عجلة في وادي الأردن، والعراقيب وسوسيا في النقب.

في معرض تفسير مقولته الشهيرة «المقاومة جدوى مستمرة»، يستعرض «المثقف المشتبك» الشهيد باسل الأعرج (1984 - 2017) ضمن جولة في تاريخ المقاومة في شمال الضفة الغربية (جنين)، قائلاً: «كل ثمن تدفعه في المقاومة إذا لم تحصده في حياتك، تأخذه لاحقاً»، مستدلاً على ذلك باستحضار قرار تفكيك مستوطنات جنين وغزة عام 2005، بما يؤكد «جدوى المقاومة»، وليس لأن جنين لا تشكل اهمية في العقيدة اليهودية بحسب السردية الصهيونية لقرار التفكيك.

من نافل القول أن الاحتلال الإسرائيلي بوصفه مشروعاً استعمارياً استيطانياً إحلالياً، يسعى إلى توظيف الدين اليهودي والقانون الدولي بوصفه قوة احتلالية بما يتيح له السيطرة على الأرض مؤقتاً، وتكييف كل ما هو غير متاح لسلب الأرض واستمرار بناء المستوطنات. لذا يوصف الصمود على الأرض بانه أولى خطوات سلّم المقاومة، تليه ملاحقة الاحتلال قانونياً، وليس انتهاءً بالمقاومة المكانية الشعبية التي لا تتوقف من بلعين إلى بيتا وليس انتهاءً بمسيرات العودة في غزة.

تحت القوس

نهاية مسلسل التضليل الغربي

عمر نشابة

كيف ستتمكن الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وكندا إخفاء أو تمويه أو تبرير جريمة الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي يتمادى الإسرائيلي وحلفائه في ارتكابها منذ تشرين الأول من العام الفائت؟

أكثر من 40 الف فلسطينياً، من بينهم نحو 20 الف طفلاً وامرأة وعجوزاً ومريضاً ومعوّقاً قتلهم جيش العدو الإسرائيلي وحلفائه في قطاع غزّة المحاصر؛ مستخدماً أكثر من 80 الف طن من القذائف من الجو والبحر والبرّ. وركّز جيش العدو وحلفاؤه خلال عدوانهم المستمرّ منذ 198 يوماً على تدمير المستشفيات واستهداف الإسعافات والطواقم الطبية واعتقال الأطباء والممرضين، واقتيادهم، بعد تعريتهم من ملابسهم، الى أماكن التحقيق حيث تعرضوا لأبشع أنواع التعذيب والاذلال. أما الجرحى والمرضى في المستشفيات، فقد وُجد عدد كبير منهم مدفونين في جوارها وقد ظهرت على بعض الجثث علامات تدلّ على انهم أُعدموا بعد تعرّضهم للتعذيب. كما قتل جيش العدو الأمّهات أمام اطفالهن خلال محاولتهم العودة الى بيوتهم في شمال القطاع، بالرغم تلويحهم بالرايات البيضاء قبل اطلاق النار عليهم.

وقد ابتكر جنود الاحتلال أساليب قتل جديدة من خلال استخدامهم الطائرات المسيّرة و"الذكاء" الاصطناعي لتحديد الأشخاص المستهدفين. ولم يتردد قادة العدو في الدعوة الى الإبادة الجماعية وتسوية غزّة بالأرض؛ وقرّروا تجويع الناس من خلال قطع المياه والكهرباء، ومنع دخول الطعام والأدوية والمحروقات.

فصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار يدعو الى ادخال المساعدات الإنسانية الى غزة؛ فضربه الإسرائيلي بعرض الحائط. وصدر قرار عن مجلس الامن الدولي يُلزم إسرائيل بوقف اطلاق النار خلال شهر رمضان، فارتكب جيش العدو 212 مجزرة وقتل 2248 فلسطينياً وجرح 3233 خلال الشهر نفسه.

وصدر كذلك عن محكمة العدل الدولية قرارين ملزمين بوقف القتل وعدم تدمير المنشآت المدنية والسماح بدخول الحاجات الأساسية والأدوية والمعدات الطبية، فشدد جيش العدو حصاره على القطاع ورفع وتيرة استهدافه للمدارس والمستشفيات وطواقم الأمم المتحدة. وهكذا انتهى مسلسل التضليل الغربي الذي طالما عرّف الكيان الإسرائيلي على أنه دولة ديمقراطية راقية تسعى الى أفضل العلاقات مع جيرانها وتحترم القيم التي يزهو بها الغرب ويعلّمها للأجيال الصاعدة. فبات العالم كلّه وخصوصاً جيل الشباب، يعلم ان "إسرائيل" مجرّد قاعدة عسكرية ومستعمرة أميركية أوروبية تغتصب ارض فلسطين. وبات واضحاً أن "إسرائيل" تتمادى في اجرامها ووحشيتها لأنها مطمئنّة للدعم الأميركي والاوروبي لها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.

اما الخيانات العربية وما اكثرها فحدّث عنها ولا حرج. ولا جديد في هذا المجال في الاطار التاريخي العام. ولا عجب بخيانة بعض الدول العربية لغزّة هاشم إرضاءً لأسيادهم الاميركيين واستجابة لأحقادهم.

محاكمة رئيس حكومة العدو في قضايا فساد في «إسرائيل»

اقصاء «المحقّق» لإفلات نتنياهو من الملاحقة

بدأ القضاء الإسرائيلي النظر في ضلوع رئيس وزراء العدو الإسرائيلي في جرائم فساد قبل هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر.

> **نتنياهو قد يمدّد الحرب والعدوان على غزة وقد يدفع الامور الى حرب إقليمية لانه يخشى صدور حكم ادانة بحقه**

بعض المحللين عبّروا عن شكوكهم بأن نتنياهو قد يمدّد الحرب والعدوان على غزة، وقد يدفع الأمور الى حرب إقليمية، لأنه يخشى صدور حكم ادانة بحقه ويحق زوجته ونجله يؤدي الى معاقبتهم قضائياً. لكن يبدو أن الأمور تميل الى تبرئتهم بعد نزع المصداقية عن المحقق الأساسي الذي فتح اول محضر تحقيق في القضية، عبر اتهامه بالتآمر مع ضباط آخرين لإسقاط حكومة نتنياهو من خلال «الاصطياد في الماء العكر».

ماذا جرى الأسبوع الفائت في قاعة المحكمة 315 في كيان العدو الاسرائيلي؟

استمعت هيئة محكمة «إسرائيلية» الى المحقق الأساسي في قضية فساد وتلقي رشاوى اتهم رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو بالضلوع فيها، العميد كوريش بارنور (القائد السابق لوحدة التحقيقات في جرائم الاحتيال في شرطة العدو).

ونقلت بعض وسائل اعلام العدو ان استجواب وكيل نتنياهو المحامي أميت حداد لبارنور لم يكن في مصلحة الأخير، بل أدى الى اعطابه من خلال التشكيك في مصداقيته وقانونية الإجراءات التي اتبعها في القضية.

«لست صياداً»، قال بارنور لهيئة المحكمة مدافعاً عن نفسه بعد اتهامه بالصيد في الماء العكر. وهكذا تمكن حداد من تحويل المحقق الى متّهم يسعى للدفاع عن نفسه. ودفع ذلك الصحافة الإسرائيلية الى الاستهزاء بالأمر عبر الادعاء بأن بارنور، وليس نتنياهو، هو من تلقى صناديق من الشامبانيا وعلب سيغار وأحجاراً كريمة وعقد اتفاقاً مع وسائل الاعلام خلافاً للقانون.

كما بدا ان القاضية رفكا فريدمان فلدمان التي ترأست الجلسة اتاحت لوكيل الدفاع هامشاً واسعاً لإيقاع المحقق في الفخ الذي نصبه له.

فلدى سؤاله عن حديث دار بينه وبين مدير مكتب نتنياهو السابق اري هارو الذي أراد المحقق إقناعه بتقديم شهادته ضد نتنياهو أمام المحكمة، اعترف بأنه سأله: «ماذا يمكن ان تخبرني عن الاعمال المخالفة للقانون خلال السنوات العشر الماضية؟ عدّدها لي لاتمكن من الاختيار وفي المقابل ساغلق ملفك (يشتبه بضلوع هارو في قضية فساد تعود للعام 2016). لكن أريد ان تعلمني اولاً ما هي المعلومات التي ستقدمها لي». وسارع بارنور الى التوضيح بأنه كان يتصرّف بناء على توجيهات المدعي العام افيخاي مندبليت. عندها تدخل وكيل الدفاع سائلاً اذا كان المدعي العام قد أجاز رسمياً بفتح تحقيق بشأن رئيس الحكومة كما ينص القانون الإسرائيلي. فأجاب بارنور: «بنوع ما، نعم»، ليُشرع المحامي في عرض تفاصيل شتى «انواع» الأجازات لفتح التحقيق للتشكيك في إجابة بارنور الضبابية.

وفي اليوم الثاني من الاستجواب، بدا بارنور مرهقاً، ونقلت الصحافة الإسرائيلية انه اقتنع بأنه لن يتمكن من اثبات جرائم نتنياهو امام المحكمة، وان القضية ارتدّت عليه وسيدفع غالياً ثمن تجرؤه على ملاحقة رئيس الحكومة.

وذكرت صحف إسرائيلية انه بعد رفع جلسة المحكمة لبعض الوقت للاستراحة، توجّه بعض الصحافيين نحو بارنور لطرح أسئلة عليه فطلب منهم الابتعاد قائلاً: «اذا شاهدني احد اتحدث اليكم سينتهي امري»، فاجابه احد الصحافيين: «أنت انتهى امرك اصل»، ليهزّ برأسه موافقاً. ولا شك في ان بارنور ادرك ان ملاحقة رئيس حكومة فاسد يقود حرباً وحشية متحدّياً مجلس الامن ومحكمة العدل الدولية هو بمثابة انتحار.

صحيفة «هآرتس» وصفت ما حدث في قاعة المحكمة رقم 315 بالشهادة على «نجاح نتنياهو في ردع وشل المؤسسات التي تهدف إلى الحفاظ على قواعد اللعبة في مجتمع صحي يتساوى فيه الجميع، بما في ذلك رؤساء الوزراء، امام القانون».

فالمحقق بارنور الذي كان يفترض، بسبب كفاءاته المهنية، ان يعيّن قائداً لوحدة «لاهاف 433»، او قائداً لقسم التحقيقات الجنائية في شرطة العدو، عوقب وأبعد من خلال تكليفه قضاء السنوات الأخيرة قبل التقاعد في معهد تدريب الشرطة.

(القوس)

فلسطين

ذهب القائد الإستراتيجي الصيني سون تزو، في كتابه «فن الحرب»، إلى حد اعتبار ان الانتصارات يمكن أن تتحقق على العدو من دون معركة، وصاغ فكرة جوهرية لرؤيته بأن «أعظم فن لشن الحروب يتلخّص في استهداف عقول الأعداء لا مدنهم». هذا النوع من الاستهداف يعدّ الأسهل لترويج فكر الأعداء وترسيخه، وهو أخطر من الحرب العسكرية أحياناً. فماذا لو كانت المجتمعات المستهدفة غير محصنين للمواجهة؟ وكيف تستغل التربية والتعليم كوسيلة جوهرية للتأثير، بغية تسطيح انتمائنا الوطني، وشطب ذاكرتنا، وتشويه التاريخ، تمهيداً لأنسنة الأعداء في العقول، والقبول بالتطبيع معهم بعد تبرئتهم من الجرائم التي ارتكبوها وما زالوا على الملأ ومن دون أيّ رادع قضائي على المستوى الإقليمي والدولي؟

«أسرلة» المناهج التربوية لتسهيل إفلات «إسرائيل» من العقاب [1]

سوزان مكه

انتهجت «إسرائيل» كل الوسائل لتدمير وتعطيل وشرذمة التربية والتعليم في الدول العربية بكل مكوناتها. ضمن إطار الإبادة المعرفية (epistemicide) التي تعدّ أحد شروط عمليات «الإبادة الجماعية» (genocide) في المشاريع الاستعمارية، استطاع العدو غسل بعض العقول وتغيير بعض القناعات وحرفها عن وعي الانتماء، وإبعادها عن وعي المصالح المرتبطة بالأمة التي ينتمون اليها.

ويعدّ فرض المعرفة «الاحتلالية» على رأس أولويات المشروع الصهيوني، باعتباره معبراً يسهّل تحويل الجرم الذي يمس «الهوية» إلى «انفتاح مقبول» في عقول الأجيال فكرياً ونفسياً. فتهويد القضية الفلسطينية يبدأ من هذا العقل، وعبره يسقط العداء للصهيونية، وينسلخ الإنسان عن هويته ويمحى تاريخه، وتصبح عندها مقاومة الاحتلال «إرهاباً».

هل خطر يوماً لنا السؤال كيف استطاع أشتات من البشر المنتمين إلى ثقافات متنوعة وأمم مختلفة إيجاد «دولة» رغم عدم شرعيتها وعدوانيتها، غير آبهين بكل الشرائع والقوانين؟

نجحت الجماعة الصهيونية إلى حد أنها جعلت حركة التاريخ في مساره العام تتحرك طوعاً لتحقيق غاياتها، لأنها فهمت فعل التربية في عملية التاريخ. فاتخاذها منهجاً تربوياً وفقاً لمفاهيم توراتية رسّخ في عقول أجيالها أنّ أرض الميعاد هي فلسطين، وأنها حق قطعه الله لأبناء إبراهيم، وأنّ على اليهودي ألا ينسى صهيون، وأن يعمل جاهداً للعودة إليها. هذه الأقانيم التربوية جعلت الصهيوني كائناً معادياً لأيّ محيط بشري، وخلقت أجيالاً تحمل في سلوكها وأفكارها أبعاداً ومفاهيم تهدد وجودنا، ودفعته إلى القيام بأي أمر حتى ولو كان غير أخلاقي، لتحقيق ما تربى عليه، واستطراداً، استمات البعض بالتضامن معهم باعتبارهم ضحية وان لهم الحق بالدفاع عن أنفسهم. وهذا يفسر عدم قيام العالم بأي رد فعل جدية، والفشل الذريع للمجتمع الدولي والمحاكم الدولية أخلاقياً وإنسانياً وقانونياً في وقف جرائم إسرائيل ضد الإنسانية والإبادة الجماعية المستمرة في غزة المحاصرة.

«عربي جديد» في الدولة العبرية

تعدّ مناهج التعليم من حلقات مسلسل الصراع العربي-الصهيوني. فقد استخدم العدو إستراتيجية التغلغل في العالم العربي عبر هذه المناهج ليحقق إستراتيجيته الاستعمارية الاستيطانية، بغية تضليل شعوبها، إسرائيل، بالتواطؤ مع بعض الأنظمة العربية، صنعت في عقول الشباب والنخب صدفية هلامية لسرديتها الثقافية والتربوية، ونزعت عنها الصفة الاستعمارية الحقيقية، فكان ذلك المدخل للتطبيع والإفلات من العقاب. يسيطر «الشاباك» وأجهزة الاستخبارات بشكل مباشر على جهاز التعليم الفلسطيني بدءاً من تعيين المعلمين والمديرين، وصولاً إلى التحكم بالمناهج التعليمية ومضامينها. المضامين تحتوي على تفصيلات مهولة ومشوهة، وفيها الكثير من الأضاليل والأكاذيب وتزوير التاريخ. ويسعى العدو بذلك إلى خلق شخصية ليست لها علاقة بأي شيء سوى «عربي جديد» مستلب الوعي ومفصول عن امتداده الحضاري وممسوخ الهوية، في «الدولة العبرية».

ويهدف تحقيق ذلك اوصى معهد «اميباكت» بالعديد من الخطوات، منها:

● التركيز على شخصيات «مثالية» في كتب التاريخ

يقدم العدو الإسرائيلي قصص ألف ليلة وليلة على أنها التاريخ الإسلامي، ويركز على الأزمات البارزة فيه، ويزيّن تاريخه بأنه مليء بالبطولات والإنجازات الحضارية والإنسانية، ويلمّع شخصيات كانت قيادات للعصابات الصهيونية: مناحيم بيغن، شمعون بيريس، إسحاق رابين شخصيات «مثالية» تدفع إلى الإعجاب بها والاقتداء واعتبارها نموذجاً للتقليد.

● استبدال أسماء في كتب الجغرافيا استبدل العدو كل أسماء المدن والقرى وحتى الأنهار في فلسطين بأسماء عبرية. مثلاً صفد أصبحت «صفات»، وجبال القدس «يهودا»، وأم الرشراش «إيلات»... وقدّم إلى العالم القدس كعاصمة للكيان الصهيوني لا مدينة محتلة كما يحددها القانون الدولي.

● لا حق للعودة في كتب الأدب

الغى العدو من كتب الأدب العربي أي نص يتعلق بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وارضهم الأخر» الصهيوني، وهو نفسه المحتل والمجرم والساعي إلى إبادة الفلسطينيين؟ ألا يحق للشعوب المغتصبة مقاومة الاحتلال بشتى الوسائل للحفاظ على أمنها وسلامتها وحقوقها؟ وأي «سلام ومساواة» ينطبقان على كيان صهيوني مجرم يغتصب حقوق البشر وينتهك القوانين ويتحدى محاكم العدل الدولية؟

> الغى العدو من كتب الأدب العربي اي نص يتعلق بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وارضهم

«خال من العنف» متساهل مع الظلم

يصنع العدو الصهيوني ثقافة تخدم استعماره، فيتغلغل في المجتمعات العربية عبر منظمات غير حكومية مرتبطة مباشرة باللوبي الصهيوني. وتزعم هذه المنظمات أنها تعمل وفقاً لمسطرة «أخلاقية» و«قوانين حيادية» وقيم الأمم المتحدة «لتعليم خالٍ من العنف» ومن كل أشكال العنصرية والتمييز والكراهية. لكن الوظيفة الأساسية لهؤلاء هي البحث والتقييم لكل الكتب والمواد التعليمية في الدول العربية للتأكد من أن أطفالنا وشبابنا يتم تعليمهم قبول الآخرين حتى لو كانوا محتلين مجرمين يمعنون في الأذية ويسعون إلى الإبادة، وأن أي نزاع لا بد من حله عبر الملاطفة والتفاوض والتسوية فقط، وتجنب مواجهة الظلم ومقاومة الظالمين.

تشويه المقاومة: ممارسات إرهابية بحق الأبرياء

وفقاً لمسح عام للتقارير المتعلقة بامتحانات البجروت الفلسطينية التي خضع لها الشباب الفلسطيني لعام 2023، استنتج معهد «اميباكت» أن المناهج التعليمية تظهر إشكاليات متكرّرة، من بينها العنف ضد إسرائيل، والدعوة إلى الجهاد والاستشهاد بشكل عام، ورفض وجود الكيان الإسرائيلي. وتشير «اميباكت» إلى أن هذه الكتب المدرسية تمجّد الإرهابيين وتشيطن إسرائيل وتنكر تاريخها اليهودي وحقها في الوجود، وتزعم أن فيها روايات تاريخية منحرفة وتحريضاً على كره الآخر. وينتهي التقرير إلى توصيات «تحريضية» بقطع التمويل وضرورة تغيير المناهج لتكون «خالية من الصور والأيديولوجيات التي تخلق أحكاماً مسبقة ومفاهيم خاطئة عن الآخر منعاً للتطرف والعنف وتعزيزاً للسلام ومعايير المساواة، لتبادل المعرفة والفهم بين الشعوب المختلفة بعيداً من التعصب والازدراء والكراهية». إذ إن الهدف الأساس لمعهد «اميباكت» هو التأثير على الأجيال المقبلة لتساوي الجلاد بالضحية وتنقبل الاحتلال وتتيح للإسرائيليين الإفلات من أي مساءلة أو ملاحقة قضائية بسبب جرائم الإبادة والجرائم ضد الإنسانية التي يتمادون في ارتكابها منذ 75 سنة.

عينة من الاعتراضات الإسرائيلية على مضامين الكتب المدرسية

1- اعترضت «اميباكت» على امتحان البجروت في اللغة العربية لعام 2023 حيث يتم امتحان الطلاب على فقرة من كتاب مدرسي بعنوان «القدس بوصلة» و«المجد» الذي يمجد الاستشهاد في المعركة ويمتدح «الفرسان» الذين «يذهبون إلى موتهم بابتسامة»، ورأت أن ذلك ينفي الارتباط التاريخي اليهودي بالمدينة ويصفه بانه «ادعاءات لا أساس لها من الصحة» و«روايات مشوّهة» و«حكايات خرافية».

2- زعمت «اميباكت» أن امتحانات الجغرافيا لعام 2023 تجاهلت وجود إسرائيل وأبرزت «خريطة فلسطين» من النهر إلى البحر معتبرة كامل الأراضي جزءاً منها. وهذا يعدّ عدم اعتراف بإسرائيل «الدولة العضو في الأمم المتحدة»، ولا يشجع الطلاب والأجيال على «القبول»، بل يمنع أيضاً أي تسوية مستقبلية بشأن «حل الدولتين».

3- يُطلب من طلاب الثانوية العامة في مادة التاريخ شرح كيفية استفادة الولايات المتحدة من أحداث 11 أيلول «لفرض هيمنتها على العالم». ورأت «اميباكت» أن ذلك يعلم الطلاب أن الولايات المتحدة استغلت تعرّضها لهجوم إرهابي لبسط سيطرتها وحكمها وهيمنتها على دول أخرى، وهذه «صورة سلبية تزرع في عقول الشباب».

حرب على الأونروا

ونشر معهد «اميباكت» تقريراً بعنوان «التعليم في الأونروا: الكتب المدرسية والإرهاب» لفت إلى أنه رغم تعديل الوكالة بعض هذه الكتب المدرسية، إلا أنها بقيت «معادية للسامية» بشكل علني واستمرت بـ«التشجيع على العنف والجهاد». وذهب المعهد إلى اتهام المعلمين بأنهم وراء تشجيع الطلاب على العنف ونشر

> «يصنع الصهيوني ثقافة تخدم استعماره عبر منظمات غير حكومية»

أيديولوجيات متطرفة في الكتب لا تتناسب مع «السلام الذي تسعى إليه إسرائيل».

وتضمن التقرير مزاعم استند العدو الإسرائيلي إلى بعضها لتصفية أكبر عدد من موظفي الأمم المتحدة منذ تاسيسها عام 1945. حيث جاء في التقرير:

1- مزاعم احتفال موظفي الأونروا في 7 أكتوبر

قدم التقرير «داتا» متعلقة بصفحات الأساتذة المعلمين في مدارس الأونروا مدعية أنها مواد أخذت من مصادر مفتوحة بهدف تحليل وسائل التواصل الاجتماعي. وأبدت المنظمة امتعاضها من إشادة المعلمين بهجمات تشرين الأول/ أكتوبر ووصفها بـ«الانتصار الحقيقي الأول» على طريق تحرير كل الأراضي الفلسطينية. وخلص التقرير إلى أن مثل هذه «الإشادة والاحتفال والتعبير عن الدعم لجهات قتلت مدنيين إسرائيليين، تشجيع على الوحشية والإرهاب وتأييد لقتل الأبرياء».

2- خريجو مدارس الأونروا «إرهابيون»

يوثق التقرير في جزئه الثاني «إرهاب» الطلاب الذين تخرجوا من مدارس الأونروا، ويسعى إلى التأكيد بأنهم شاركوا في الأعمال الإرهابية تنفيذاً لأجندة «حماس». وتفنّد المنظمة أسماء «الإرهابيين»، وتدعي حقائق لا أساس لها من الصحة وغير مستندة إلى أي تحقيق علمي أو قانوني، لا بل تبرّر قتل المعلمين لمشاركتهم المزعومة في هجوم 7 أكتوبر.

3- كتب الأونروا معادية للسامية

تمتعض «اميباكت» في تقريرها من تمجيد الكتب المستخدمة في الأونروا للمقاومين والاستشهاد أو الجهاد، وتراه فصلاً من فصول الكراهية والتحريض. إذ «لا يمكن تحويل الإرهاب إلى بطولة» أو الإشارة إلى أن «المجازر خالدة في قلوب وعقول الفلسطينيين». واعتبرت ذكر الشهيدة البطلة دلال المغربي في الكتب المدرسية تمجيداً لها وزرع الاقتداء بها في عقول الأطفال، وهذا «عمل مشين»، لا بل تذهب إلى وصفها بـ«الإرهابية» التي نفذت «مجزرة» 1978 التي راح «ضحيتها» 38 «مواطناً» إسرائيلياً.

في الحلقة الثانية: تعديل مناهج التعليم في بعض الدول العربية لصالح "إسرائيل"

«جرائم» المعلّمين

1- الإشارة الى انتهاك «إسرائيل» للقانون الدولي.
2- التشجيع على ممارسة الحق في المقاومة والكفاح المسلح.
3- رفض الاحتلال ومناهضته.
4- «معاداة السامية» بسبب رفض ومعاداة الصهيونية.
6- «رفض حق إسرائيل في الوجود» بسبب رفض نظام الأبارتايد الإسرائيلي.

«خبراء» إسرائيليون في المناهج التربوية

جاي رودرمان

رئيس مؤسسة رودرمان التي تعنى بتثقيف القادة الإسرائيليين بشأن الجالية اليهودية الأميركية.
انضم إلى الجيش الإسرائيلي عام 2005، وتولى إدارة مكتب المجلس الوطني للجنة الشؤون العامة الأميركية - الإسرائيلية (أيباك) في فلسطين المحتلة.

نير بومز

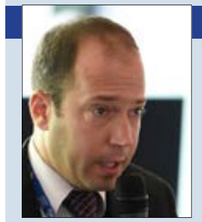

باحث في «مركز موشيه ديان» في جامعة تل أبيب، ومؤسس شبكة مدوّنات في الشرق الأوسط تركز على «حرية التعبير وتعزيز الحوار»، ويشغل اليوم منصب الرئيس المشارك للمنتدى السياسي الإسرائيلي - الإماراتي.

ديفيد لوي

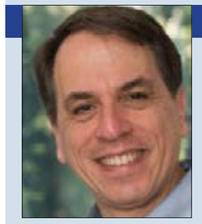

شغل منصب الرئيس التنفيذي للامتثال لدى بعض أكبر مستشاري الاستثمار في الولايات المتحدة، وهو عضو المجلس الوطني للجنة الشؤون العامة الأميركية - الإسرائيلية (أيباك).

سوزان واغنر

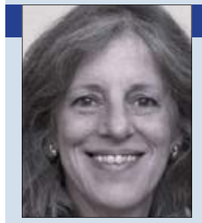

رئيسة ومؤسسة عائلة ناثان وإستير للأنشطة الخيرية، تعمل في مجالس إدارة معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، ومركز الأعمال الخيرية اليهودية، وهي عضو في مجلس إدارة «لأجندة اليهودية في نيويورك» NYJA

IMPACT-se

«معهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي (Institution for Monitoring Peace and Culture Tolerance in School Education) منظمة إسرائيلية غير ربحية تأسست عام 1998. مركزها الرئيسي في القدس المحتلة، وتعمل على مراقبة محتوى الكتب المدرسية وتدقّق في المناهج التعليمية في العالم، ولا سيما في دول الشرق الأوسط، (سوريا، العراق، الإمارات، السعودية، أفغانستان، اليمن، السعودية، مصر، الأردن، إيران، المغرب، قطر، تونس، وفلسطين)، وتقدم أبحاثاً وتقارير حول هذه المناهج، وتذهب بعيداً في تقديم الاقتراحات والبدائل والتوصيات بغية الضغط والتأثير في قرارات المنظمات الدولية والحكومات وفرض إزالة أي محتوى تعليمي «يحرض على الإرهاب ويعادي السامية ويناهض الاحتلال» في الدول المذكورة.

IMPACT-se

القوس
السبت 20 نيسان 2024 العدد 107

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com